بسمة المومني

فجر العرب
شبابه وعائده الديموغرافي

ترجمة: فادي ملحم

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

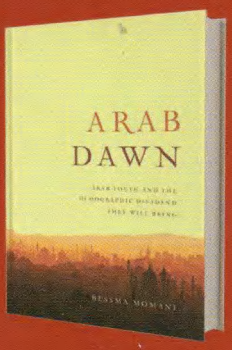

على المرء أن يفكّر في أشياء كثيرة عندما يتعلّق الأمر بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، خصوصًا أنّ هذه المنطقة ارتبطت في عيون الغرب بالإرهاب والتطرف والتعصب والعنصرية... وتشهد تغييرات كبيرة. وأثبت الربيع العربي ذلك، وهو ليس إلا بداية. فيُكتب في كثير من الأحيان عن المنطقة العربية باعتبارها الجزء الفارغ من الكوب. يتحدث هذا الكتاب عن الجزء الملآن، عن جانب من القصة لا يتمثّل في كثير من الأحيان في الخطاب العام؛ أي عن منطقة فتية مليئة بالأمل، وتطمح إلى التقدم والوصول إلى مستقبل زاهر، كما تبيّن مجموعة المناقشات التي أجرتها المؤلفة مع شباب عرب.

المؤلفة

بسمة المومني، أستاذة العلوم السياسية في جامعة واترلو الكندية، وفي كلية بالسيلي للشؤون الدولية في كندا. وهي زميلة أولى في مركز الحوكمة الدولية والابتكار، وزملية أولى غير مقيمة في معهد بروكينغز-الدوحة. عملت زميلة أولى غير مقيمة في معهد بروكينغز في واشنطن، وأستاذة زائرة في مركز مورتارا التابع لجامعة جورج تاون الأميركية.

المترجم

فادي ملحم، مترجم لبناني (من مواليد عام 1976)، يحمل شهادة البكالوريوس في الألسنيات من الجامعة اللبنانية، مارس الترجمة في مجالات علمية وأدبية.

- فلسفة وفكر
- اقتصاد وتنمية
- لسانيات
- آداب وفنون
- تاريخ
- علم اجتماع وأنتروبولوجيا
- أديان ودراسات إسلامية
- علوم سياسية وعلاقات دولية

السعر: 10 دولارات
ISBN 978-614-445-106-9
9 786144 451069
المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

فجر العرب

شبابه وعائده الديموغرافي

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى «سلسلة ترجمان» بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس «سلسلة ترجمان» وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

فجر العرب

شبابه وعائده الديموغرافي

بسمة المومني

ترجمة

فادي ملحم

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
المومني، بسمة

فجر العرب: شبابه وعائده الديموغرافي/ بسمة المومني؛ ترجمة فادي ملحم.

224 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على ببليوغرافية (ص. 197-209) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-106-9

1. الشباب في البلدان العربية - أحوال اجتماعية. 2. الشباب في البلدان العربية - أحوال اقتصادية. 3. البلدان العربية - أحوال اجتماعية. 4 البلدان العربية - أحوال اقتصادية. 5. الهوية - البلدان العربية. 6. المرأة العربية. 7. الطلبة العرب - الغرب. أ. ملحم، فادي. ب. العنوان. ج. السلسلة.

305.23509174927

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من المؤلف لكتاب

Arab Dawn:
Arab Youth and the Demographic Dividend They Will Bring
by Bessma Momani

عن دار النشر
University of Toronto Press. Scholarly Publishing Division © 2015

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب - شارع سليم تقلا - بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 - 11 - رياض الصلح - بيروت 2180 1107 - لبنان
هاتف: 8 - 991837 1 - 00961 فاكس: 1991839 - 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2016

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال 7

مقدمة 9

الفصل الأول: الخبز: الكرامة الاقتصادية والعمل المنتج 31

أولًا: 1990–2010: عقدان من الليبرالية الاقتصادية 34

ثانيًا: بحثًا عن الكرامة الاقتصادية 42

ثالثًا: صعود فكرة إنشاء المشروعات 54

رابعًا: انتهاز فرصة العائد الديموغرافي في العالم العربي 59

الفصل الثاني: الحرية 69

أولًا: قبل الصحوة العربية 73

ثانيًا: فتح الباب على مصراعيه للأفكار 80

ثالثًا: محتوى أنتجه الشباب 89

رابعًا: التحرر ممَّ؟ ولماذا؟ 96

الفصل الثالث: الهوية 107

أولًا: المجتمع العربي «العلماني» 111

ثانيًا: مكة مول..... 122
ثالثًا: النصف الأفضل؟ المرأة العربية..... 126
رابعًا: أن تكبر كوزموبوليتانيًا..... 134
الفصل الرابع: التنقّل الدائري..... 141
أولًا: من الهجرة إلى الهوية العابرة الأوطان..... 145
ثانيًا: الطلاب العرب والأجانب في الغرب..... 151
ثالثًا: الحركة الدائرية لأدمغة الشباب العرب..... 160
خاتمة..... 171
أولًا: ضرورة توفير فرص العمل..... 172
ثانيًا: مقترحات في السياسة العامة لخلق فرص عمل منتجة..... 177
ثالثًا: الأولوية السياسية لتوفير فرص العمل..... 186
رابعًا: الطائفية والعنف والشباب العرب..... 187
المراجع..... 197
فهرس عام..... 211

قائمة الجداول والأشكال

الجداول

(3-1): أنواع المستهلكين بحسب البلدان 123

(الخاتمة - 1): مجموع إعلانات التوظيف في العالم العربي بحسب البلد
من عينة n = 4976 193

(الخاتمة - 2): النمو الاقتصادي بحسب القطاع في الإمارات العربية المتحدة
(2012-2000) 193

(الخاتمة - 3): النمو الاقتصادي بحسب القطاع في الأردن (2012-2013) .. 194

الشكل

(الخاتمة - 1): توزع الوظائف في إعلانات التوظيف في العالم العربي
من عينة n = 4976 195

مقدمة

ارتبطت المنطقة العربية من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في عيون الغرب بالإرهاب غالبًا، وبالتطرّف الديني والتعصّب والتمييز على أساس الجنس والعنصرية، وعدد كبير آخر من الأمراض الاجتماعية والسياسية. وتُطرح عليَّ عادةً، لكوني أسافر باستمرار إلى كثير من بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أسئلة تتميّز بحشرية كبيرة من أفراد أمن الحدود في البلدان الغربية. فأجيب بأنني أستاذة جامعية أدرس المنطقة العربية، وسائحة تزور العائلة والأصدقاء فيها. فأواجه بعد هذه الإجابة بنظرات الحيرة في كثير من الأحيان، وبنوع من الازدراء في أحيان أخرى. وعلى الرغم من أن كثيرين من عناصر أمن الحدود يتمتعون بالتهذيب الذي يمنعهم من قول العبارة الآتية، لكن في خلال مروري بمطار هيثرو بعد العودة من رحلة إلى المنطقة، بادرني أحدهم بالعبارة التي وردت في ذهن كثيرين قبله: «سيدتي، لديك كل الأختام غير الملائمة على جواز سفركِ». فأتمنى أن يدفعه كتابي هذا، هو وسواه، إلى التفكير بأشياء أخرى غير العنف والصراعات عندما ينظرون بصورة خاطئة إلى «الشرق الأوسط» و«المنطقة العربية».

إذا كنت تبحث عن كتاب يثبّت صحة مخاوفك وهواجسك عن المنطقة العربية، فلن يكون كتابي هذا مقصدك. إني لا أنكر التحديات الأمنية التي تمثلها هذه المنطقة والدور الجيوستراتيجي المهم الذي تؤديه في السياسة الدولية، ومع ذلك فإننا لا نفتقر إلى الكتب التي تفسر لماذا وكيف تمثل المنطقة العربية

تحديًا أمنيًا، ومرتعًا للآراء الدينية المتطرّفة. ولا أنوي، هنا أو في أي مكان آخر، إضافة هذا الكتاب إلى لائحة كهذه.

ما زلت أذكر الكتاب الأوّل الذي نشرته عن منطقة الشرق الأوسط. فعلى الرغم من تناوله العلاقات الدبلوماسية في المنطقة، ولم تكن له علاقة بالعنف وانعدام الأمن، اقترح الناشر غلافًا له يُظهر أسلاكًا شائكة، ورجالًا مسلحين في الخلفية. وعندما سألت عن السبب، أجابت مندوبة التسويق بأن «هذا الغلاف يقدم نوعًا من الاختصار الذهني للقراء، فيعلمون أنه كتاب يتحدث عن منطقة الشرق الأوسط». وقد تكون مندوبة التسويق على حق في ما خص تصوّر كثر من الناس عن المنطقة العربية، لكن لم يكن التصوّر الكامن في طرح كهذا أو نصيحة كتلك صحيحًا. ويذكرني غلاف الكتاب المُقترح بالرؤية قصيرة المدى التي لدينا في الغرب عن المنطقة العربية.

على المرء أن يفكّر في أشياء كثيرة عندما يتعلّق الأمر بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، خصوصًا أنّ هذه المناطق تشهد تغييرات كبيرة. وأثبت الربيع العربي ذلك، وهو ليس إلا بداية. فيُكتب في كثير من الأحيان عن المنطقة العربية باعتبارها الجزء الفارغ من الكوب. يتحدث هذا الكتاب عن الجزء الملآن من الكوب، عن جانب من القصة لا يتمثّل في كثير من الأحيان في الخطاب العام؛ أي عن منطقة فتية مليئة بالأمل، وتطمح إلى التقدم والوصول إلى مستقبل زاهر.

سينتقد كثيرون هذا الرأي بلا شك، ويصفونه بالساذج أو الخاطئ، وسيقولون إنني انتقيت القصص الجميلة والمعلومات الجيدة فحسب. لكن علمتني جدتي مثالًا عربيًا رائعًا، يُفسّر القيمة التي يتميّز بها هذا الكتاب: «أضيفي شعرة إلى شعرة، وستحصلين ذات يوم على لحية». يجب أن نركّز أحيانًا على الأخبار الإيجابية، والحوادث والمبادرات الصغيرة، إذ يُمكن أن نرى من خلالها شيئًا آخر يرتسم؛ قصة متشابكة وقوية ذات خيوط متعددة.

لا أدعي بوصفي أستاذة جامعية بأنّ ملاحظاتي وقصصي ستقود إلى استنتاجات واضحة ونهائية عن مستقبل المنطقة العربية، ولا أنكر التحديات

البنيويّة الموجودة فيها، بل أقترح على العكس الكثير من الأفكار السياسية في الخاتمة، التي يجب أن تتحوّل إلى قوانين كي تستفيد المنطقة من قدراتها بشكل كامل. وعلمني بول كروغمان (Paul Krugman) أنه إذا لم يضع الأكاديميون جانبًا رغبتهم في إثبات أطروحة ما، فإنهم لن يتحولوا إلى مفكرين جماهيريين مؤثرين ونافذين. لذا فإني أضع، في هذا الكتاب، هذا الدافع الأكاديمي الصارم جانبًا، لتسليط الضوء على الشباب الذين التقيتهم في المنطقة العربية، والذين منحوني الأمل الكبير في مستقبلها.

بهدف تظهير هذه الأصوات، قمت بإدارة مجموعات مناقشة مركزة في بلدان عدة كالمغرب ومصر والأردن، وكذلك مع طلاب سعوديين وقطريين وسوريين يعيشون بشكل موقت في كندا. وحضرت أيضًا مؤتمرات واجتماعات لمناقشة التحديات التي يواجهها الشباب في الإمارات العربية المتحدة. كما أجريت مقابلات شخصية مع شباب من المغرب ومصر والأردن وسورية ولبنان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، إما مباشرةً عبر سكايب، وإما في مؤتمرات عالمية واجتماعات. وحاولت التحدّث إلى شباب من المناطق الريفية والمجتمعات الفقيرة والمعدمة، حتى لا أقع في خطأ الانحياز في الاختيار، وإلى شباب لم يلتحقوا دائمًا بالجامعات. وجاء بعض من هذه المقابلات التي أجريتها في شكل اجتماعات تلقائية ومرتجلة مع شباب في أسواق تجارية ومحطات القطار والحافلات وسيارات الأجرة. كنت أفضّل بالطبع التحدّث إلى شباب في أماكن مريحة مثل مقاهي ستاربكس، لكني حاولت التحدث إلى شباب من مناحي الحياة المختلفة لإعطاء نظرة جيدة ومقرّبة عن أفكارهم وطموحاتهم. وفوجئت بأنه على الرغم من الاختلاف في أساليب حياتهم وتجاربهم الحياتية، يتشارك الشباب الذين ينتمون إلى أطياف اجتماعية – اقتصادية وتعليمية مختلفة، الكثير من التوقعات. وتكمّل هذه القصص نتائج المسوحات التي قامت بها المعاهد الأكاديمية والسياسية، لإعطاء صورة شاملة عن منطقة الشرق الأوسط، وعن أفكار الشباب العرب ومشاعرهم عن الحياة فيها.

قمت بدراسة الاختلافات الإقليمية ومناقشتها، حيثما كان ذلك ممكنًا. ومن الساذج القول، في خلال جمع الآراء عن الاختلاط والتعدد، إن الشباب في لبنان، هذا البلد التقدمي نسبيًا، والشباب في المملكة العربية السعودية المحافظة دينيًا، يتشاركون تجارب الحياة نفسها. وفوجئت أيضًا، على الرغم من كوني خبيرة متخصصة بالعالم العربي وأتمتع بفهم واضح للفروق الثقافية الفرعية في المنطقة، بتقارب آرائهم. أخيرًا، تمكنت من مقابلة مسؤولين حكوميين وأكاديميين ومحللين سياسيين وموظفين في الخدمة المدنية الدولية وعاملين على هذه المسائل، ونقلت عنهم مباشرةً حينما رأيت ذلك ملائمًا. وأتمنى أن يقدم كتابي هذا الخيوط التي ستنسج مفهومًا كاملًا عن المنطقة العربية، على الرغم من أنه لا يشكل منهجًا دراسيًا وأكاديميًا نوعيًا.

أحاج بأنه أصبح من الممكن، بفضل هؤلاء الشباب، رؤية مستقبل سياسي واقتصادي واجتماعي إيجابي للمنطقة العربية. وأريد أن أشرح هنا سبب أهمية هذا الأمر بالنسبة إليك أنت أيها القارئ بصفتك مواطنًا عالميًا. فأنا بوصفي خبيرة اقتصادية وسياسية، أرى قيمة كبيرة في قصص الشباب العرب وتجاربهم، وأرى أنه من الضروري كشف هذه القصص. وأنوي في الوقت نفسه تأطير هذه القصص ضمن موضوعات ذات أهمية عالمية وكونية. وستكون للحوادث الحالية في المنطقة العربية انعكاسات على العولمة والاقتصاد والتجارة والدبلوماسية الدولية وتطوّر الأعمال والديموغرافيا والديمقراطية والتحضر والهجرة والبيئة والإنتاج الثقافي، على سبيل الذكر لا الحصر.

إذا كنت تفخر مثلي بهؤلاء الشباب الذين احتلوا ساحات العالم العربي وميادينه في عام 2011، فعليك أن تعلم أن هذه الفئة العمرية تضم أغلبية السكان العرب، وهي ستنتج زعماء المستقبل وصنّاع القرار. ويدفعني تعطشهم إلى حكومة تخضع للمساءلة السياسية، وإلى القضاء على الفساد، وسعيهم من أجل نظام يعتمد على الجدارة والعمل المنتج اللائق والعدالة الاجتماعية، إلى التفاؤل بمستقبل المنطقة. فأنا أومن بأن العالم العربي سيُشكّل مجتمعات مزدهرة اقتصاديًا وديمقراطية وعادلة. وليس علينا الذهاب بعيدًا في الماضي

لرؤية الفوضى التي كانت تعم أوروبا؛ إذ كانت أوروبا، إبان الحقبة التي عاش فيها جيل والدي، غارقة في الفوضى الاقتصادية والتطهير العرقي والخلافات الطائفية والتنافس أو العداوة بين البلدان. وأذكر تلك الأيام عندما كان يُقال لي في كلية الدراسات العليا إن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا «هي مناطق مملة لدراستها». فلو لم ألتزم نصيحة أحد الأساتذة المتبصرين، لكنت أصبحت متخصصة بأميركا اللاتينية، حيث شهدت هذه المنطقة في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته الحوادث المهمة كلها: الحروب الأهلية والانقلابات والشعبوية الاقتصادية وتجارب يائسة في الاشتراكية والرأسمالية. فإذا كان الجزء الأكبر من الشباب العرب الثلاثة آلاف الذين شملهم الاستطلاع في خمسة عشر بلدًا، يعتقد «أن الأيام المقبلة ستكون أفضل»، فإني أرى من الضروري الإبقاء على عقل منفتح في ما يخص هذه المنطقة.

من هم هؤلاء؟

من الصعب إيجاد وسيلة سهلة لتحديد الإنسان العربي وهويته. فهل ستكون وسيلة لغويّة أم ثقافية أم تاريخية أم جغرافية؟ ويُضاف إلى ذلك التعقيدات الخاصة بالدول الاثنتين والعشرين المنضوية في جامعة الدول العربية، والاستخدام القابل للتحوير في كثير من الأحيان لمصطلح «الشرق الأوسط» و«شمال أفريقيا»، وواقع المنطقة العربية الذي يتميّز بتعدّد اللغات والثقافات والأديان، الأمر الذي يجعل عملية وضع تفسير مقبول مهمة صعبة. وأعترف بأنّ مصطلح «عربي» يمكن أن يضم ويقصي فئات معيّنة من الناس. فالمنطقة العربية تشكل، بالنسبة إلي، نسيجًا من المجتمعات الإثنية والثقافية والدينية واللغوية المختلفة، تعيش في منطقة تستخدم العربية باعتبارها اللغة السائدة. ويُعتبر هذا النسيج رائعًا، لكن ما يحزن هو التجانس المتزايد الذي تدفعه هجرة الأقليات، وفرض اللغة العربية وثقافتها من الأنظمة الاستبدادية. إن صعود الجماعات المسلحة والمتشددة، المعتمِدة تفسيرات خاطئة للإسلام – التي لا تجد صدى لها لدى أغلبية الشعوب العربية – هي الملومة على تحويل البيئة الاجتماعية للأقليات الدينية إلى بيئة تتقلص فيها قدرة هذه الأقليات على

تحملها. فالأقليات الإثنية والثقافية المختلفة في العالم العربي، مثل الأشوريين والأرمن والشيشانيين والبربر والأكراد، على سبيل المثال لا الحصر، لم تجد المنطقة مضيافة، ومن الجيّد اليوم الاطلاع على دراسات أكاديمية تعيد اكتشاف هذه التقاليد الثقافية والقصص، وتؤرخها.

أما وقلت ما قلت، فيحتاج هذا الكتاب إلى حدود فاصلة مادية ومتخيلة على حد سواء؛ إذ تم استخدام تسميات «المنطقة العربية» أو «منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» أو «منطقة الشرق الأوسط» فحسب، بالتناوب في هذا الكتاب، غير أنها تتضمن جميعها مجموعة واضحة من البلدان التي تعتبر نفسها عربية بشكل عام. ولا تدخل ضمن هذه التسميات بلدان مهمة في الشرق الأوسط تعيش فيها أقليات عربية مثل تركيا وإيران و«إسرائيل». وسأستبعد أيضًا البلدان التي يعتبرها بعضهم عربية، أو التي لا تتحدّث العربية لكنها تنتمي إلى جامعة الدول العربية، مثل جيبوتي وموريتانيا وجزر القمر والصومال[1]. فيبقى لنا ثمانية عشر بلدًا من مناطق المغرب العربي والمشرق العربي والخليج. ويعتمد هذا الكتاب دائمًا درجة من التعميم في محاولة لفهم الاتجاهات بشكل أشمل.

إن تعريف مصطلح «الشباب» ليس هو الآخر موضوعًا بسيطًا، بفعل اختلافه بين بلد وآخر، وثقافة وأخرى. إن مرحلة الشباب هي نظريًا تلك التي تقع بين وقت انتهاء اعتماد الطفل على أهله، ووقت حصوله على وظيفة بوصفه بالغًا واستقلاله عن أهله. وبتعبيرات الثقافة، «الشباب» هي المرحلة التي لا يعود المجتمع فيها ينظر إلى المرء على أنه إما طفل وإما بالغ. لدى بعض الثقافات، يتحقق البلوغ عندما يترك الشاب بيت أهله، ولدى بعضها الآخرعندما يتزوّج. لكن إذا اقترن الزوجان في عمر التاسعة عشرة، فهل يمكن اعتبارهما بعمر الشباب؟ أم هل إن الشاب هو ذلك الشخص الذي بلغ السابعة والعشرين

(1) على عكس ما تقوله المؤلفة، فإن هذه البلدان تتحدث العربية وثقافتها عربية ولعل بعضها يتفوق في هذا المجال على غيره، ويمكن هنا استثناء جزر القُمُر حيث اللغة القُمُرية هي الأكثر استخدامًا، وهي لغة قريبة من اللغة السواحلية ومتأثرة بالعربية إلى حد كبير، وتعد واحدة من اللغات الرسمية الثلاث في جزر القمر، إضافة إلى اللغتين الفرنسية والعربية [م].

من العمر، وما زال يعيش مع أهله؟ يعتمد كثير من الشباب في هذه الأيام بشكل متزايد على أهلهم أو أولياء الأمور حتى عمر البلوغ، ولو حصلوا على أشكال معينة من الوظائف. وهذا يعني أن عمر الشباب هو مفهوم ملتبس، يعتمد على الاقتصاد العالمي والقيم الاجتماعية المتغيّرة. وللتبسيط، يشير الاستعمال الرائج لكلمة الشباب إلى أولئك الذين تراوح أعمارهم بين الخمس عشرة سنة والأربع وعشرين، وسيُعتَمد هذا الاستعمال دليلًا في هذا الكتاب، ما لم يُذكر خلاف ذلك. ويشمل الكثير من الدراسات وجميع المقابلات المشار إليها أيضًا الشباب ضمن هذه الفئة العمرية.

شكّل الشباب حوالى 20 في المئة من سكان العالم العربي في عام 2010، وستبلغ النسبة 17 في المئة في عام 2030. وأنا سأتفحص من هم هؤلاء الشباب، وكيف يؤدون دورًا مهمًا في المجتمع العربي والعالم. تُعد الشعوب العربية، بحسب بعض التقديرات، أفتى سكان العالم. ويشعر كثير من أصحاب الأعمال بالتفاؤل حيال أفريقيا بسبب ديموغرافيتها وفتوة سكانها. ويُضاف إلى أسباب التفاؤل مكاسب أفريقيا في مجال الابتكار وروح المبادرة وإنهاء الكثير من الحروب الأهلية. وناقشت موضوعات أغلفة مجلات مثل *The Economist* و*Time* و*Newsweek*، بعناوين من قبيل «كيف أصبحت أفريقيا آسيا الجديدة»، عملية تجاهل النجاح الأفريقي. ودخل عدد من أهم الاقتصاديين، مثل بول كولبير (Paul Collier) ووليام إيسترلي (William Easterly) ودامبيزا مويو (Dambisa Moyo)، قائمة أصحاب الكتب الأكثر مبيعًا من خلال تظهيرهم تفكير الغرب وهيئات المساعدة الدولية القصير النظر حيال التطوّر الاقتصادي الأفريقي، حيث لا تعكس صورة أفريقيا المضروبة بالمجاعة، وحملات التوعية الهوليوودية التي يقوم بها كل من بونو ومادونا وأوبرا، بحسب بعض الخبراء، إلا جانبًا واحدًا من المشهد في تلك المنطقة. ويعيش اقتصاديو أفريقيا ورجال أعمالها طفرة اقتصادية بفضل القطاع الخاص الخارجي والمحلي.

تشكل أفريقيا، من الناحية الديموغرافية، أداة مقارنة مفيدة بالمنطقة العربية. وعلى الرغم من صعوبة التفاؤل في ما يخص منطقة الشرق الأوسط وشمال

أفريقيا، وبنسبة أقل أيضًا في ما يخص دور شبابها، إلا أنني أرى أن المنطقة العربية حققت مؤشرات اجتماعية واقتصادية ونسبة تحصيل علمي أفضل من جارتها الأفريقية. ويجب على الدارسين والباحثين عدم تجاهل العالم العربي، فهناك الكثير من دواعي التفاؤل، كما سأظهر وأوثّق.

غالبًا ما يعتبر المنظّرون السياسيون والنقاد أن الشباب مشكلة. وكثيرًا ما نسمع عند وصف انخراط الشباب السياسي وديناميتهم، عبارات مثل «الانتفاخ الشبابي» أو «الزلزال الشبابي». ولا توحي عادةً كلمات مثل انتفاخ وزلزال بأفكار سعيدة. وتستحضر صورة عدد كبير من الشباب في مكان واحد أو في وقت ما مثال العصابات وانعدام الاستقرار وأطفال الشوارع. ويعزز الإعلام هذه الأمثلة، ما يدفع كثيرًا من السياسيين إلى الحذر في التعامل معهم. وقد يكون من التعميم القول إن الشباب نادرًا ما يُنْظر إليهم بوصفهم قطاعًا مهمًا من المجتمع، لكن لا يرى الزعماء السياسيون في كثير من الأحيان الشباب الناشطين سياسيًا مصدرًا محتملًا للأصوات أو حاملًا ناظمًا للتوعية الديمقراطية. رفع انتخاب باراك أوباما في عام 2008 إلى حد ما الاهتمام بالنشاط السياسي للشباب، وبأدوات كوسائل التواصل الاجتماعي. لكن لا يزال ثمة انطباع بأنّ الشباب يحتاجون إلى استيعاب أو ضبط. والمؤسف أن هذا الأمر يشكّل مشكلة تصوّر داخل أروقة السلطة في الكثير من دول العالم العربي وربما في الغرب.

إن لهذا التصور ممثليه في المجتمع الأكاديمي أيضًا. ويوجد ضمن النظرية السياسية الكثير من الدراسات الكلاسيكية التي تحاول تحديد نقطة الانهيار، أي النقطة التي سيؤدي فيها وجود عدد كبير من الشباب إلى العنف والفوضى. اعتبر صموئيل هنتنغتون، وهو منظّر سياسي مهم في شؤون العالم النامي – ولاحقًا المثقف الشهير الذي حوّل نظريته عن «صدام الحضارات» إلى ركيزة اهتمام جماهيري – أن «الشباب هم أبطال الاحتجاج وعدم الاستقرار والإصلاح والثورة»[2]. وحدّد هنتنغتون، مع اعتماده على أعمال مؤرّخ سياسي

(2) Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: Simon and Schuster, 1996), p. 119.

مميّز آخر هو جاك غولدستون (Jack Goldstone) (الذي يُعتبر عراب الكتابة عن الثورات)، أن لدى بلوغ عدد الشباب في العالم الإسلامي ذروته، فإن ذلك سيقود إلى التظاهرات والثورة. واعتبر أن في الإمكان تفسير الثورة الإيرانية في عام 1979، والاعتراضات السياسية في الجزائر في عام 1992 بالانتفاخات الشبابيّة.

فسّر خبراء مثل فؤاد عجمي آراء هنتنغتون بأنها تحذير من صعود الأصولية الإسلامية في العالم العربي. وعلى الرغم من وجود الكثير من النظريات التي تناقض آراء هنتنغتون وتشير إلى مجموعة من العوامل الأخرى التي تُفسّر هذين الحدثين التاريخيين، وصعود الإسلام السياسي بشكل عام، فإن تأكيده الافتراض الذي يقول إن الشباب يقوّضون الاستقرار السياسي هو ما أود الاعتراض عليه.

فلو عاش هنتنغتون للتفكير في شأن الربيع العربي، لكان شعر على الأرجح بتلك النشوة الأولية التي شعر بها الشباب المصريون في ميدان التحرير، ولكان أطلق رأيًا جديدًا لم يكن قد وضعه من قبل. وأشار هنتنغتون إلى أن «الانتشار السريع للتعليم ومحو الأميّة في العالم العربي خلق فجوة بين جيل شباب متعلّم وجيل أكبر سنًا أمي بشكل واسع، وهكذا فإن انفصالًا بين المعرفة والسلطة، سيضغط كما يبدو على الأنظمة السياسية». هناك شباب عرب مقبلون ومتعلّمون وفائقو التواصل وأذكياء، ولن يتحمّلوا أن يخبرهم كبار السن أن مجتمعهم غير جاهز للديمقراطية والمحاسبة والحداثة. وهذا هو في رأيي بيت القصيد في الربيع العربي.

ماذا يريدون؟

تُعتبر عملية التحدّث إلى الشباب العرب عن رغباتهم وآرائهم ومواقفهم تجربة مفيدة جدًا. وأرى بصفتي مدرّسة للشباب أنني أتعلّم من طلابي تمامًا كما أود أن يتعلموا مني؛ إذ ولّت تلك الأيام التي كان يخطب فيها الأكاديميون ويحاضرون من فوق منبر أمام جمهور من الطلاب. ويعزو بعضهم هذا الأمر

إلى انخفاض فترة الانتباه والتركيز، وإلى الحاجة إلى محفّز دائم لطلاب اليوم. وكما يقول أحد الزملاء: «إذا لم تصبح كمادونا في جولة غنائية، ستفقد جمهورك». أرى أن الشباب اليوم يتعلمون أفضل عندما يتفاعلون ويفكرون، بدلًا من الحفظ والتكرار، وهذا جوهر ما يولّد «مهارات التفكير النقدي». ويُعتبر الاستماع إلى الشباب من الضرورات المهنية بالنسبة إلي، واعتمدت روح «التعلّم الناشط» في وضع هذا الكتاب.

فماذا يعتقد الشباب العرب؟ وماذا يريدون؟ عندما نزل ملايين المصريين إلى الشوارع في ثورة يناير 2011، رددوا عبارة «الخبز، الحرية، العدالة». وردد الشباب في بلدان أخرى مثل ليبيا وسورية واليمن، عبارات مثل «الشعب يريد إسقاط النظام» و«نطالب بالاحترام». ومثّلت هذه العبارات الكثير: تحقيق أحلام الشباب، وعدم اقتناعهم بقدرة الحكومات العربية على مواكبة توقعاتهم. وحللتُ هذه الشعارات، في خلال تنظيمي فصول هذا الكتاب، لفهم الطريقة التي يرى فيها الشباب العرب حقيقتهم في تناقض صارخ مع الأجيال السابقة، ولفهم الكثير من أوجه القصور التي يرونها في حكوماتهم. من المؤكّد أن الشباب العرب يعالجون الإخفاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بأساليب خلّاقة ومبتكرة، ويشعرني هذا الأمر بالتفاؤل في شأن مستقبل العالم العربي.

أتحدث في **الفصل الأول** عن طلب الشباب العرب «الخبز»، ويشير هذا الطلب إلى الرغبة في الحصول على الكرامة الاقتصادية والعمل المنتج. يتعلّم الشباب العرب في الأغلب، ويرتفع عدد المتخرجين في الجامعات بوتيرة تُعتبر الأسرع في العالم. وينتمي كثير منهم إلى ما أطلق عليه ريتشارد فلوريدا «الطبقة المبدعة»؛ وهي مجموعة من العمال الاقتصاديين والاجتماعيين الذين ينتجون ويبيعون أفكارهم ومعرفتهم وابتكاراتهم في المهن ذات القيمة المضافة. وعلى الرغم من المفاهيم الخاطئة الشائعة، يحتل العالم العربي مرتبة عالية نسبيًا في الموازين التي تقيس هذه الطبقة المبدعة. فمثلًا ينتمي أكثر من عامل واحد من بين خمسة عمال إلى هذه الطبقة المبدعة، وتوجد منهم أعداد كبيرة في أمكنة مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر. وتشير

الإحصاءات في الصين (وهي من الأمكنة التي تحتل حيّزًا كبيرًا في الخيال الشعبي الغربي) إلى انتماء أقل من عشرة في المئة من اليد العاملة إلى هذه الطبقة المبدعة، ما دفع بعضهم إلى القول إن بإمكان الصين نسخ هواتف الآيفون وإنتاجها، لكنها تفتقر إلى رأس المال البشري للخلق والابتكار. وفي الواقع تتخطى نسبة الالتحاق بالجامعات في المناطق الفلسطينية التي تمزقها الحروب تلك الخاصة بهونغ كونغ. فإذا نظرنا إلى العالم العربي، نجد أن هذه النسبة مرتفعة جدًا؛ فنسبة التحاق الشباب بالجامعة في لبنان وليبيا مثلًا مساوية لتلك الخاصة بكندا[3].

على الرغم من عدم وجود نقص في أعداد الشباب العرب المتعلّم، إلا أنهم يواجهون الكثير من التحديات عندما يبحثون عن الفرص للاستفادة من تعليمهم. فيبقى كثير من الشباب عاطلين من العمل كليًا أو جزئيًا بعد التخرّج. وتتضمّن هذه التحديات النظام السياسي والاجتماعي الفاسد الذي يتميّز بمحاباة الأقارب والشبكات العائلية للحصول على الوظائف، ما يحدّ من قدرة الشباب المتعلمين على التنافس بالاعتماد على الجدارة. وتواجه النساء هذه التحديات أكثر من الرجال. وعلى الرغم من أن المتخرجات في جامعات العالم العربي أكثر من المتخرجين الرجال، تصل نسبة البطالة عند النساء أحيانًا إلى ضعفي النسبة عند الرجال[4].

ترتفع نسبة ريادة الأعمال بشكل غير مسبوق في العالم العربي، مع تراجع الخيارات التقليدية. وهي من الوسائل التي تعتمدها الشابات العربيات لمواجهة التحيّز الجنسي في أمكنة العمل؛ فعلى سبيل المثال، في حين تمثل النساء عشرة في المئة من قطاع الأعمال العالمي، فإنهن يمثلن في لبنان أكثر

(3) Richard Florida, «The Revolt of the Creative Class,» *The Atlantic*, 3/3/2011, Available at: <http://www.theatlantic.com/international/archive/2011/03/the-revolt-of-the-creative-class/71829>.

(4) «Gender Inequality and Entrepreneurship in the Middle East and North Africa: A Statistical Portrait,» (OECD-MENA Investment Programme, December 2013), Available at: <http://www.oecd.org/mena/investment/Statistical%20Portrait.pdf>.

من ثلث رواد الأعمال[5]. ويُعتبر كثير من الشابات والشبان الذين تحدثت إليهم من رواد الأعمال (أصحاب المشروعات) الطموحين الذين يتطلعون إلى مواقع جديدة رائدة على المستوى الوطني في القطاع الخاص، ولديهم ما يقولونه عن كيفية إطلاق الاقتصادات الوطنية والإقليمية وتحديثها. وسلّطت الضوء في هذا الفصل على عملية تحدي روحهم الريادية وأفكارهم الخلاقة لحارس المحسوبية القديم، ولماذا إحصاءات السكان في مصلحتهم، تدفعهم إلى تحقيق النجاح.

أتحدث في الفصل الثاني عن «الحرية»، وأتفحص كيف يفكّر الشباب العرب في ما يخص الحكومة والسياسة، خصوصًا اعتمادهم على منتديات شبكات التواصل لتحدي الوضع السياسي الراهن ومواجهته. ويبحث الشباب العرب اليوم، على عكس الأجيال السابقة التي وافقت على حكم «الأقوياء»، عن قادة تمكّنهم إنجاز المهمات. وساد الاعتقاد لمدة طويلة في الدوائر السياسية، خصوصًا في واشنطن، أنّ العرب يريدون رجالًا أقوياء كحكام مستبدين. ولا أرى أن هذا الاعتقاد يساعد في تفسير سياسة المنطقة، في الأقل لأنه ينحدر إلى مستوى الحجج الثقافية التي تقول إنّ العرب يحترمون المسيء لهم، أو يرون ببساطة «القوة حقًّا». إنها رؤية سياسية شعبية، وهي تذكّرنا أيضًا بكتاب المؤلف في علم النفس الثقافي رافائيل باتاي (Raphael Patai) لعام 1973، **العقل العربي** (*The Arab Mind*)، الذي قدم دروسًا في كيفية السيطرة على العقل العربي، واعتبر أن هذه الدروس استمدت شرعيتها من تصرفات العرب أنفسهم. وعندما فضح سيمور هيرش (Seymour Hersh) في **النيويوركر** (*The New Yorker*) سوء معاملة السجناء العراقيين في سجن أبو غريب، اعتبر أن كتاب باتاي كان ملهمًا للمحافظين الجدد في إدارة بوش في سياستهم لاحتواء العرب. ويأتي الكتاب، كما حادثة أبو غريب، تذكيرًا بالطرائق المختلفة التي نزع المحللون الأجانب بواسطتها الإنسانية عن العرب.

Bassem Aoun, «Entrepreneurship for Growth-Starting Small not a Bad Idea,» (Your Middle East, 23 August 2013), Available at: <http://www.yourmiddleeast.com/business/entrepreneurship-for-growth-starting-small-not-a-bad-idea_17312>. (5)

كشف الربيع العربي، في رأيي، زيف الرأي القائل بقبول العرب بالمتسلطين والأقوياء حكامًا؛ إذ خلت هذه الثورات من القادة الذين يتمتعون بشعبية، ولم يأسر أيًا منهم مخيلة الثورات حتى الآن. وطالب المجتمع الدولي المجموعات الثورية بإيجاد قادة حتى تتمكن القوى الخارجية من التحدّث إلى محاورين. لكن الشباب العرب لا يبحثون بصراحة عن قادة جدد فوق المعتاد. ولا يبحثون عن قادة يحتلون المنابر، ويطلقون التصريحات لإعادة الثقة عبر الخطب والوعود الفارغة. ولا يريد العرب، خصوصًا الشباب، الخضوع للأقوياء والمتسلطين، الحقيقيين أو الخياليين، حيث طفح بهم الكيل من هؤلاء القادة القادرين على كل شيء. وهكذا، عندما كان الرئيس المصري السابق محمد مرسي يوجه خطبه إلى الأمة، وعندما وقف الرئيس السوري بشار الأسد أمام دار الأوبرا في دمشق ليعطي رجال الدولة درسًا في الجغرافيا السياسيّة، كانا منفصلين تمامًا عن دينامية هذه الثورات التي يقودها الشباب.

أظهرت الثورات العربية أن الخطب الحماسية الخاصة بالماضي - تلك الخطب التي كانت تشير إلى الثنائيات القديمة «نحن مقابل هم»، والتي تحدثت عن عدو خطر - لا ترضي أو تقنع الشباب العرب الذين يستطيعون الوصول إلى المعلومات والتحليلات من أنحاء العالم المختلفة. فهو يتوق إلى حكومات تخضع للمساءلة، ويمكنها تحقيق البحبوحة، بدلًا من تبرير وجودها على أساس وجود عدو خطر. فلن ترضيَ الخطب الطويلة والحجج الأيديولوجية المعقدة، طبقةً المتعلمين وكثيري الأسفار والكوزموبوليتانيين الذين يزدادون عددًا. إن أعدادًا متزايدة من العرب يدعون القادة إلى محاربة الفساد والمحسوبيات، مطالبين بالإصلاح بكل ما في الكلمة من معنى.

أتحدث في **الفصل الثالث** عن «الهوية»، وأدرس كيف يرى الشباب العرب أنفسهم، وكيف يرون مكانهم في المجتمع. فمنذ زمن طويل تقوم الحكومات العربية ورجال الدين والزعماء والإعلام الرسمي، بعرض صورة لمجتمعات مؤمنة وخاضعة، ليقوم المواطنون بالتماهي معها. وبالنسبة إلى كثير من الشباب العرب، يزيد البحث عن الكرامة والعدالة من إيمانهم الإسلامي، ولا ينظرون،

على عكس رجال الدين على المنابر، إلى هويتهم من زاوية التعارض بين مؤمنين وغير مؤمنين، بل إن شكل ممارستهم الدينية يتكامل في المزيج الذي يمكّن الشباب العرب من أن يكونوا غربيين ومؤمنين في آن؛ إذ تعب الشباب من الحكومات التي ترى في تديّنهم تهديدًا سياسيًا، حيث كان صعود الإسلام السياسي باستمرار، في نظر الحكومات العربية، كبش محرقة للاستبداد السياسي والقمع. مع ذلك، يجب عدم الخلط بين الإسلام السياسي و«تطرف المسلمين باسم الإسلام»، مثل وحشية ما يُسمى «الدولة الإسلامية» وإرهابها. يمكن أن يتكوّن الإسلام السياسي من مجموعات وأحزاب تعتمد بعقيدتها على تعاليم الإسلام، لكنها تحبّذ بوضوح العمل ضمن نظام سياسي ديمقراطي. ومن دون شك، فإن لدى كثيرين في المنطقة وخارجها ريبة من الجماعات والأحزاب السياسية الإسلامية، مثل تنظيم الإخوان المسلمين الواسع الانتشار في المنطقة. ويعتقد منتقدو الإسلام السياسي أن هذه الجماعات والأحزاب تريد أيضًا إنشاء دولة دينية على المدى الطويل، غير أنه نقاش كبير يتخطى نطاق هذا الكتاب. بالنسبة إلى غاياتنا، يُرى الإسلام السياسي أنه مجموعات وأحزاب تنبذ العنف وتريد الحصول على السلطة والصوت السياسيَّين، من خلال صناديق الاقتراع، وتوافق على المشاركة في انتخابات مستقبلية بعد أن تصل إلى السلطة. وبتعبير أمثل، سيكون مستقبل حركات الإسلام السياسي شبيهًا بأحزاب الديمقرطية المسيحية في أوروبا. وهي لم تصل بعد إلى هذا الحد، لكن أيضًا لم تُختبر أو تُجرب في العالم العربي. إن الإسلام السياسي أبعد ما يكون عن تعصب مجموعات مثل القاعدة والدولة الإسلاميّة اللتين تحتلان العناوين الرئيسة في التغطية الإعلامية للصراع في الشرق الأوسط.

قد يكون التحوّل إلى الروحانية، بالنسبة إلى الشباب العرب، وسيلة للتأمل الذاتي في نظام فاسد من المحسوبيات وهدر الكرامة واليأس الاقتصادي. إن نسق التوجه نحو التدين في المنطقة العربية ينبغي ألا يُنظر إليه بالتساوي مع انعدام التسامح والقمع. وعلى العكس، قد يستطيع المسلمون أن يكونوا غربيين في جوانب كثيرة من حياتهم. ويشهد العالم العربي حركة تمدّن سريعة، ومعها تتشكل هوية أكثر كوزموبوليتانية؛ حيث تختلط الهويات الثقافية والعرقية

والقبلية، لإفساح المجال أمام التنوّع والتعدد. وفي حين يلجأ السياسيون غالبًا إلى استخدام الهويات القبلية والمناطقية والدينية لتحفيز ركائز ضيقة من الدعم، يرفض الجمهور الشاب المتعلم والحداثي رفضًا متزايدًا هذه الانقسامات الاجتماعية. وتزدهر في المنطقة الآن حركات اجتماعية جديدة، من نوادي النساء لقراءة القرآن إلى نوادي دراجات هارلي دايفدسون، لتحل مكان انقسامات وتشكيلات اجتماعية قديمة. في أي حال، ترفض المنطقة العربية وشبابها الفكرة القائلة إن اعتماد الكوزموبوليتانيّة والحداثة يتطلّب التخلي عن إيمانهم الديني. ومن نواح عدة، هنا يكمن سبب الثورات العربية؛ إنها نتيجة لتقدم التعليم والتمدّن وتمكين الشعب العربي. فمن الصعب إقناع جيل الشباب أن عليهم الخضوع لمجرد أن شخصًا آخر يتحكّم بمكبر الصوت مدعومًا بالعصا التي تحميه. ويبقى تاليًا أن على الربيع العربي وضع حد لأطروحة أخرى سائدة هي «الاستثناء العربي» – أي إن العرب سيسيرون دائمًا في عكس الاتجاهات العالمية الحديثة، وسيفشلون في التقدّم – وللفكرة القائلة أننا لا ننتظر إلا رجلًا قويًا آخر بديلًا من أولئك الذين تمت إطاحتهم.

هناك في الواقع انبعاث فعلي للهويات الإسلامية، فالإسلام هو الديانة المسيطرة في العالم العربي. لكن إلى جانب صعود الإسلام السياسي، ثمة نهوض روحي يجذب الشبان والشابات العرب، لكنه ليس «الإسلام» الجائر (إذا كان يُمكن تسميته كذلك) الذي تعتمده الجماعات المتشددة (المقاتلة) والراديكالية التي تحتل صدارة عناوين وسائل الإعلام الغربية. يوجد اتجاه تصاعدي نحو الهويات الكوزموبوليتانية مع إعادة اكتشاف الشباب العرب لإيمانهم بسبل الحداثة. ينشأ الشباب العرب اليوم، بشكل عام، في المدن، على عكس الأجيال السابقة. وفي الواقع، تعد المنطقة العربية من أكثر المناطق حضرية في العالم، وما زالت وتيرة هذا التحوّل تتصاعد؛ إذ شهدنا بين عامي 1970 و2010 نمو حركة التحضّر بنسبة 400 في المئة، وستشهد السنوات الأربعون التالية نموًا في التحضر بنسبة 200 في المئة. في عام 2010، أقام في المدن 56 في المئة من أصل 375 مليون شخص عدد السكان العرب. وبحلول عام 2050، سيعيش 68 في المئة من بين ما يقدّر بـ 646 مليون شخص في

العالم العربي، في المدن[6]. فعندما يترك العرب الريف، ستتراجع عندهم أهمية الهويات البدائية للعشيرة والطائفة والقبيلة.

هذا يعني أن كثيرًا من العرب كان في خمسينيات القرن الماضي يتزوج من ضمن القبيلة. وكان التزاوج الداخلي يُعد وسيلة مفضّلة للحفاظ على الثروة والأرض والقرابة في الأسرة. أما اليوم، فيتراجع عدد الشباب العرب الذي يتزوج بهذا الشكل، متجاوزًا بذلك الخطوط الثقافية والعرقية والقبلية[7]. وسيؤدي ذلك حتمًا إلى نشوء هويات كوزموبوليتانية أقوى. أكثر من ذلك، يطغى لدى الشباب العرب اليوم الزواج من الإنسان الذي يحبه، وتتراجع الزيجات التقليدية. ويُعتبر لبنان من أكثر المجتمعات المنقسمة، حيث الطائفية متضمنة رسميًا في الدستور، وفي جوانب الحياة كلها. ويشتكي كثير من اللبنانيين من «الترويكا الرئاسية»، أي لزوم ثلاثة أشخاص للقيام بعمل شخص واحد: مسيحي ماروني، ومسلم سني، ومسلم شيعي. إنه مجتمع عميق التشظي، ومع ذلك نرى معارضة شديدة للطائفية من ناشطين شباب. وقاد هذا الأمر في لبنان إلى نقاش وطني في عام 2012، عندما طالب شبان وشابات بإمكان الزواج المدني الذي لا يسجّل انتماءاتهم الدينية. وأشارت صحيفة **الدايلي ستار** اللبنانية إلى أن نحو ثمانمئة من الأزواج اللبنانيين سافروا إلى قبرص ليتزوجوا مدنيًا. إن الضغط لانتزاع الموافقة على الزواج المدني والحصول عليه في النهاية كانا بمنزلة انقلاب بالنسبة إلى الشباب اللبنانيين، على أمراض الانقسامات الاجتماعية الكامنة في النظام الاجتماعي والسياسي.

يتبيّن التجديد في الحراك السياسي وفي النشاط الاقتصادي عند الشباب العرب أيضًا في إنتاجاته الفنية. وازدادت المنطقة العربية حيوية مع ازدهار هذه الأعمال الفنية، كالرسم على الجدران (غرافيتي) والأفلام وفنون الشارع

---

(6) United Nations Human Settlements Programme, *The State of Arab Cities 2012: Challenges of Urban Transition* (Nairobi, Kenya: United Nations Human Settlements Programme, 2012), p. viii.

(7) *A Generation on the Move: Insights into the Conditions, Aspirations, and Activism of Arab Youth* (Beirut: American University of Beirut, Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs, 2011), p. 25.

والشعر والغناء. ووجد الشباب العرب أصواتًا جديدة، وجمهورًا أكثر تلقيًا لفنونهم[8]. وتحوّل عالم الإنترنت إلى ملاذ للمثل العليا التقدميّة والليبراليّة، للمجتمع الذي يطمحون إلى بنائه. وآلفوا، عبر رفضهم الثنائيات، بين الحديث والليبرالي والإسلامي، بأساليب مبتكرة. وأتمنى عرض قصص هؤلاء الشباب وإصرارهم على مواجهة الانقسامات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تبدو مفيدة للزعماء أكثر من الشباب.

لماذا يعد هذا الأمر صائبًا؟

من السهل أن نغفل عن الصورة أمام التغييرات الكثيرة التي تشهدها المنطقة. فإذا كنت تعمل في مصلحة أو صناعة ما، فإنك لن تستطيع إهمال واحدة من أسرع الكتل السكانية استهلاكًا في العالم. وإذا كنت مهندسًا أو مخططًا مدنيًا أو مصممًا أو مسوّقًا أو مُعلنًا، فسيتمي زبنك على الأرجح إلى الكتلة السكانية النامية في العالم العربي، وليس إلى الكتلة السكانية الهرمة في أوروبا. ويُعتبر العالم العربي الفتي الذي يتحدى الأعراف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مهمًا بالنسبة إلى الغرب، وبالنسبة إليك أيضًا بوصفك مواطنًا عالميًا.

يتّسم المسار المستقبلي للنمو الاقتصادي والسلطة السياسية، وحتى العادات الاجتماعية التي صاغها «تراجع الغرب وصعود البقية الباقية من العالم»، وإن كان ذلك قابلًا للنقاش. ومن المفكرين إلى الأكاديميين الجماهيريين أمثال فريد زكريا (Farid Zakaria) وتوماس فريدمان (Thomas Friedman) ونايال فرغسون (Niall Ferguson) وبول كينيدي (Paul Kennedy)، كان مدهشًا الحيز الواسع الذي احتلته محاولات التنبؤ بانزياح القوة العالمية؛ إذ لم يعد الغرب قادرًا على احتكار قوة العالم، مع ظهور العولمة وتراجع تكلفة النقل والخدمات والمعرفة. أساسًا، لم يعد محرّك النمو للاقتصاد العالمي مركّزًا في الغرب، بل انتقل إلى البقية الباقية من العالم.

---

(8) انظر: Kate Seelye, «After the Spring, Arab Art Blossoms,» (Middle East Institute, 31 March 2014), Available at: <http://www.mei.edu/content/after-spring-arab-art-blossoms>.

كذلك ما عاد بإمكان الغرب أن يدّعي حصرية الابتكار ورأس المال والموارد. ويشير المثال الشائع عن تصنيع أجهزة الآيفون إلى عملية الإنتاج المعولمة، التي تزاوج بين التمويل العالمي في نيويورك ولندن، والخبرة الفنية في سيليكون فالي كاليفورنيا، ومراكز التجميع في جنغجو الصين، وأكثر من أربعمئة متجر لآبل في العالم (يقع أكبرها في أمستردام)، والتطبيقات المصممة حول العالم. وتحوّلت الشركات المتعددة الجنسية في ثمانينيات القرن الماضي، التي عملت في أكثر من بلد، إلى شركات عبر وطنية، مع قوى عاملة معولمة ومنتشرة، ومن دون مقار مركزية. وبناء عليه، ما عاد الإنتاج الاقتصادي وحده معولمًا، بل أصبحت المعرفة والابتكار والاستهلاك كذلك.

في عام 2001، أعلن جيم أونيل (Jim O'Neill)، الرئيس السابق لمجموعة غولدمان ساكس (Goldman Sachs)، عن تحوّل السلطة الاقتصادية العالمية إلى مجموعة دول البريكس (BRICS): البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا. ثم قام بعد عقد من الزمن بتحديث هذا الإعلان، فتحدث عن التحوّل إلى الميست (MIST): المكسيك وإندونيسيا وجنوب أفريقيا وتركيا. ولا تنقصنا اليوم قوائم المراقبة، من السيفتس (CIVETS) (كولومبيا وإندونيسيا وفيتنام، ومصر، وتركيا، وجنوب أفريقيا) إلى مجموعة العشرين (G20). وعلى الرغم من أن هذه القوائم باهتة بشكل من الأشكال، فمن الضروري ملاحظة أن النمو الاقتصادي سيعم وينتشر، ومعه القوة السياسية وأعرافها وثقافتها.

لا يمكن تجاهل جيل الشباب في المنطقة العربية عند محاولة فهم عملية انتشار القوة في المشهد العالمي الجديد، ويعود الفضل في ذلك جزئيًا إلى الشباب المتعلمين والمترابطين عبر شبكات التواصل. إن انتشار القوة في البقية الباقية من العالم هو جزئيًا موضوع ديموغرافي، إضافة إلى كونه موضوع نمو اقتصادي. فالغرب يتقدم في العمر، ومجتمعات سكانية متقدمة في العمر لا تؤمن يدًا عاملة فاعلة أو ثقافة إبداعية أو مجتمعًا مستهلكًا. إن شبابًا عالميًا هو الذي يبتكر وينتج ويستهلك ويصوغ الأعراف العالمية وأفكار المستقبل.

من السهل ملاحظة انتشار القوة الاقتصادية وقياسها، لكننا متشككون أكثر في ما يخص انتشار القوة والعادات الثقافية. ومن الواضح أن المنتوجات تُصنع في الأسواق الاقتصادية النامية أكثر من قبل. نلحظ هذا الأمر في حياتنا اليومية؛ وأنا أذكر سؤال ابنتي في صغرها عما إذا كانت جميع ألعابها تأتي من متجر «صُنِعَ في الصين». فمن الصعب تجاهل واقع أن مركز التجميع العالمي انتقل إلى خارج الغرب. لكن كيف انتشرت القوة؟ يناقش موسى نعيم (Moisés Naim) في كتابه المهم **نهاية القوة** (*The End of Power*) كيف يتمظهر انتشار القوة السياسية وكيف يجري تلمّسه. جوهريًا، لا يحصل انزياح القوة من الغرب إلى باقي العالم بفعل الحقائق الاقتصادية الخاصة بالعولمة فحسب، بل أيضًا «من القصور الرئاسية إلى الساحات العامة»، بفعل الحقائق الاجتماعية والعرفية والسياسية الخاصة بكيفية تواصلنا في ما بيننا وماهية تصوّرنا للسلطة. باختصار، يؤكد نعيم أن ما نشهده هو أن هذه القوة في طور الأفول. وسيصبح الاحتفاظ بالقوة، وكذلك الحصول عليها، أكثر صعوبة، حيث بات الناس أكثر تطلبًا، وعلى الحكومات أن تكون أكثر استجابة لشعوبها من أي وقت مضى، حتى تستطيع البقاء سياسيًا.

في إطار التمهيد لصفوف العلوم السياسية، نعلّم طلابنا التفسير الأساس للقوة: «القدرة على إجبار شخص ما على القيام بأمر لا يريد عادةً القيام به». أما القوة الآفلة، كما تصوَّرها نعيم، فتعني أنه بات أكثر صعوبة على القادة – أكان ذلك في عواصم السياسة أم في مجالس الشركات أم في البيوت – إجبار شخص ما على القيام بأمر لا يريد القيام به. ويعود هذا الأمر، جزئيًا، إلى تغير في سلوك الأجيال نحو القوة والسلطة؛ إذ أصبح من الصعب بالنسبة إلي مثلًا الطلب من أولادي القيام بأمر ما من دون أن أشرح لهم لماذا أريدهم أن يقوموا به. كما لا يريد طلابي أيضًا أن يُحاضَرْ بهم؛ حيث تغيّرت سلطتي وقوتي كأستاذة جامعية، مثلما تغيّرت سلطتي كأم. وبات علي أن أقنعهم بأنّ سلطتي شرعية من خلال المنطق، وليس من باب القوة أو الوجوب.

إذا وافقت أيها القارئ على مقاربتي القائلة إن العالم العربي يتغيّر من الداخل بفضل شبابه، فسترى عندئذٍ كيف أن ما يسمّى نهوض باقي العالم يشمل

الشباب العرب أيضًا. كيف سيتواصل الشباب العرب مع باقي المجتمعات، خصوصًا الغرب؟ من الآراء المحلية إلى التأثير العالمي المحتمل، يتناول الفصل الأخير الأهمية الدولية لهذا العائد الديموغرافي، أي التأثير الإيجابي لوجود جيل شاب في العالم العربي يتواصل مع الغرب وباقي العالم. وأدرس في الفصل الرابع الروابط بين جيل عربي شاب والغرب، وتأثيرها في مسار العلاقات الدولية الاقتصادية والجيوسياسية والثقافية.

ما عاد ممكنًا، مع تلاشي الحدود القومية عبر الكرة الأرضية، تجاهل التأثير الثقافي للغرب في العالم العربي، وتأثير الهوية العربية والإسلامية في المجتمعات الغربية المتعددة الثقافات؛ إذ أصبحت المنطقة العربية في نظر الغرب، وبشكل متزايد، مصدرًا للمهاجرين والعمال والمهارات. ويمثل هذا الأمر فرصة مزدوجة، من ناحية الروابط الاقتصادية والثقافية، ومن ناحية التحديات في شأن الحاجة إلى تطوير التفاهم المتبادل وإسقاط المفاهيم والصور القديمة عن «الآخر». ومع عودة مئات الآلاف من الطلاب العرب من الغرب بشهاداتهم العالية، سنكون قد حظينا بجيش من الدبلوماسيين العامين الذين يحملون معهم قيمًا وأفكارًا جديدة ستؤثر في مستقبل بلدانهم. وسيستفيد الشباب العرب من تجربة التنقل التي يشهدها العالم، حيث لم يعد ممكنًا اعتبار عملية تدفق الناس والأموال والأفكار ذات اتجاه واحد فحسب؛ أي من باقي العالم إلى الغرب. يزداد عدد المهاجرين الذين هم في طريقهم اليوم إلى أوروبا والأميركتين. وسيكون موضوع الفصل الرابع كيف ستؤثر حركة الطلاب والعمال والمهاجرين العرب هذه العابرة الحدود في المنطقة.

سأعالج في الخاتمة سؤالين: ما هي الطروحات السياسيّة التي قد تساعد الشباب العرب في تعزيز نجاحهم؟ وماذا عن تصاعد العنف والتعصب الديني في منطقة الشرق الأوسط؟ وستناقش التحديات الأمنية أيضًا، على الرغم من أنها ليست الموضوع الأساس للكتاب. وسيكون على صناع القرار العرب والغربيين التغلب على بعض تحديات السياسة، للسيطرة على النمو السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يمكن أن يرافق التحوّل نحو أكثرية عمرية

شابة في العالم العربي. وسيكون واحد من تحديات السياسة المشتركة في المنطقة العربية العمل على تعزيز النمو الاقتصادي المنتج والشامل، القادر على توظيف قدرات شبابها. وستنجح بلدان عربية أكثر من غيرها في قطف ثمار النمو السكاني. وستتصدّر دول وستنشأ تفاوتات وتقوم تحديات: ستصبح دول الخليج العربية الغنية بالنفط المستثمر الأساس في المنطقة، وستوسِّع على الأرجح الدول المكتظة سكانيًا، مثل مصر والمغرب، قطاعاتها الصناعية، وسيؤدي معظم الدول المشرقية الصغيرة، مثل لبنان والأردن والسلطة الفلسطينية، كما تونس، دور النواة الإبداعية؛ إذ جعل الربيع العربي من نجاح الشباب ضرورة سياسية أيضًا. وتعلم القادة السياسيون العرب أن عليهم تأمين الوظائف لمواطنيهم، وإلا فسيواجهون مصير المستبدين الذين أُطيحوا لأنهم خذلوا شعوبهم.

كما سيظهر هذا الكتاب، الشباب العرب هم جمهور يزداد تمكّنًا، والاتجاهات العالمية لا تحبذ رجعة مديدة إلى الحكم الاستبدادي. وقد يشكّل هؤلاء الشباب المتمكنون تحديًا سياسيًا إذا لم يحصلوا على فرصة حقيقية للمشاركة في بناء مجتمعاتهم. ولا يمكن تجاهل حقيقة أن كثيرًا من الشباب يتأثر بالعنف المنطلق من المنطقة، لكن من الضروري ألا يصبّ القادة العرب الزيت على النار باستخدام الاستعارات والخطب الطائفية. صحيحة هي العناوين الإعلامية الرئيسة التي تتناول محاربة الإرهاب في المنطقة، لكن لا ترد في تلك الإشارات إلا نادرًا الأمور المتعلقة بطريقة عيش أغلبية كبيرة من الشباب العرب، وبطريقة تفكيرهم في ما يخص أوطانهم والعالم. وآمل أن يعوّض كتابي هذا النقص.

الفصل الأول

الخبز

الكرامة الاقتصادية والعمل المنتج

عندما تفجّر الربيع العربي في عام 2010، كانت تتجهّز مسبقًا عاصفة كاملة من الضغط الاقتصادي على الشباب العرب. وواجه العالم العربي، في ظل أزمة مالية عالمية غاية في التأرجح، ارتفاعات ضخمة في أسعار الغذاء العالمية وأسعار الطاقة وتراجع في إمكان الحصول على قروض دولية واقتطاعات حكومية كبيرة في الدعم والخدمات. مع ذلك، كانت العقود التي سبقت الربيع العربي - وهي الحقبة التي شهد فيها الشباب ضعف الخدمات العامة، ونهوض المشروعات الخاصة - هي التي غيّرت تفكير الشباب في شأن العمل والكرامة الاقتصادية وعلاقتهم مع الدولة.

إنه لمن غير المجدي البحث عن تحديد مصدر الانتشار الواسع لليبرالية الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط، في خلال العقد الأخير من القرن الماضي والعقد الأوّل من القرن الحالي. وفي الإمكان تفسير الليبرالية الاقتصادية بشكل أفضل كنتيجة لانتشار الأفكار النيوليبرالية خلال عقدين من الزمان؛ إذ عانى الكثير من البلدان العربية، في خلال التسعينيات من القرن الماضي، الليبرالية الاقتصادية، وأدت هذه العملية إلى التخلي عن الدعم الحكومي وتوفير فرص للاستثمار الأجنبي وتقليص حجم القطاع العام. واعتمدت هذه السياسات، في بعض الأحيان، على الحاجة الماسة إلى الديون، التي تضمنت غالبًا شروطًا قاسية من المؤسسات المالية الدولية، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وبتشجيع من الجهات الغربية المانحة التي استخدمت دولارات مساعداتها لتعزيز اقتصادات السوق الحرة في المنطقة.

هذه الحركة باتجاه التحرير الأوسع للسوق، لمستها النخبة في العالم العربي. وسعى كثير من القادة العرب، برغبة وحماسة، إلى تبني السياسات الاقتصادية الليبرالية، متأثرًا بالأحاديث عن أمجاد السوق الحرة في أروقة مراكز

النفوذ، بما فيها، على سبيل المثال، النوادي الحصرية للمنتدى الاقتصادي العالمي. ورأى بعضهم في المشروعات الخاصة وسيلة دعم لعائلاته وللدوائر المحيطة به. وأشاد المسؤولون العرب وصانعو القرار (المتخرجون في أقسام الاقتصاد وإدارة الأعمال في الجامعات الغربية) بدورهم بفضائل سياسات السوق الحرة. وغيّرت متابعة هذه السياسات النيوليبرالية أيضًا في قناعة شباب اليوم في شأن العلاقة التي يجب أن تقوم بين الحكومات ومواطنيها وسُبُل تحقيق البحبوحة الاقتصادية. وفي تلك المرحلة من الليبرالية الاقتصادية، شرع الشباب العرب بتحدي أسلوب الحكم الاستبدادي العربي.

أولًا: 1990–2010
عقدان من الليبرالية الاقتصادية

استتبعت الليبرالية الاقتصادية، على المستوى الوطني، تخفيف الحواجز التي عوّقت في السابق التجارة العالمية والاستثمار الأجنبي والمشروعات الخاصة. وسمحت الإصلاحات القانونية للشركات الأجنبية وشجّعتها على تصدير البضائع إلى المنطقة العربية، وعلى إنشاء مكاتب وفروع لها في المنطقة. الكثير من هذه الإصلاحات القانونية فرضته العضوية الدولية في منظمة التجارة العالمية، أو جرى تفصيلها من خلال الاستثمارات الثنائية واتفاقات التجارة الحرة مع البلدان الغربية الكبيرة. وسمحت عملية التخفيف من الحواجز الاقتصادية والإصلاحات الاقتصادية المرافقة، أيضًا، للكثير من الأعمال داخل البلدان العربية ومحيطها بأن تنافس الشركات الوطنية أو الشركات المملوكة من الدولة، ما فتح فضاءً اقتصاديًا جديدًا كان قد أُقفِلَ مسبقًا أمام الشركات الصغيرة والمستثمرين الصغار.

شهدت المنطقة العربية اقتطاعات ضخمة في الخدمات الحكوميّة، وفي الوظائف الحكومية إلى حد أقل، مع فتح الحدود أمام الجديد من السلع والأموال والخدمات. استدعى الدخول في سياسات السوق الحرة أن يعتمد الكثير من الحكومات سياسات تؤدي إلى خفض الدعم الحكومي للغذاء والإيجارات والرقابة على الأسعار. كما قلصت هذه الحكومات حجم الخدمة

العامة من خلال الإقلال من التوظيف، وترافق الأمر مع تدهور قيمة الأجور تبعًا لارتفاعات التضخّم؛ ورفعت تكاليف التعليم الجامعي، وخصخصت أو حررت الصناعات المملوكة من الدولة؛ وأخيرًا خصخصت مجموعة من الخدمات الحكومية، بدءًا من إدارة النفايات إلى المطارات والاتصالات. وهكذا تقلصت بسرعة، خلال التسعينيات والعقد الأول من القرن الحالي، قائمة المنتوجات والخدمات التي كانت الدولة تقدمها في السابق مجانًا أو بأسعار مدعومة، في معظم أنحاء العالم العربي.

كانت النتيجة الإجمالية لهذه الليبرالية الاقتصادية ارتفاعًا في أسعار كل شيء تقريبًا. حصل تحسّن طبعًا في تقديم الخدمات، وظهرت منافسة أفضل في القطاع الخاص. في أي حال، تغيّرت الحياة بشكل كبير في العالم العربي، بعد عقدين من الليبرالية الاقتصادية. وارتفعت تكاليف الحياة في المراكز الحضرية بشكل خاص، مع تراجع الدعم على الغذاء والضوابط على الإيجارات والامتيازات الأخرى التي كانت تؤمنها الحكومة. وتحوّلت المدينة العربية إلى مدينة حديثة بالمعنى الغربي للكلمة، لكن أدى ذلك أيضًا إلى ارتفاع تكاليف الحياة هناك، وتكاليف التمتّع بهذه المرافق الحديثة. فليس مستغربًا، إذًا، أن نرى الشباب العرب اليوم أكثر انكشافًا أمام الخدمات والسلع العالمية مما كان عليه أسلافهم في أي وقت مضى. وقد يبدو القول مكررًا، إنما كثير من الشباب العرب نشأ وهو يأكل الماكدونالدز ويتبضع من كارفور ويشاهد الإم تي في. وعلى سبيل المثال، جاء جواب كثير من الشباب الذين قابلتهم في أنحاء المنطقة العربية المختلفة، عند سؤاله عن الأنشطة التي يقومون بها، متعلقًا غالبًا بالاستهلاك. فمراكز التسوّق والمقاهي والمطاعم ودور السينما كانت جميعها توفر ملذات الحياة العصرية.

بدا معظم المدن العربية في بداية التسعينيات من القرن الماضي غير متأثر بالقطاع الخاص وبالنمط الاستهلاكي. وكانت البضائع تُنتَج في الأغلب محليًا بواسطة الشركات المملوكة من الدولة في البلدان العربية الأكثر تقدمًا صناعيًا؛ مثل مصر وسورية والجزائر والعراق. وأتذكّر زياراتي إلى دمشق وبيروت وعمان حيث يتسوّق معظم الناس في المؤسسات التجارية التي تملكها الدولة.

ولم تكن ثمة لوحات متلألئة في الداخل، والواقع لا تكاد توجد أي إعلانات على الإطلاق. بدت هذه المحلات وكأنها جاءت مباشرة من العصر السوفياتي، مع ذلك لبّت لعقود حاجات الطبقة الوسطى العاملة: الأساتذة والموظفون والعاملون في القطاع العسكري. لم تكن أجور كثيرين منهم مرتفعة، لكن كانت أسعار السلع الأساسية والخدمات متوافرة معهم، ونوعيتها مقبولة، وتاليًا كانت معيشة معظم أفراد الطبقة الوسطى مؤمنة من خلال حصتهم الاقتصادية في الحياة. تلك المؤسسات اختفت تقريبًا اليوم، وذلك جزء من استراتيجية الحكومة باتجاه تحرير الاقتصاد والخصخصة. وبات الكثير من السلع التي كانت تُصنّع في العالم العربي يتنافس مع الماركات العالمية، ومع المنتوجات رخيصة التصنيع الآتية من شرق آسيا. وبالنسبة إلى أغلبية الطبقة الوسطى العربية، فقد باتت تدفع قيمة السلع الأساسية والخدمات بأسعار التجزئة، وهذا يعني تكبيد المحفظة العائلية عبئًا كبيرًا.

لم يكن هناك أسوأ من الاقتطاعات الحادة في النفقات العامة في العالم العربي. فعلى سبيل المثال، كان حجم هذه النفقات بوصفه نسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي 23.6 في المئة في ثمانينيات القرن الماضي، وتراجع إلى 22.1 في المئة في التسعينيات، وإلى 17.2 في المئة في العقد الأول من القرن الحالي. في الواقع، إذا قرأنا بيانات البنك الدولي[1] عن إنفاق جميع الحكومات في البلدان النامية على الخدمات العامة بوصفه نسبة مئوية من الناتج المحلي، وقارنا أرقامها على مدى السنوات، لرأينا كم هي الهوة كبيرة في الإنفاق العام الذي اعتُمد في المنطقة العربية. ففي حين أن الاتجاه العالمي يتسم بتراجع إجمالي للإنفاق العام، كانت المنطقة العربية تتسم بالتراجع الأقصى.

مع انخفاض التمويل العام، تراجع الكثير من الخدمات التي كانت توفرها الخزانة العامة في المنطقة العربية نوعًا وأداء. وربما شهد قطاع التعليم العام

---

(1) «General Government Final Consumption Expenditure (% of GDP),» (World Bank, 2014), Available at: <http://data.worldbank.org/indicator/NE.CON.GOVT.ZS>.

تراجع الإنفاق العام في البلدان النامية من 17.6 في المئة في ثمانينيات القرن الماضي إلى 15.3 في المئة في تسعينياته، و14.4 في المئة في العقد الأوّل من القرن الحالي.

والرعاية الصحيّة التغيير الأبرز، ما خلق حاجة إلى وجود خدمة موازية للتعليم الخاص، بدءًا بالمدارس الابتدائية حتى المرحلة الجامعية، والأمر نفسه في ما يتصل بخدمات الرعاية الصحية الخاصة. هذه الخدمات الخاصة تحملتها غالبًا الطبقة الوسطى التي تخلّت عن القطاع العام المريض على حساب تكلفة كبيرة من مدخراتها الشخصية. لكن حتى في المناطق الفقيرة، حيث لم تعد الحكومات تؤمن التعليم والرعاية الصحية الملائمين، أقدم فاعلون آخرون من المجتمع المدني على ملء الفراغ، خصوصًا الحركات السياسية الاجتماعية مثل جماعة الإخوان المسلمين. ففي مصر، أدارت جماعة الإخوان المسلمين عيادات الرعاية الصحية ودور الحضانة وخدمات الدروس الخصوصية، وخدمات موازية أخرى تأثرت بالاقتطاعات أو الإهمال الحكومي[2].

إضافة إلى ما شهدناه في المنطقة من تلاشٍ في السلع والخدمات العامة، بدت التغييرات التي فرضها تحرير الاقتصاد صارخة في تحويل مسار المدينة العربية الأنموذجية. ففي ما قبل سياسات تحرير الاقتصاد، كانت تجارة التجزئة الخاصة في الشرق الأوسط تعتبر، بالمعنى الغربي، شديدة التخلّف، حيث كان مُعظم السلع يُباع في محلات منتشرة في المناطق القديمة من وسط المدينة. وكانت مغامرة الدخول إلى مناطق وسط المدينة تُعد اختبارًا فعليًا، حيث السلع المتماثلة مرصوف بعضها إلى جانب بعض في الشارع ذاته أو الزقاق. فيجد المرء هناك قسمًا للتوابل، وزقاقًا للألبسة، وممرًا للإلكترونيات. وكان من الأمور المُحبطة بالنسبة إليّ أثناء جولاتي، سيري في اتجاهات وفق إشارة السكان المحليين الذين كانوا يقولون لي: «استديري إلى اليمين عند شارع الأحذية، ومن بعد إلى اليسار عند شارع البياضات»، لأكتشف أن هذه الشوارع لا تحمل في الواقع تلك الأسماء؛ إذ ليس مهمًا ما أرادت السلطات البلدية أن تسمي به الشارع، سواء أكان الاسم لبطل قومي أم لشخصية من الدوائر المقربة، فتلك الشوارع موجودة بوظيفتها وبغرضها: أي بما يباع ويتاجَر به فيها.

---

(2) انظر: Janine A. Clark, *Islam, Charity, and Activism: Middle-Class Networks and Social Welfare in Egypt, Jordan, and Yemen*, Indiana Series in Middle East Studies (Bloomington, Ind.: Indiana University Press, 2004).

في نهاية عام 2010، وخلال عملي مع معهد عمّان (وهو مركز بحوث يهتم بمسائل التنمية الحضرية)، قمت وبعض الزملاء بإدارة عدد من مجموعات المناقشة المركزة التي تضم أصحاب المصالح التجارية في وسط مدينة عمّان الذين اشتكوا من قلة عدد السكان المحليين الذين يأتون للتسوّق في وسط المدينة، مفضّلين على ذلك الذهاب إلى مراكز التسوّق الكبيرة، حيث يمكنهم إيقاف سياراتهم بسهولة، والتسوّق في مراكز مبرّدة. وما زال السيّاح يتوافدون إلى وسط المدينة للتسوّق، لكن ما عاد المتسوقون المحليون، خصوصًا الطبقة الوسطى العاملة والشباب، يهتمون بالذهاب إلى وسط المدن العربيّة. وعندما أقمنا مجموعات مناقشة مركزة لأطفال على خلفية انتمائهم إلى الطبقة الوسطى، وطلبنا منهم رسم وسط مدينة عمان، كانوا يميلون إلى رسم صور تظهر الاختناقات المروريّة وحوادث السيارات والأطفال العالقين في السيارات؛ إذ فقدت عملية التسوّق في البازار العربي التقليدي سحرها وجمالها بالنسبة إلى هؤلاء الأطفال.

كان لانتشار مراكز التسوّق في الشرق الأوسط أثر ضخم في الاقتصادات المحلية، وتاليًا في الشباب العرب. وشهد العقد الأول من القرن الحالي زيادة كبيرة في عدد مراكز التسوّق التي بُنيت في العالم العربي وحجمها. ومُوّل الكثير منها وبُني من مستثمرين ومطورين خليجيين، كانت خزناتهم تزداد بسرعة بعد عشر سنوات متواصلة من الطفرة النفطية. ولاحظ هؤلاء المستثمرون، بعد تخفيف شروط قوانين الاستثمار الأجنبي في العالم العربي، أن جوارهم العربي منطقة خصبة للاستثمار العقاري وتجارة التجزئة. وشجع كثير من القادة العرب والنخب الحضرية هذه الطفرة في بناء مراكز التسوّق، والأبراج التي تحوي المكاتب الراقية والقرى السياحية ومنتزهات التسلية. وغيّرت فورة البناء بشكل كامل أفق المدينة العربية في الألفية الثانية، منبهرة «بأنموذج دبي» في التنمية الاقتصادية الذي أكّد الجانب البرّاق من التنمية الحضرية التي تركّز على الاستهلاك وعلى التصرف وفق شعار «قم بالبناء وهم سيأتون».

شهدت بلدان المنطقة بناء مراكز تسوّق ضخمة مثل City Stars وFestival City في القاهرة، وMecca Mall، وCity Mall، وTaj Mall في عمّان، وDubai Mall

في الإمارات العربية المتحدة. وأغدق المستثمرون الخليجيون المال على إنشاء «وسط مدن جديد» على الطراز الغربي، منها سوليدير في بيروت، والعبدلي في عمان، وجبل عمر في مكة، وFestival City في القاهرة. وتميّزت هذه المساحات الجديدة بمظاهر الثقافة الغربية كلها، والمأكل الغربي ونمط الحياة الغربي. وفي حين كانت تستهدف عائلات الطبقتين الوسطى والعليا، إلا أنها جذبت بشكل خاص الشباب العرب. فكان بإمكان هؤلاء الشباب التوقف عند ستارباكس لطلب القهوة مع الحليب، والتنقّل في الشوارع العريضة والمراكز التجارية للتسوّق أو التفرّج عند Gap وIKEA وGucci، ثم الذهاب للعب البولينغ والكارتنغ أو مشاهدة أحدث الأفلام من هوليوود. في هذه المراكز التجارية تحديدًا أمكن إيجاد شباب عربي والبدء بتكوين مجموعة مناقشة مركزة بشكل غير رسمي في أنحاء المنطقة العربية المختلفة، وبعد اللقاء غالبًا ما تشارك هؤلاء الشباب موقفًا موحَّدًا.

قابلت مجموعة من ثلاثة أصدقاء في مركز تجاري في الرباط، المغرب، وطلبت منهم التعبير عن مشاعرهم حيال هذه الأمكنة. فقالت فاتن، وهي شابة في السابعة عشرة من العمر، من طبقة اقتصادية اجتماعية عليا، وتتقن التحدث بالإنكليزية بطلاقة: في هذه الأماكن أشعر أنني في بيتي. تبنينا، نحن الشباب، نمط حياة أميركيًا في مأكلنا وثقافتنا، ونحن منفتحون على أشياء جديدة. وأشعر عندما أكون هنا بأنّ هذا هو عالمي، وأقابل أشخاصًا يتشاركون معي القيم نفسها.

وقالت دانا، وهي طالبة في جامعة اليرموك في الأردن، تبلغ الحادية والعشرين من العمر: أذهب مع أصدقائي إلى مراكز التسوّق لأنه في استطاعتنا المشي لساعات في أمكنة نظيفة وآمنة نسبيًا، والمرور بمقاهٍ لتناول الإسبرسو، والتوقف في المحلات لمشاهدة أحدث الصرعات في الأزياء، من دون صرف الكثير من المال، وللتمتع بوقتنا.

في حين تلاقي دانا وصديقاتها الترحيب غالبًا في هذه المراكز التجارية، يتذمر شقيقها أشرف، وهو طالب في الجامعة الأردنية - الألمانية، ويبلغ

عشرين سنة من العمر، قائلًا: أنا أيضًا أحب الذهاب إلى المراكز التجارية، لكني لا أستطيع الدخول إليها برفقة أصدقائي في نهاية الأسبوع، إذ يعتبرنا الحراس مجرد مثيري شغب جئنا لمطاردة الفتيات. أنا لست كذلك، لكننا كفتيان نعامَل دائمًا بطريقة سيئة، وينظر إلينا على أننا غير متحضرين.

يمكن هذه الأمكنة التي يتمتع بها بعضهم، أن تُشعر بعضهم الآخر بالتمييز. في الواقع، يمكن أن تتضمن العلاقة بين الشباب وهذه المنشآت الحضرية أوجه تباين. من ناحية، تقدّم هذه الأمكنة الجديدة وشبه العامة إلى الشباب مساحات للتلاقي والتمتع بشكل محدود ببعض جوانب الحياة الغربية. ففي مقابل مبلغ صغير من المال، إنما غير ضئيل، يمكن الشباب استخدام المقاهي والمطاعم. مستشهدًا بشكل خاص بالشبيبة، يطلق عليهم جيليان شويدلر تسمية «الكوزموبوليتانيين الطموحين»، حيث يمكن أن يكون لتفاعلهم مع رموز الثقافة الغربية تأثير في تعزيز شعور الأفراد بذواتهم. وكما يلاحظ شويدلر، يستطيع الشباب العرب في هذه الفضاءات الحديثة وبصورة متزايدة النفاذ إلى داخل أماكن سيطرة النخبة، وأن يؤدي في النهاية دور المشارك في منافع الليبرالية الاقتصادية الحديثة[3].

من غير المستغرب أن يستمتع كثير من الشباب العرب بالتجمّع واللقاء في المراكز التجارية، بالنظر إلى الغياب الملحوظ للفضاءات العامة المجانية، والفترات الطويلة من الطقس الحار، وتقليص ميزانية الاستثمار العام في الأنشطة الرياضية واللامنهجية. إن كثيرًا من الشباب العرب، خصوصًا أولئك المنتمين إلى الصفوف المتزايدة من العاطلين من العمل، يقضون وقتًا طويلًا في هذه الفضاءات الحضرية. وفيما نلمس، من ناحية، نتيجة تتمثل في التمكين، نلمس في ناحية أخرى من صورة تلك الإنشاءات الحضرية الحديثة البرّاقة إحساسًا متزايدًا بانعدام المساواة الاقتصادية الاجتماعية. قبل انتشار هذه الفضاءات المشتركة، كان لدى الشباب العرب المنتمين إلى الطبقات العاملة

---

(3) Jillian Schwedler, «Amman Cosmopolitan: Spaces and Practices of Aspiration and Consumption,» *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, vol. 30, no. 3 (2010).

الدنيا، معرفة ضئيلة بكيفية إنفاق الأغنياء أموالهم. فكانت الأندية الحصرية هي القاعدة في عموم الشرق الأوسط منذ زمن الاستعمار، ولم يكن في استطاعة إلا عدد قليل من المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية الدنيا، الاطلاع من الداخل على تقاليد النخبة الحضرية الرئيسة. وتغيّر الحال اليوم، إذ إن التطوّر الحضري السريع للعامة كشف كيف تعيش النخبة العربية، وكيف تنفق أموالها، وكيف تستمتع بوقت فراغها.

حدثت تغيرات عميقة على المستوى الاجتماعي في العالم العربي، بعد عقدين من الليبرالية الاقتصادية. مع تراجع الخدمات العامة وتقدم المشروعات الخاصة، حمل المسؤولون الحكوميون طوال عقدين رسالة مشتركة إلى الشعوب العربية: «اسحبوا أنفسكم إلى الأعلى عبر الشد بأشرطة أحذيتكم، وابدأوا في تدبر أموركم». أذكر الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في واحدة من خطبه النارية في منتصف التسعينيات، وفي منطقة فقيرة نسبيًا من بلده، حين كان يصرخ بالمعنى الحرفي للكلمة في شعبه ويقول إن مصر لا تستطيع أن تدعم وتُطعم المصريين الذين اختاروا أن يكون لديهم عشرة أولاد. فالتضخم السكاني، كما ادعى مبارك، سيفلس الدولة المصرية. وأهمل مبارك بطبيعة الحال الإشارة إلى ارتفاع الإنفاق الحكومي على القطاعات العسكرية والأمنية، فضلًا عن ارتفاع مستوى الفساد والمحسوبية الذي يستنزف الخزانة العامة. في أي حال، لم تختلف الرسالة الهادرة على لسان القادة العرب بعد التسعينيات عن رسالة مبارك: «الخزانة المالية العامة لا تتحمّل أن تُستخدَم للرفاه الاجتماعي العام. أصبحتم مسؤولين عن أنفسكم».

قبل هذين العقدين من تحرير الاقتصاد، كان معدّل الإنفاق الحكومي في البلدان العربية بوصفه نسبة مئوية من الناتج الإجمالي المحلي، أعلى من الكثير من البلدان الصناعية المتطوّرة، والنسبة الأكبر من هذا الإنفاق الحكومي لم تكن تقابلها جبايات واسعة وجدّية للضرائب. وشكلت هذه «الصفقة الاستبدادية» عقدًا اجتماعيًا فريدًا بين الحكام العرب وشعوبهم. وعلى عكس لازمة الثورة الأميركية من أنه «لا ضرائب من دون تمثيل»، كان العقد الاجتماعي في

المنطقة العربية: «لا تمثيل ولا ضرائب». كانت الرسالة واضحة: ينبغي ألا يتوقع الشعب العربي أي ديمقراطية أو ليبرالية سياسية لأن الحكومات العربية اعتمدت برامج سخية للرفاه الاجتماعي والخدمات العامة، وأبقت ضرائب الدخل منخفضة، وتركت القاعدة الضريبية غير مستغلة بشكل واسع. اليوم، قليل من الشباب العرب يملك ذكريات عن الخدمات العامة السخيّة، كالسلع المدعومة والخدمات والتوقعات الشعبية الاجتماعية التي تنطوي عليها. وفي النتيجة، لم يعد هؤلاء الشباب يرون ضرورة لتطبيق الجزء الخاص بهم من العقد الاستبدادي، وتشير أفكارهم عن العمل المنتج والكرامة الاقتصادية في عصر الليبرالية الاقتصادية إلى كيفية تصوّر مكانهم في العالم العربي المتغيّر.

ثانيًا: بحثًا عن الكرامة الاقتصادية

سردت مرات كثيرة قصة التونسي محمد البوعزيزي، البالغ من العمر ستًّا وعشرين عامًا، على أنها الشرارة التي أطلقت احتجاجات الربيع العربي. لكن لم تُفهم على نطاق واسع الأسباب التي دفعت مواطنيه إلى التحرّك بعد إحراق نفسه. كان بوعزيزي شابًا ناشئًا بمستوى تعليم ثانوي ومن دون عمل ثابت. كان مدينًا لاقتراضه المال من أجل إدخال شقيقته إلى الجامعة، ولمساعدته والدته، وحاول كسب عيشه من خلال بيع الخضر والفاكهة على عربة في بلدة تونسية. وعندما ضغطت عليه شرطية للحصول على رشوة في مقابل منحه رخصة للبيع، شعر في إثرها البوعزيزي غير القادر على الدفع بالإهانة بسبب عدم قدرته على العمل حتى لكسب عشر دولارات بائسة في اليوم. وبعد أن صادرت الشرطية ميزانه، توجه إلى مكتب المحافظ المحلي لتقديم شكوى مطالبًا باستعادته. وحين تجاهلت السلطات المحلية طلبه، سكب الشاب البنزين على جسده أمام مكتب المحافظ، وأشعل النار بنفسه بعد أن صرخ: «كيف تتوقعون مني أن أعيش؟»[4].

(4) «How a Slap Sparked Tunisia's Revolution,» (CBS News, 60 Minutes, 22/2/2011), Available at: <http://www.cbsnews.com/news/how-a-slap-sparked-tunisias-revolution-22-02-2011>.

كان الصدى الذي تركته قصة بوعزيزي في العالم العربي، خصوصًا عند الشباب، أنه كان يحاول القيام بالأمور الصائبة كلها: تحصيل العلم، التحمس لتأسيس عمل خاص، العمل ضمن النظام للتقدم في الحياة. أصبح الشباب العرب متعلمين أكثر من الأجيال السابقة. والتقرير الافتتاحي لجامعة براندیس لعام 2009 عن التعليم العالي في العالم العربي لا يمكنه أن يكون أكثر من ذلك دلالة: «يشهد العالم العربي ثورة صامتة ومتعددة الجوانب يجب تقويمها عن قرب: النمو الواسع في التعليم العالي»[5]. مذهلة هي الأرقام. فمنذ أوائل العقد الأول من القرن الحالي، شهدت المنطقة العربية تضاعف عدد الجامعات، من مئة وثماني وسبعين جامعة إلى ثلاثمئة وثماني وتسعين جامعة، في أواخر العقد نفسه. وإذا احتسبنا الكليات والمعاهد، يرتفع العدد إلى 1139[6]. وأدى هذا الأمر إلى مضاعفة عدد الخريجين بنسبة تتخطى بكثير معدلات النمو السكاني.

يعود بعض التطورات في المرحلة التي تلي التعليم الثانوي إلى ارتفاع عدد الجامعات الخاصة التي أصبح بالإمكان تأسيسها وجعلها تنافس الآن في المنطقة العربية بفضل سياسات التحرير الاقتصادي؛ إذ ارتفع عددها اليوم ليزيد على 80 في المئة من العدد الإجمالي للجامعات في البحرين ولبنان وفلسطين وقطر والإمارات العربية المتحدة[7]. كما أنشأت الجامعات الأجنبية فروعًا لها ومجمّعات في المنطقة العربية منذ أكثر من عقد. وفي منطقة الخليج بشكل خاص، بنت الجامعات الأميركية مثل جورجتاون وكورنيل ونيويورك وجامعات أخرى، مجمعات لفروعها للاستفادة من رغبة الشباب العرب وطلباتهم المتزايدة لتحصيل مستويات أعلى من التعليم.

---

(5) Vincent Romani, «The Politics of Higher Education in the Middle East: Problems and Prospects,» (Middle East Brief; no. 36, Brandeis University, Crown Centre for Middle East Studies, May 2009), p. 1.

(6) «A Decade of Higher Education in the Arab States (1998-2009): Achievements and Challenges (Regional Report),» in: Bechir Lamine, ed., *Towards an Arab Higher Education Space: International Challenges and Societal Responsibilities* (Beirut: UNESCO Regional Bureau for Education in the Arab States, 2010), p. 11.

(7) المصدر نفسه، ص 11.

وظّف عدد من دول الخليج استثمارات ضخمة أيضًا في بناء المدن والمراكز التعليمية. وأنفقت حكومة قطر مليارات الدولارات لتحديث نظامها التعليمي، مخصصة حوالى 20 في المئة من ميزانيتها للتعليم وحده[8]. وتضم المدينة التعليمية في قطر جامعات أجنبية ومراكز حديثة للدراسات. وتحوي مدينة دبي الأكاديمية العالمية، في الإمارات العربية المتحدة، ما يقارب اثنين وثلاثين فرعًا للجامعات الأجنبية، التي تستفيد من الحوافز الضريبية لبناء أحرام جامعية تستوعب عشرات الآلاف. وقيد الإنشاء في السعودية مدينة الملك عبد الله الجامعية، وهي موقع مخطط له أن يضم في العقد المقبل عددًا من المدارس والأحرام الجامعية سيستفيد منها 18000 طالب و7500 أكاديمي مستقدمين من أنحاء العالم كلها، بكلفة أربعة مليارات دولار. إن عملية بناء الجامعات في المنطقة مثيرة للاهتمام، لكن أن يُنظر إلى زيادة الشباب العرب المتعلمين على أنها قضية عرض وطلب فحسب، لا تعطي حقها للقيم المتجذرة في المنطقة العربية التي تجلّ التحصيل التربوي وتقدّره.

من المؤكد أن ثقافة احترام التعليم العالي ليست مستجدّة في المدن الكبيرة ولدى الطبقة العليا في المنطقة العربية؛ فالجامعات في فاس والقاهرة ودمشق وبغداد كانت مراكز فكرية وثقافية لأكثر من مئة سنة. مع ذلك، الجديد هو القيمة المعطاة إلى التعليم العالي في المناطق الريفية الذي ازدهر بنتائج باهرة. والتقيت خلال زياراتي الأخيرة إلى المناطق الريفية في الأردن نساء متقدمات في السن، كثيرات منهن أميات، فتحدثن عن أولادهن، وتباهين بفخر بأن حفيداتهن جميعهن دخلن الجامعات. وأذكر في المقابل حديثي مع معظمهن منذ عشرين سنة، حين تباهين في ذلك الوقت بمساحة الأراضي التي تملكها عائلاتهن، وكيف حصلت بناتهن على زيجات جيدة. في المنطقة العربية كلها، لم تعد الممتلكات المادية بالنسبة إلى كثيرين مصدر الفخر والفرح، بل انتشار التعليم ذي المستوى العالي بين الشباب. في حديثي مع دانا، الطالبة في جامعة

(8) Sheikha Abdulla Al-Misnad, «The Dearth of Qatari Men in Higher Education: Reasons and Implications,» (Middle East Institute (MEI), 20 June 2012), Available at: <http://www.mei.edu/content/dearth-qatari-men-higher-education-reasons-and-implications>.

اليرموك، التي تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا وتنتمي إلى عائلة في أدنى الطبقة الوسطى، قالت: أجد العائلات اليوم قلقة في شأن تعليم بناتها أكثر مما تقلق على أبنائها؛ فالشبّان غير المتعلمين يمكنهم غالبًا أن يؤدوا عملًا يدويًا، لكن النساء اللاتي لم يحصلن على شهادات جامعية يبقين في البيت على الأرجح ويعتمدن على أهلهن للحصول على الدعم المادي.

يُعتبر الارتفاع في نسبة التعليم بين النساء من أبرز الظواهر في العالم العربي، حيث تتخطى نسبتهن، مثلهن مثل النساء في البلدان المتطوّرة، الرجال في الحصول على التعليم الجامعي. وأذكر مقابلتي طالبات في جامعة العين، في منتصف العقد الأوّل من القرن الحالي، وهو حرم مخصص للطالبات فحسب في الإمارات العربية المتحدة، واللواتي كنّ يدرسن إدارة الأعمال لرواد الأعمال الشباب. وكان مدهشًا الاستماع إليهن وهن يطرحن الأسئلة ويدوّنّ الأجوبة بحمية. تتفوّق النساء في الإمارات العربية بشكل لافت على الرجال في المدارس الثانوية والجامعات، ويشكلن 70 في المئة من مجموع طلاب الجامعات[9]. وأظهرت الدراسات على النساء في الإمارات اللاتي تابعن الدراسات الجامعية، على غرار القرويات اللاتي قابلتهنّ في الأردن، أنّ الأهل - خصوصًا الأمهات - يدفعون بناتهم إلى التفوق في الدراسة الجامعية. كان المأمول العائلي والاجتماعي في شأن قدرة الشهادة الجامعية على تأمين مستقبل المرأة والتقليل من اعتمادها على الزوج أو على قريب ذكر، أحد العوامل أيضًا في دفع النساء إلى متابعة التعليم العالي[10]. ولاحظت في خلال زيارتي القصيرة إلى جامعة العين هذه الرغبة الكبيرة في التعلّم والنجاح، وكانت هذه السمة أقل وضوحًا عند كثير من الطالبات اللاتي درّستهن قبل عقد من الزمان. رأيت في الإمارة الخليجية المحافظة، حيث ينخفض إمكان توظيف

(9) United Arab Emirates, Ministry of Education, *Annual Report on Schools in the Emirate of Ras Al Khaimah* (Ras Al Khaimah, UAE: Sheikh Saud bin Saqr Al Qasimi Foundation, 2008), and *Education for All by 2015: Will We Make It?*, EFA Global Monitoring Report; 2008 (Paris: UNESCO Publishing; Oxford; New York: Oxford University Press, 2008).

(10) Fatma Abdulla, «Emirati Women: Conceptions of Education and Employment,» in: R. O. Mabokela, ed., *Soaring Beyond Boundaries: Women Breaking Educational Barriers in Traditional Societies* (Rotterdam: Sense Publishers, 2007), pp. 73-112.

النساء بعد التخرّج، أكثر طالبات العلم حماسة. خذوا في الحسبان واقع أن المتخرجات من الجامعة يشكّلن 77 في المئة من مجموع النساء الإماراتيات، وهي نسبة تفوق تلك التي سجلتها كندا والولايات المتحدة ومعظم البلدان الصناعية. إنه رقم جدير بالملاحظة حقيقة في السياق العالمي.

على الرغم من متابعة النساء تعليمهن بشكل متزايد في المنطقة العربية، وحصولهن على الشهادات الجامعية، إلا أنهن يسجلن أدنى معدلات المشاركة في القوة العاملة، مقارنةً بالمناطق الأخرى من العالم[11]. ويعتبر معدل توظيف النساء في الخليج، إذا استثنينا العاملات الأجنبيات، أدنى من باقي المنطقة العربية. ويزيد عدد الطالبات الجامعيات حاليًا في المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال، على عدد الطلاب الذكور[12]. وعلى الرغم من أن 60 في المئة من المتخرجين الجامعيين في المملكة العربية السعودية هم من النساء، تعمل 15 في المئة منهن فقط في المملكة[13]. وفي الواقع، تبين لي بوضوح، بعد أن طرحت على الطالبات الإماراتيات أسئلة عن دراستهن وأهدافهن المستقبلية، لماذا يرغبن في بذل الجهد والتعلّم واستيعاب الكثير بغض النظر عن توقعاتهن المتدنية لإمكانات العمل: إنهن يتمتّعن بتلك اللحظات التي قد تكون سنوات قليلة وأخيرة في حياتهن الراشدة، حيث يختبرنَ الجدارة عن حق في أن يقوّمن وفق مهاراتهن وثقافتهن، وليس تبعًا إلى من ينتمين.

هذه المشاعر لدى الشابات الإماراتيات هي مشاعر مشتركة في المنطقة كلها؛ إذ ترغب الفتيات العربيات بشدة في أن يُقرّ بذكائهن وموهبتهن، لكنهن يصطدمن بنظام عمل لا يحقق لهن تلك الرغبة. فلماذا يجب متابعة التعليم إذا

---

(11) World Bank, *Free to Prosper, Jobs in the Middle East and North Africa* (Washington, DC: World Bank, 2013), p. 2.

(12) «Growing Number of Saudi Single Women Challenge Tradition,» *Saudi Gazette*, 21/1/2015 Available at: <http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method=home.regcon&contented=20150122231244>.

(13) Louise Redvers, «Keys to The Kingdom: The Slow Rise of Saudi Women,» (BBC, 9 April 2015), Available at: <http://www.bbc.com/capital/story/20150408-slow-gains-for-saudi-women>.

كان العمل الثابت غير متوافر دائمًا؟ تقول دانا في هذه النقطة: يجب أن تحصل المرأة العربية اليوم على شهادة جامعية. هذه الشهادة تقول للعالم إنك تعرفين كيف تتكلمين، وإنك تحافظين على رأسك مرفوعًا، وإنك تعرفين كيف تنشّئين أولادك، وإنك واثقة من نفسك؛ فالمرأة ستضيع من دون شهادة جامعية، وتُخدع بالرجال الذين سيقولون لها إنهم أحبوها لرؤيتها تعبر الشارع. ولّت تلك الأيام، ونتمتّع نحن النساء العربيات بثقة أكبر، ونعرف من نحن، وماذا نريد.

أصبح للتعليم الجامعي قيمة اجتماعية مكتشفة حديثًا ومعممة في المنطقة كلها، خصوصًا بالنسبة إلى النساء. وهذا لا يعني دائمًا أن النساء يتوقّعن أو حتى يسعين إلى الحصول على عمل ثابت؛ فالشهادات الجامعية ليست وسائل لتحصيل العمل، بل هي غاية في حد ذاتها.

يوجد الكثير من التقارير عن التعليم في منطقة الشرق الأوسط، معظمها برعاية وكالات التنمية الدولية التي لاحظت أنه في حين اكتسبت المنطقة العربية قاعدة واسعة في مجال تعليم الشباب، كان هناك تحدٍ ملازم يتعلق بنوعية التعليم والتفاوت بين حاجات المشغّلين والكفاءات المعروضة. ويحتل القليل من الجامعات العربية مواقع متميّزة في التصنيفات الجامعية العالمية، مثل تصنيف التايمز للتعليم العالي، أو مقارنةً ببلدان مماثلة في العالم النامي[14]. وتشير التقارير إلى أن عملية التعليم في العالم العربي تركّز على التلقين، ولا تعطي ما يكفي من الأولوية لمهارات التفكير النقدي، وإلى وجود كثير من الجامعيين على حساب التدريب المهني. كان واضحًا في تقويمي الخاص للمنشورات الأكاديمية العربية والحوافز على التفوّق أنّ القليل من الجامعات الكثيرة في المنطقة (على الرغم من أن ذلك ليس حصريًا) يعتمد ضمن برنامجه الشعار ذاته «أُنشر أو اذهب إلى الهلاك»، الأمر الذي يجعل كثيرًا من الزملاء يراوح مكانه في دوامة العمل والبحث[15].

(14) «BRICS and Emerging Economies Rankings, 2014,» Available at: <http://www.timeshighereducation.co.uk/world-university-rankings/2014/brics-and-emerging-economies>.

(15) Wafaa Hasan and Bessma Momani, «Arab Scholars' Take on Globalization,» in: Arlene B. Tickner and David L. Blaney, eds., *Thinking International Relations Differently*, Worlding Beyond the West; 2 (New York: Routledge, 2012), pp. 228-250.

في الظاهر، ثمة حاجة إلى إصلاحات حقيقية وعميقة لتطوير النظم الجامعية العربية، لكن ذلك يحجب الانتباه إلى مسألة أن الشباب العرب يرون أنفسهم مجهّزين ومستعدين ومستحقّين العمل المنتج. وتبيّن في استطلاع أجري على الشباب العرب في عام 2005، أن أغلبية المشاركين تعتقد أنها عاطلة من العمل بسبب «عدم توفّر الوظائف». وجاءت بعد ذلك إجابة «الفساد والمحسوبية»، ثم في أسفل اللائحة إجابة «التعليم غير المؤهِّل»، بوصفها أسبابًا لبطالة الشباب[16]. إذًا، الأكثر أهمية هنا هو تصوّر العاطلين من العمل أنهم مهيأون للعمل، خصوصًا إذا أخذنا في الحسبان السبب الذي دفع الشباب العرب للدعوة إلى الثورة في إطار الربيع العربي.

إذا كانت مستويات التعليم في تحسّن، والمنطقة تشهد تحريرًا للاقتصاد ترافقه فوائد مجتمعية جديدة وإمكان الحصول على وسائل الراحة، فلماذا يتصدر الشباب العرب قيادة ثورة؟ وما يجعل هذا السؤال أكثر تعقيدًا هو أن المنطقة العربية لم تكن، بلغة الاقتصاد الكلّي، في وضع سيئ بالمجمل، خصوصًا عندما تقارَن بالمناطق النامية الأخرى[17]. هنا تكمن معضلة التحليل الاقتصادي المحض للربيع العربي؛ إذ لن تساعدنا معطيات الاقتصاد الكلّي في فهم ما الذي جعل الشباب العرب توّاقين إلى حياة أفضل.

ما يثير السخرية، أن الثورات العربية انطلقت في بلدان كانت في الواقع تشهد نموًا في الاقتصاد الكلّي. على سبيل المثال، حققت تونس في عامي 2009 و2010 على التوالي 3 في المئة و4 في المئة نموًا في الناتج الإجمالي المحلي، ومصر 4.7 و5 في المئة، وليبيا 1.8 و5.2 في المئة، واليمن 3.9 و7.8 في المئة، وشهدت سورية أيضًا نموًا بنسبة 4 في المئة و5 في المئة[18].

---

(16) James Zogby, *Attitudes of Arabs, 2005: An In-Depth Look at Social and Political Concerns of Arabs* ([Washington, DC]: Arab American Institute, 2005), Available at: <http://www.aaiusa.org/reports/attitudes-of-arabs-2005>.

(17) Melani Cammett and Ishac Diwan, *The Political Economy of the Arab Uprisings*, Westview Press Spotlight (Boulder, CO: Westview Press, 2013).

(18) Marek Dabrowski, *Macroeconomic and Fiscal Challenges Faced by the Southern and Eastern Mediterranean Region*, CASE Network Studies and Analyses; 471 (Warsaw: Center for Social and Economic Research (CASE), 2014).

وحقق بعض بلدان منطقة الخليج العربي نسب نمو بأرقام مزدوجة (تفوق 10 في المئة)؛ إذ جمعت هذه المنطقة الغنية بالنفط قدرًا كبيرًا من رؤوس الأموال وصل إلى تريليون دولار، بفضل أسعار النفط التي تخطت المئة دولار للبرميل طوال أكثر من عقد[19]. وكانت معدلات النمو في المنطقة العربية مدعاة حسد من أي اقتصاد نام، خصوصًا في أعقاب الأزمة المالية العالمية في عام 2008. في الواقع، لم يكن معظم الحكومات العربية معتمدًا على دائنين ومصارف عالمية أو مرتبطًا بهم، لذلك لم تتأثر بهذه الأزمة العالمية لوقت طويل، على الرغم من انخفاض أسعار النفط الذي أثر في تخطيط ميزانيات هذه الحكومات.

أمر آخر من المفيد ملاحظته هو أن الكثير من البلدان العربية كان لديه مستويات مستقرة أو حتى محسّنة من التفاوت في الدخل، وشهد نموًا متواضعًا في دخل الفرد. ويتضح من استخدام بيانات مُعامل جيني (Gini coefficient) – وهو أداة في الاقتصاد الكلي لقياس التفاوت – أن الفجوة بين الدخول في مجمل المنطقة العربية كانت تضيق ولا تتسع[20]. ومقارنة بالمناطق النامية الأخرى، كانت البلدان العربية أكثر مساواة من أميركا اللاتينية وأفريقيا، وتُماثل معدلاتها دول شرق آسيا[21]. وتجدر الإشارة إلى أن أُسس بيانات مُعامل جيني تقوم على مسح أنماط الاستهلاك في الأُسر، وهو قياس انتُقد لأن الأشخاص الميسورين يمكنهم ألا يفصحوا عن كامل مدخولهم وعاداتهم الاستهلاكية. ما هو أكثر أهمية ربما، وعلى الرغم من القياسات المستقرة للتفاوت في الدخل، أن استطلاعًا داخليًا أجري على مصريين لاحظ هوة متنامية بين الأغنياء والفقراء[22]. وأظهر أيضًا قياس آخر في الاقتصاد الكلي، تناول مداخيل الفرد،

---

(19) Samya Beidas-Strom [et al.], *Gulf Cooperation Council Countries: Enhancing Economic Outcomes in an Uncertain Global Economy* (Washington, DC: International Monetary Fund, 2011), Available at: <https://www.imf.org/external/pubs/ft/dp/2011/1101mcd.pdf>.

(20) United Nations Development Programme (UNDP), *Arab Development Challenges Report 2011: Towards the Developmental State in the Arab Region* (Cairo: UNDP, Regional Centre for Arab States, 2011), pp. 17-18.

(21) Marcus Noland and Howard Pack, *The Arab Economies in a Changing World*, 2nd ed. (Washington, DC: Peterson Institute for International Economics, 2011), p. 66.

(22) Cammett and Diwan, p. 21.

تحسينات في المنطقة العربية، على الرغم من أن مداخيل الفرد لم تكن تزداد بالوتيرة نفسها تقريبًا كما في مناطق نامية أخرى مثل آسيا وأميركا اللاتينية، اللتين أظهرتا مكاسب أقوى بكثير، خصوصًا لدى الطبقة الوسطى[23]. أخيرًا، كانت معدلات نمو العمالة في المنطقة العربية الأكثر ارتفاعًا في العالم، بنسبة مئوية بلغت 3.3 في السنة، بين عامي 1998 و2008[24]. في المحصلة، إذا كان في إمكان بيانات الاقتصاد الكلي أن تقول شيئًا، فهو أن الوضع الاقتصادي في البلدان العربية من المفترض أن يكون قد تحسّن خلال عقدين من الليبرالية الاقتصادية. وهذا الأمر صحيح ظاهريًا، لكن يبقى السؤال: إذا كانت الدول العربية تتمتّع بنمو اقتصادي إيجابي، مع تقليص الفروق في الدخل، ومداخيل مستقرة للفرد، ومعدلات مرتفعة في العمالة، فلماذا يتصدر الشباب العرب قيادة ثورة؟

بكل بساطة، دعم الشباب العرب الربيع العربي لأنهم آمنوا بأنهم يستحقون الأفضل. ولصوغ ذلك بلغة نظرية، يشكل كتاب تيد غور **لماذا يثور الرجال؟** (*Why Men Rebel*)، الصادر في عام 1970، مرجعًا متبصرًا؛ إذ قدّم غور رأيًا يفيد في تفسير فعل التمرّد، مجسدًا إياه في صيغة «الحرمان النسبي»، حيث هناك «توتر يتطور من خلال التباعد بين 'الواجب وجوده' و'الموجود' في ما يخص القيمة الجماعية للرضا»[25]. فكان الربيع العربي، على ما يحاج غور، تلك اللحظة التي قال فيها الشباب العرب لأنفسهم: «قمنا بالأمور الصائبة كلها، إننا نستحق أفضل من حصتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هذه، وإننا نعرف ونرى ما نستحق أن نحصل عليه». مع ذلك، يقترح مفهوم «الحرمان النسبي» أن الفقر المدقع أو النقص في النمو الاقتصادي أو حتى تقلص التفاوت في الدخل، ليس هو ما يدفع الشعب إلى التمرد. وبالأحرى رأى الشباب العرب ثمن الازدهار

---

(23) International Monetary Fund, «Economic Transformation in MENA: Delivering on the Promise of Shared Prosperity,» (G-8 Summit, Deauville, France, 27 May 2011), Available at: <https://www.imf.org/external/np/g8/pdf/052711.pdf>.

(24) Magdi Amin [et al.], *After the Spring: Economic Transitions in the Arab World* (Oxford; New York: Oxford University Press, 2012), p. 55.

(25) Ted R. Gurr, *Why Men Rebel* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1970), p. 23.

الاقتصادي الاجتماعي وقالوا: «إننا نستحق ذلك». إن مفهوم «الحرمان النسبي» يفسّر الكثير من مواقف الشباب العرب الذين التقيتهم في المنطقة وقيمهم[26].

بعد ما قلته، يبدو واضحًا أن المظالم الاقتصادية تشكّل جزءًا كبيرًا من أحجية فهم دوافع الشباب في دعم الربيع العربي، خصوصًا تلك التحديات التي يواجهونها للحصول على عمل ذي قيمة مبني على الجدارة. لدى الشباب العرب مظالم اقتصادية مشروعة، وهم لا يشتكون من وضعهم بشكل اعتباطي. فنسبة البطالة بين الشباب في العالم العربي هي الأعلى في العالم[27]. ويشارك في المنطقة 35 في المئة فقط من الشباب في القوة العاملة، مقارنةً باثنتين وخمسين في المئة في باقي العالم[28]. وما يدعو إلى الذهول أكثر هو العمل ما دون الكفاءة، حيث يقبل الشباب بأعمال لا تتلاءم مع مؤهلاتهم لكسب المال. ويقتنع كثيرون، استنادًا إلى مسوحات شاملة للمنطقة عن الشباب العرب، بأنّ معدلات البطالة الرسمية كانت دون الواقع، وتقارب حاليًا 35 إلى 40 في المئة[29]. وكثيرًا ما عوّق الفساد والمحسوبية جهد الناس المنتج للمشاركة في النظام الاقتصادي. وبدلًا من أن يحدد نظام الجدارة من يحصل على العمل المثمر أو العقد، يستبعد، غالبًا، المقربون من الحكومة، والشبكات المرتبطة بها، وتلاعب النخبة الحاكمة بالقوانين، الأكثر كفاءة.

دعوني أقدم إليكم عماد، وهو شاب التقيتُهُ في عمان؛ قصته رواية أنموذجية عن شباب العالم العربي الفقراء، المتعلمين والحالمين بحياة أفضل. ترعرع مع والدته في مجتمع زراعي في شمال الأردن. والدته، امرأة أميّة، تزوجت من والده الذي بلغ العقد السادس من العمر عندما وُلِد عماد. ولما باتت الوالدة وحيدة تملك بالوراثة قطعًا صغيرة من الأرض، ورأت أن الاحتمال ضئيل لتغير

---

(26) المصدر نفسه.

(27) World Bank, *Free to Prosper*, p. 3.

(28) International Financial Corporation (IFC) and Islamic Development Bank (IDB), *Education and Employment: Realizing Arab Youth Potential* (Washington, DC: IFC; Jeddah, Saudi Arabia: IDB, 2011), Available at: <http://www.e4earabyouth.com/pdf/MGLPDF1360225366 40.pdf>.

(29) المصدر نفسه.

الأوضاع في قريتها الريفية، حفرت رسالة واحدة في رؤوس أطفالها: «التعليم سيؤمن لكم مستقلًا زاهرًا». درس عماد بجد، ونال علامات مرتفعة جدًا في الامتحانات الرسمية إبان سنته الأخيرة في المدرسة الثانوية. فأنظمة الامتحانات الرسمية السائدة في الشرق الأوسط، تمكّن غالبًا الأكثر فقرًا بين الشباب من تحقيق أفضل النتائج؛ فالنجاح يتطلب الحفظ والاستظهار، وتاليًا فإن التفاني في الدراسة يجعل من الاستهلاك الدقيق للوقت استراتيجية بسيطة لتحقيق أفضل العلامات. وتحدد العلامات التي يتم تحصيلها في تلك الامتحانات الرسمية، الجامعة والفرع اللذين يحق للطالب أن يدخلهما. كانت العلامات النهائية للامتحان وأسماء الطلاب تنشر على الملأ، وهكذا كان كل واحد منهم يعرف درجة الآخر، وهي ممارسة تؤمن الشفافية، لكنها أقل احترامًا لخصوصية الفرد. وحقق عماد من ناحيته نتائج باهرة في منطقته، وقُبل في كلية الهندسة في جامعة اليرموك.

من الضروري القول إن اعتماد النظام التعليمي في العالم العربي على امتحان رسمي شامل، يُطبّق على نطاق واسع في المدارس الرسمية في المنطقة في خلال السنة الثانوية الأخيرة، يمكن أن يقدّم فرصًا متكافئة للمواطنين، على الرغم من الانتقادات المبررة لعدم تشجيعه مهارات الفكر النقدي. بشكل عام، عندما ينظر المرء إلى التصنيفات الوطنية لكثير من خريجي المدارس الثانوية في المنطقة العربية، سيرى أنه بإمكان الطلاب في المجتمعات الفقيرة تحقيق أعلى الدرجات مثل نظرائهم في المناطق الغنية. وسيكون صعبًا على شخص ذي ثروة ونفوذ سياسي الحصول على مقعد في جامعة رسمية، وفي تخصص مهم مثل الهندسة، من دون تحقيق نتائج جيدة في الامتحان الرسمي نفسه الذي تقدم إليه عماد. وعلى الرغم من انتشار الجامعات الخاصة في المنطقة العربية، ما زالت الجامعات الرسمية تحظى بمكانة اجتماعية مميزة. وكان في إمكان عماد التباهي بأن عمله الشاق خوّله الحصول على مقعد في أهم الجامعات الأردنية، وفي أهم التخصصات المطلوبة.

طوال مدة وجوده في النظام التعليمي العربي الرسمي، ظل عماد في منأى عن الواقع البشع لطبقته الاجتماعية الاقتصادية الدنيا، إن لناحية افتقارها إلى

النفوذ السياسي، أو لغياب شبكة علاقات قوية أو «واسطة» داعمة للتقدم. وعلى الرغم من حصوله على منحة دراسية لدخول الجامعة، إلا أن تكاليف اللوازم الدراسية والنقل فاقت القدرة المالية لوالدته الأرملة العاطلة من العمل، التي تعيش في مجتمع زراعي. ولحسن الحظ، حصل عماد على الدعم المالي من إخوته غير الأشقاء الأكبر منه، واستطاع السفر إلى مدينة إربد المجاورة لإكمال دراسته. من المؤكد أن أجزاء كثيرة من المنطقة العربية، خصوصًا مصر، لم تُبقِ على استثمار ثابت في المدارس العامة، الأمر الذي عرّض المجتمعات المحرومة لغبن شديد، وسهّل الأمر على أولئك الذين يملكون الإمكانات لتحمّل تكلفة تعليم لائق، عبر الاستعانة بمدرّس خاص على سبيل المثال.

في معظم الأحيان، يواجه كثير من الشباب العرب الحقيقة المرة بعد الانتهاء من المرحلة التعليمية الثانوية والجامعية. فبعد تخرجه، واجه عماد مهمة شبه مستحيلة لإيجاد وظيفة في سوق عمل ضيقة. ومن دون شبكة علاقات أو اتصالات وسط القبائل أو الطوائف أو أي جماعات محلية أخرى، سوف يبقى كثير من الشباب العرب، مثل عماد، من دون عمل أو بعمل دون كفاءتهم. وعلى الرغم من أن البطالة زاحفة، فإن العمل بما دون الكفاءة – أي العمل في قطاع أو مهنة يتطلبان أقل بكثير من المؤهلات المطلوبة – هو ظاهرة أكثر انتشارًا بكثير في منطقة الشرق الأوسط. ويُعتبر المثال الشائع عن الأطباء الذين يعملون سائقي أجرة في القاهرة من الحقائق المحزنة. في المرحلة التي قادت نحو الثورات العربية، كان بالإمكان ملاحظة التأثير النفسي لهذا الواقع في عيون كثير من المتخرجين الجامعيين الجدد، والشباب العرب الذين كانوا جميعًا يعلمون أن إمكان الحصول على عمل لهم بات ضعيفًا.

كانت تلك المرحلة محبِطة للشباب العرب الذين شعروا أنهم يستحقون أفضل من ذلك، على الرغم مما كان يسمى ازدهار الاقتصاد الكلي. وبالتزامن مع صحوتهم السياسية على شبكات التواصل التي سنناقشها في الفصل اللاحق، رد عدد متزايد من الشباب العرب على تلك الحقائق السياسية والاجتماعية الصعبة بالطريقة الوحيدة التي رأوها مناسبة: شد أربطة أحذيتهم والتقدم إلى المواجهة لوحدهم.

ثالثًا: صعود فكرة إنشاء المشروعات

يقوم اليوم عدد متزايد من الشباب العرب بإنشاء قطاع خاص جديد وحيوي من الشركات الصغيرة ورعايته انطلاقًا من الصفر، ليصبح تاليًا جسمًا جديدًا ونابضًا من رجال الأعمال الديناميين. يوجد نحو 3.6 مليون رجل أعمال مصري ناشئ، معظمهم من الشبان الذين يعيشون في القاهرة، والذين حازوا شهادات جامعية وانتقلوا إلى تجارة التجزئة والتجارة العامة والصناعات السياحية لتأمين لقمة العيش[30]. وتبيّن من استطلاع خاص بالشباب أجري في ستة عشر بلدًا، أن كثيرًا منهم يعتقد جادًّا أنه أقدر على الريادة في الأعمال من جيل الآباء[31]. وهم على حق.

تبيّن من خلال دراسة استطلاعية أجريت في تسعة وستين بلدًا لقياس المواقف من ريادة الأعمال، أن الأكثرية الساحقة من شباب المنطقة العربية (83.1 في المئة) وافقت على «أن المباشرة بتأسيس عمل تعتبر خيارًا مهنيًا جيّدًا». وكان الشباب العرب أكثر تأييدًا لريادة الأعمال كمسار وظيفي من البلدان النامية الأخرى التي شملتها الدراسة (70.9 في المئة)، وأكثر تأييدًا بكثير أيضًا من البلدان الأوروبية (63 في المئة)[32]. وتخطى الشباب العرب نظرائه في باقي العالم في ما يخص توفّر المعرفة والمهارات المطلوبة، باستثناء

---

(30) Hala Hattab, *Global Entrepreneurship Monitor: GEM Egypt Report, 2012* (London: Global Entrepreneurship Monitor, 2012), pp. viii-ix.

(31) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2014: We Want to Embrace Modern Values* (Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2014), p. 17, Available at: <http://arabyouthsurvey.com/wp-content/themes/arabyouth-english/downloads/AYS-Whitepaper-en.pdf>.

(32) Jacqui Kew [et al.], *Generation Entrepreneur?: The State of Global Youth Entrepreneurship, Understanding the Entrepreneurial Attitudes, Aspirations and Activities of Young People* (Washington, DC: Global Entrepreneurship Monitor (GEM); London: Youth Business International (YBI), 2013), pp. 66-67.

شملت هذه الدراسة الاستطلاعية الدول العربية الآتية: الجزائر ومصر وفلسطين وتونس. وفي بيان أرقام الدراسة، أغفِلت دولتا إيران وإسرائيل من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. أما المناطق النامية فشملت أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي والصحراء الأفريقية ومنطقة آسيا المطلة على المحيط الهادئ وجنوب آسيا.

أولئك الموجودين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى[33]. أخيرًا، شكّل الشباب العرب أقوى التصورات في البلدان التسعة والستين التي شملتها الدراسة الاستطلاعية، في ما يتعلق بـ «حصول الأشخاص الذين يؤسسون مصالح تجارية ناجحة على مكانة مميزة». وتبيّن في استطلاع آخر أن 15 في المئة من الشباب العرب يريدون إنشاء أعمالهم الخاصة، بينما يشاركهم 4 في المئة فقط من الشباب الأميركي في هذا التوجّه[34]. بالتأكيد، لا تقيس نتائج هذه الاستطلاعات العابرة الأوطان الحقيقة بشكل دقيق، مع أنها تكشف القضية المهمة لتصورات الشباب، وتعطي معنى لنظام القيم الخاص بهم. ويدعم الشباب العرب مبدأ تحرير السوق، ويحترمون بشكل عام دور رائد الأعمال ومساره المهني في المجتمع. إن الشباب العرب اليوم متحمسون لريادة الأعمال ويتميزون بذلك عن نظرائهم في العالم.

لاحظت في خلال مقابلتي كثيرين من الشباب في المنطقة العربية هذه اللهجة التشاؤمية عند كلامهم عن إيجاد الوظيفة الملائمة. وسمعت منهم أيضًا، بدلًا من استسلامهم لهذا المصير، العبارة الآتية: «إذا لم يكن في استطاعتي إيجاد الوظيفة المناسبة، فسأبدأ بعملي الخاص». فهناك ميل واضح لمصلحة البحث عن فرص عمل في المجالات كلها. وأراد كثير من الشباب، من المغرب إلى الإمارات العربية، تبادل الأفكار في شأن مشروع تجاري ممكن. ويتوفّر عدد من المبادرات الإقليمية الجيّدة مثل «إنجاز»، و«جرامين - جميل»، و«صِلَتك»، وEQI التي تساعد في دفع فكرة إنشاء المشروعات إلى الأمام. وتُعتبر «إنجاز» من المبادرات الإقليمية التي تقدم التوجيه والدعم إلى طلاب المرحلة الثانوية الذين يرغبون في تطوير أفكارهم في ريادة الأعمال. وتعمل «صلتك» في أحد مشروعاتها مع المصارف المغربية، لمساعدتها في تزويد الشباب بحسابات توفير، وهي من العوائق التي يواجهها الشباب في الحصول على قروض وتنمية

(33) المصدر نفسه، ص 64-65.

(34) Fadi Salem and Racha Mourtada, *Social Media, Employment and Entrepreneurship: New Frontiers for the Economic Empowerment of Arab Youth?* (Dubai: Dubai School of Government, 2012), p. 17.

أعمالهم. ويؤمن الكثير من هذه المبادرات الإقليمية حوارًا متعدد الأطراف بين القطاع العام والقطاع الخاص والمجتمع المدني، لمساعدة الشباب في النجاح.

ربما كانت المبادرة الإقليمية المفضلة لدي، التي تحفّز الإبداع والابتكار عند الشباب، هي البرنامج التلفزيوني التنافسي الشعبي «نجوم العلوم»، وهو برعاية مؤسسة قطر، وفيه يقوم الشباب العرب بتطوير وتصميم واختبار اختراعات أمام لجنة من الخبراء، بينما يقوم المشاهدون بالتصويت للإبداع المفضل لديهم. والبرنامج الآن في موسمه السادس، واستقبل حتى اليوم ثمانين متباريًا سجلوا بمجموعهم أكثر من ستين براءة اختراع. وحاز البرنامج ملايين المشاهدات على اليوتيوب، وإشارات الإعجاب على الفيسبوك. ويكسب الرابحون في هذه المباراة جوائز قيّمة مئات الآلاف. لكن يكمن النجاح الأكبر لهذا البرنامج في مساعدة الشباب العرب في إدراك الإمكانات الكبيرة لروحه الريادية[35].

أُتيحت لي فرصة التحدّث أمام مؤسسة الإمارات لتنمية الشباب التي تستخدم أنموذجًا لافتًا بوصفها مشروعًا اجتماعيًّا ومؤسسة خيرية، لتعزيز برامج ريادة تمكّن الشباب من أن يصبحوا روّاد أعمال. وقابلت في هذا المنتدى مجموعة دينامية من الشباب المتفائلين بمستقبلهم، الذين كانوا يرغبون في اكتساب معرفة أكبر عن كيفية تطوير أفكارهم وتأمين أسواق أوسع لمنتوجاتهم وخدماتهم. وكان يوجد بين جموع الشباب عدد ملحوظ من الشابات رائدات الأعمال، يزداد عددهن باطراد في العالم العربي.

قابلت على سبيل المثال شيرين التي أسست مركزًا لتعليم الأطفال ذوي الحاجات الخاصة والصعوبات التعليمية. وشهدت شيرين كيف تطورت مراكزها التعليمية على شكل امتيازات باتت تدرّ الأرباح، مع اعتمادها على أموالها وحماستها لإحداث تغيير اجتماعي. وسألتها كيف ولماذا أصبحت مع نساء أُخريات من رائدات الأعمال؟ فقالت: «يشكّل الخليج اليوم منطقة تنافسية يعيش فيها كثير من أصحاب المواهب. وتحصل النساء هنا على التعليم العالي

(35) انظر: «Starts of Science,» *International New York Times* (Advertising Supplement), 4/11/2014, p. 15.

لتحدي أنفسهن ولبناء شخصياتهن وللعمل كرائدات أعمال في المستقبل. وتستجيب النساء لكل هذه الفرص بشكل إيجابي، مع دعم حكومي يوفّر قيادة إيجابية، ويروّج للفكرة القائلة إن بإمكاننا أن نصبح قادة في مجتمعنا».

تُرجع أميرة، وهي شابة إماراتية تدير بدورها منظمة لمساعدة الشباب في تتبع فرص العمل في القطاع الخاص، الروح الريادية الناجحة لدى النساء إلى المبادرات الحكومية التي تؤمن تصاريح للنساء كي ينشئن أعمالهن في المنزل.

لا يزال العمل في القطاع العام، على المستوى الكلي، يشكل بين 60 و80 في المئة من مجموع العاملين في معظم منطقة الخليج[36]؛ وحوالى 40 في المئة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بدءًا من نسبة 10 في المئة الضئيلة في المغرب، إلى نحو 30 في المئة في مصر والأردن والعراق[37]. مع ذلك، تظهر الدراسات الاستطلاعية عن مواقف الشباب انخفاض الرغبة في العمل في القطاع العام، وارتفاع الرغبة في العمل في القطاع الخاص؛ إذ أراد 55 في المئة من الشباب في عام 2012 وظيفة في القطاع العام، لينخفض هذا الرقم إلى 43 في المئة في عام 2014[38]. والأكثر إثارة هو الانخفاض اللافت الذي لوحظ في دول الخليج العربي، حيث أجور القطاع العام أعلى من أجور القطاع الخاص.

كل ذلك لم يعنِ التقليل من أهمية العقبات الموجودة أمام ريادة الأعمال في المنطقة. فهناك في النهاية عدد قليل من البرامج الجامعية التي توفّر تدريس ريادة الأعمال، إلى جانب الأسهم والمسائل المالية مثل القروض الصغيرة. كما توجد العوائق البيروقراطية والتنظيمية، إضافة إلى الثقافة السائدة حيال تجنب المجازفة والخوف من الفشل[39]. مع ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن

---

(36) World Bank, *Free to Prosper*, Executive Summary, p. 1.

(37) Tara Vishwanath, «Opening Doors: Gender Equality in the Middle East and North Africa,» (MENA Knowledge and Learning, Quick Notes Series; no. 60, World Bank, Washington, DC, March 2012).

(38) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2014*, p. 17.

(39) Gabriella Cacciotti and James C. Hayton, «Fear of Failure and Entrepreneurship: A Review and Direction for Future Research,» (Research Paper; no. 24, Enterprise Research Centre, Warwick, UK, August 2014), p. 24.

الشباب العرب متحمسون للانخراط المدني وإيجاد الحلول للمشكلات اليومية التي يواجهونها بوصفهم روّاد أعمال. وتمكنت أكاديمية التحرير، وهي أحد المشروعات الناشئة التي قامت على أنموذج أكاديمية خان، من ملء الفراغ في ما يخص التعليم على الإنترنت، عبر تأمين مواد مجانية بمروحة من الموضوعات تبدأ بـ «ما الذي يسبب الصداع النصفي» وتصل إلى «الفيزياء للمتقدمين». وأسس هذه الأكاديمية المُغترب المصري وائل غنيم، وهو الرجل الذي أنشأ صفحة الفيسبوك الشهيرة «كلنا خالد سعيد» التي انتقد فيها وحشية الشرطة، وساهم في إطلاق ثورة عام 2011 في مصر. وتهدف هذه الأكاديمية إلى عرض أكثر من ألف مادة تعليمية مصوّرة موجّهة للاستهلاك العام، وأُنتِجَ الكثير منها في مصر، وحصلت على أربعة ملايين مشاهدة في أقل من سنتين[40].

يجب ألا تأخذ الحكومات ظاهرة ريادة الأعمال عذرًا للتخلي عن مسؤولياتها في تنسيق السياسات التي تخلق فرص العمل. فكثيرًا ما نسمع الحكومات وكبار أرباب العمل يستشهدون بريادة الأعمال بوصفها وسيلة للإلقاء بمسؤولية إيجاد فرص عمل على عاتق القطاع الخاص، ولتبرير تقليص الإنفاق الحكومي وانسحاب الدولة. وكما برهنت ماريانا ماتزوكاتو بدقة في كتابها **دولة ريادة الأعمال** (*The Entrepreneurial State*)، فإن هذا النوع من المنطق الخطابي خرافة. يمكن تبيان دور الحكومة في تعزيز رواد الأعمال ودعمهم من خلال طيف واسع من الصناعات الحديثة، ابتداءً من التقنيات العالية إلى صناعة الأدوية، إلى التكنولوجيا الصديقة للبيئة. ويعود النمو الناجح للكثير من الشركات الغربية اليوم إلى سياسات الدولة ودعمها. والعبرة هنا في وجوب استمرار الحكومات في أداء دور مهم بوصفها محرّكًا للنمو ومصدر دفع للإنتاجية المبدعة[41]. أخيرًا، ليست ريادة الأعمال الحل السحري لبطالة

(40) «Tahrir Academy: Empowering Self-Education Through Video on YouTube,» *Daily News Egypt*, 18/2/2014, Available at: <http://www.dailynewsegypt.com/2014/02/18/tahrir-academy-empowering-self-education-video-youtube/>.

(41) Mariana Mazzucato, *The Entrepreneurial State: Debunking Public vs. Private Sector Myths*, Anthem Frontiers of Global Political Economy. Anthem Other Canon Economics, Revised Edition (London; New York: Anthem Press, 2014).

الشباب، وعلى الحكومات القيام بالمزيد، خصوصًا مع تزايد البطالة بعد الربيع العربي، لكن سيبقى التغيير الكبير في موقف الشباب العرب هو تطلعه نحو المضي إلى الأمام من دون اللجوء إلى الدولة للحصول على عمل، وهو الذي سيمهّد الأرض أمام جماعة أكثر ثقة بنفسها.

رابعًا: انتهاز فرصة العائد الديموغرافي في العالم العربي

ما الذي سيساعد رواد الأعمال العرب الجدد وهؤلاء الشباب المتشابهين في النجاح؟ يخلق العائد الديموغرافي لمجتمع شاب سوقًا استهلاكية طبيعية قادرة في ذاتها على الاستمرار، ومنجمًا للعمل المبتكر. تتقلّص في العالم العربي الفئة العمرية الأولى (0–14 عامًا)، وتزداد بشكل لا يذكر الفئة العمرية التي تتخطى خمسة وستين عامًا، بينما تنمو وتتوسّع الفئة العمرية التي تقع بين الخامسة والعشرين والرابعة والستين. وهذا يعني أن معدّل الأسرة العربية سينتقل قريبًا من معدّل مثقل بالمعالين، كعائلة مؤلفة من كثير من الأطفال، إلى معدّل مثقل بالأفراد في سن العمل. مع هذا الطيف من العمر السكاني الفتي، يمكن معدلات الإعالة المنخفضة والارتفاع في رأس المال البشري، إنتاج نمو اقتصادي سريع، وقد يستمر هذا النمو في الأقل في الخمس والعشرين سنة المقبلة. وهذا هو العائد الديموغرافي، أو الهدية الديموغرافية كما أطلق عليها بعضهم التي ستتمتع بها المنطقة العربية وأفريقيا قريبًا.

على عكس العالم العربي، يواجه شمال أميركا وأوروبا واليابان، وحتى الصين إلى أن تُوقِفَ بالكامل سياسةَ الطفل الواحد، مستقبلًا ترتفع فيه معدلات الإعالة حيث سيكون لدى الأسر عدد أقل من الأفراد بعمر العمل وعدد أكبر من المعالين. ففي حالات هذه البلدان والمناطق، يزداد عدد المعالين المتقدمين في السن. إنها ليست مشكلة وطنية لأنظمة التقاعد فحسب، وتحويلًا للمدخرات الوطنية من الاستثمار إلى الاستهلاك العام، مثل مدفوعات الضمان الاجتماعي والخدمات الصحية كما يرد في كثير من الأحيان في مناقشات السياسة العامة في البلدان المتطوّرة التي تؤمن منافع سخية للرفاه العام، بل هي أيضًا مشكلة

بالنسبة إلى الأعباء الملقاة على الأسر المؤلفة من بالغين في عمر العمل، أو، بشكل تراكمي، على الضرائب التي يدفعها البالغون في عمر العمل. التحدي الآخر الذي يواجه الشعوب الهرمة هو تباطؤ الإنتاجية والابتكار. وسواء أكنا نتحدث عن الإنتاجية في عملية التصنيع، أم عن التصميم المبتكر للخدمات المقدَّمة، فإن العاملين الشباب يتمتعون بأفضلية على الأكبر سنًا منهم. في الإجمال، ستكون المجتمعات الهرمة أقل قدرة على الإنتاج والابتكار بالسرعة والأفضلية نفسيهما اللتين للمجتمعات الفتية. وهذا هو الجانب الإيجابي لنمو عدد الشباب المتعلّم، المستهلك الخبير، الدينامي والواثق.

ثمة سبب وراء إنفاق شركات التسويق مبالغ كبيرة في محاولة جذب العقول الشابة للتعلق بمنتوجاتها: فهم يؤمنون القاعدة الاستهلاكية المستقبلية القادرة على النهوض بمنتج معيّن أو القضاء عليه. فالمجتمعات الفتية بشكل طبيعي أكثر استهلاكًا للسلع والخدمات من المجتمعات الهرمة؛ إذ يحتاج الشباب إلى سلع معينة ويرغب فيها، والأسر التي تنمو أعدادها أيضًا، لكن ثمة حاجة في النهاية إلى خفض الصرف، ويحصل هذا الأمر غالبًا وبشكل بيّن في المجتمعات الهرمة. توجد استثناءات طبعًا لهذا الأمر على المستوى القطاعي. وبوضوح، إذا كنت تُصنّع وسائل الرعاية الصحية والمستحضرات الدوائية، أو المنتوجات الأخرى التي تعتمد على مجتمع هرم، فسينمو سوقك في المجتمعات الهرمة. لكن معظم السلع والخدمات، خصوصًا في عصرنا الرأسمالي والمفرط في الاستهلاك، موجه في إنتاجه إلى ما «ترغب» فيه المجتمعات الفتية، وليس بالضرورة إلى ما يقوم على «الحاجة». ويُفسّر هذا الواقع، كما يرى علماء السكان، لماذا سنستمر في رؤية النمو الاقتصادي يتحوّل نحو اقتصادات الأسواق الناشئة الأكثر فتوة نسبيًا مثل المنطقة العربية وشمال أفريقيا.

يُمثل شعب فتي سوقًا طبيعية للمنتوجات كما للخدمات العالمية. ولم يكن سهلًا بالنسبة إلى الأعمال اعتبار المنطقة العربية في الشرق الأوسط منطقة لمستهلكين غير مستثمَرين. في أي حال، وكما رأى فيجاي مهاجان في كتابه **عالم عربي من دون قيود: استثمار قوة 350 مليون مستهلك** (*The Arab World*

(*Unbound: Tapping into the Power of 350 Million Consumers*)، فإن المنطقة العربية مكان لسوق مزدهرة ومليئة بفرص الأعمال، وتضم حوالى ثلاثمئة وخمسين مليون مستهلك بحسب مهاجان، وتصنَّف بوصفها تاسع أوسع اقتصاد في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي التراكمي. ويرى مهاجان، أستاذ مادة التسويق، أن خوف الشركات العالمية من العمل في منطقة الشرق الأوسط يذكّره بما سمعه في تسعينيات القرن الماضي، عندما أرادت الشركات تجاهل منطقة البريكس (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا) بوصفها أسواقًا محتملة، لأنها كانت «متواضعة نسبيًا ومعقدة، وفي الإمكان تجاهلها بسهولة»[42]. غير أن الديموغرافيا العربية الشابة الأوسع في العالم، ستكون محرّكًا مهمًا للنمو في الاقتصاد العالمي، في منطقة لن تستطيع الشركات العالمية تجاهلها بعد الآن.

يدفع ذلك إلى السؤال: هل سيكون العالم العربي مكبًا آخر لماركات غربية مصنّعة في منطقة شرق آسيا؟ لا أظن ذلك. ولأشرح الأمر، دعوني أعرّفكم إلى فلّة. تبلغ فلة السادسة عشرة من العمر، بحسب موقعها على الإنترنت، وهي عربية قلبًا وقالبًا. تحب الحياة والتعلّم. تقدّر والديها، وتحب عائلتها وأصدقاءها. وهي في طريقها أيضًا إلى الحلول محل باربي. نعم، فلة هي دمية مُصنعة في قلب الشرق الأوسط. فبعد شهور قليلة أمضيتها في الشرق الأوسط في منتصف العقد الأول من القرن الحالي مع ابنتي الصغيرة آنذاك، أثّر في نفسي سحر النجاح الذي تحققه «القوة اللجوجة» لدى الأطفال، وهو التعبير الذي اخترعه أساتذة التسويق، والذي يتجسّد بصورته الأنموذجية لدى الأطفال الذين - كما ابنتي - يشاهدون عددًا لا ينتهي على ما يبدو من برامج التلفزيون المحلي. فذهبنا إلى مكة مول واشتريت دمية فلة لابنتي، مع عدتها الكاملة: سيارة، فرشاة للشعر، وجميع الأكسسوارات غير الضرورية التي تعجب الفتيات الصغيرات. على خلاف باربي، تمثّل فلّة القيم الإسلامية. فترتدي مثلًا في المناسبات حجابها العصري، وهو جزء من «مجموعة فلة للأزياء المصممة». ومجاراة لمشاعر المسلمين، لم تكن تُباع على حدة البيكيني والتنانير القصيرة

(42) Vijay Mahajan, *The Arab World Unbound: Tapping into the Power of 350 Million Consumers* (San Francisco: Jossey-Bass, 2012), p. 21.

والصديق اللعبة الشبيه بـ«كِن» (Ken). وإذا ما أردت المراهنة على شركتين، ماتل (Mattel) التي تنتج باربي أو نيو بوي ديزاين (NewBoy Design) التي تنتج فلة، فأيٌّ منهما ترجح أنه سينجح أكثر في السنوات العشرين الآتية؟ الاحتمالات هي أن يقوم الغرب الهرم بشراء باربي أقل، في حين ستحتاج منطقة الشرق الأوسط إلى المزيد من دمى فلة.

يدمن ابني من جهته ألعاب الفيديو. وفي هذا المضمار، يعد مجتمع الشرق الأوسط الأسرع نموًا في عدد اللاعبين على الإنترنت، وتشير الإحصاءات السكانية إلى أن هذا الوضع سيستمر لسنوات عدة مقبلة. سيمانور، شركة سعودية، قامت بالاستثمار في هذه الصناعة النامية واخترعت بطلًا جديدًا في مجال الألعاب على الإنترنت في العالم العربي، اسمه فارس. وبوصفه شخصية في لعبة فيديو اسمها «الرِّكاز: في أثر ابن بطوطة»، ينطلق فارس في مغامرة مدهشة عبر الشرق الأوسط، في أثر الرحالة المسلم الشهير ابن بطوطة. لن يكون الأثر واضحًا في أي حال، ذلك أن فارس وأخته دانيا عالمة الآثار التي ترتدي حجابها، سيكون عليهما التغلب على تحالف شرير بين زعيم ميليشيات مسلحة وتاجر سلاح ومهرّب تحف قديمة ثري، يسعون جميعهم وراء الهدف نفسه[43]. ويقدم فارس شخصية بطل عربي خيِّر في مجتمع ألعاب يصوّر العرب غالبًا إرهابيين. «الرِّكاز» هي أول لعبة فيديو كبيرة ناطقة بالعربية أُطلقت على بلاي ستايشن 3 الذي تنتجه شركة سوني، وأعيد تطويرها لتلائم الآيباد، وأجهزة الأندرويد، وفي متناول المستهلكين الباحثين عن رؤية جديدة للعرب في عالم الإنترنت. وأُعلن في المدة الأخيرة عن أن النسخة الأخيرة من سلسلة تيكن الشعبية، تيكن 7، سوف تتضمّن شخصيات جديدة عدة، من بينها شاهين، «مقاتل عربي هادئ»، كما وصفه مخرج تيكن كاتوشيرو هارادا (Katushiro Harada). وطوّرت شخصية شاهين، المتأنق بكوفيته التقليدية وبكابه ومعطفه المتهدلين، استجابةً لمطالبة اللاعبين بشخصية عربية قوية وغير نمطية. وحصلت عملية تصميم شاهين في مراحلها الأولى على الكثير من ردات الفعل، «واستمر هارادا بتصميمه الشخصية العربية، مدعومًا بالردود الإيجابية

(43) Unearthed: Trail of Ibn Battuta (Homepage): <http://unearthedgame.com/>.

على التصميم، ليُصبح شاهين أول شخصية سعودية في سلسلة تيكن التي تهيمن فيها عادة الشخصيات ذات السمات الغربية والآسيوية[44].

تذكرنا شخصيات فارس وفلة والآن شاهين بأنّ الفرادة في ثقافة المنطقة العربية والتنوّع، لا يشكلان حاجزًا أمام الأعمال، بل بالإمكان اعتبارهما فرصة لخلق منتوجات وخدمات جديدة. إن عجلة النمو الاقتصادي تنتقل نحو اقتصادات الأسواق الناشئة، لكن الأعمال الناجحة ستستغل مزايا الاقتصاد المعتمد على الخدمات. إن أرباح التصنيع لا تكمن في الإنتاج المادي الملموس، بل في ابتكار المنتوج وخدمته وتسويقه. وفي حين يسعى الكثير من اقتصادات السوق الناشئة إلى النمو عبر جعل نفسها مصنع العالم للتجميع، سيستغل العالم العربي سوقه الداخلية، ويوسّع رأسماله الفكري بهدف أن يتصدر العالم في تقديم الخدمات، وسوف يستثمر إقليميًا. وهنا سيشكّل دور الشباب العرب المفتاح لنجاح المنطقة.

من المفترض أن تكون فلة وفارس مثالين عن كيفية خلق الشباب العرب هم أيضًا لهوياتهم الخاصة، عوضًا عن الالتصاق بثنائية الإسلام في مقابل الحداثة - وسأعود إلى هذا الموضوع في الفصل الثالث - وكأن كلًا منهما يتبادل الحصرية. يقوم الشباب العرب بخلق هوياتهم وتعزيزها من طريق تكييف خياراتهم الاستهلاكية، سواء أكانت للترفيه أم لغيره، بما يتلاءم مع معتقداتهم وتقاليدهم. وذلك يشكّل مصدرًا للقدرة الاقتصادية. مرة أخرى، لا تنحصر القيمة المضافة للسلعة، في خلال دورة حياتها، بعملية التصنيع. وتتطلّب عملية التصوّر والتصميم والتسويق والإدارة معرفة محليّة بالمنطقة. هكذا، يبقى المنتج الغربي، أو ما يشبهه، في حاجة إلى قدرة قوة عاملة عربية لتكييفه واستيعابه وتسويقه في المنطقة العربية؛ وهي العملية التي تموضع محليًا المنتوجات والخدمات. إن فهم المنطقة العربية ضرورة للأعمال التي تريد

---

(44) Daniel Johnston, «Shaheen Revealed for Tekken 7 as Game's First Non-Stereotypical Character,» *Independent*, 2/1/2015, Available at: <http://www.independent.co.uk/life-style/gadgets-and-tech/gaming/tekken-reveals-new-saudi-arabian-character-9953837.html?cmpid=facebook-post>.

حتى صدور هذا الكتاب، كان انتشار تيكن 7 محدودًا في اليابان، على أن يُحدد موعد تالٍ لنشرها على نطاق واسع.

الاستفادة من العائد الديموغرافي الكامن في المنطقة. وعوّقت الحكومات الاستبدادية الكثير من طموحاتهم قبل الربيع العربي. وبعد صحوة الربيع العربي اليوم، ثمة معنى مكتشف حديثًا للتمكين الاقتصادي ليس بالإمكان تطويعه. فلم يعد الأمر يقتصر على مطالبة الشباب العرب بالمزيد من حكوماتهم، بل هم متأهبون للمشاركة بما لديهم من ذكاء وإبداع وابتكار.

يوفر العائد الديموغرافي للمنطقة العربية سوقًا استهلاكية تفيض بالإمكانات الاقتصادية، لكني على قناعة بأنها إمكانات بتصرف «طبقة مبدعة» عربية، يمكنها أن تكون الأكثر استفادة من العائد الديموغرافي. كان كتاب ريتشارد فلوريدا **صعود الطبقة المبدعة** (*The Rise of the Creative Class*)، أول من قدّم هذا المفهوم ودفع به، ويتناول كيف أن أشخاصًا مبدعين في الصناعات التكنولوجية والصحافة والترفيه والمال والتسويق والفنون تغريهم المدن التي توفر مساحة عصرية وحيّة ومتنوعة للعمل واللعب والرفاهية[45]. في الجوهر، ينجذب الكوزموبوليتانيون إلى العمل في المدن التي تتميّز بطابع خاص وبمناخ يعزز إحساسهم المتميز. ومن المفيد أن نفهم لماذا ستدعم هذه المجموعة من الأفراد المبدعين النمو والنجاح الاقتصاديَين في الكثير من المدن ذي المستوى العالمي، بما فيها تلك الواقعة في العالم العربي.

تدعم عملية الإبداع، وليس وفرة العمالة غير الماهرة، النمو المستقبلي في الاقتصاد العالمي. ويُعتبر الأشخاص الذين يتميّزون بقدرات على حل المشكلات - وهم عادة من الشباب خريجي الجامعات وذوي علاقات على المستوى العالمي - من بين رافدي هذه الطبقة المبدعة. ويمتلك العالم العربي كثيرًا من أولئك الشباب الذين يتميزون «بالمهارات» التي سوف تريدها الشركات العالمية وأصحاب العمل الأجانب ويحتاجون إليها. وكثيرًا ما يُقال إن العالم العربي فوّت على نفسه فرصة الانخراط في الثورة الصناعية لأنه لم يتنافس مع جنوب شرق آسيا أو مع أجزاء من أميركا اللاتينية، لقطف ثمار

(45) Richard Florida, *The Rise of the Creative Class: And How It's Transforming Work, Leisure, Community and Everyday Life* (New York: Basic Books, 2002).

العولمة في تجارة السلع. وقد يكون هذا صحيحًا، خصوصًا في البلدان التي تتميّز بكثافة سكانية مثل مصر، إنما ثمة أنموذج تنموي أفضل أمام الكثير من البلدان العربية في الاقتصاد العالمي كي يجد الشباب العرب ميزتهم التفاضلية. أكثر من ذلك، سيرغب القليل من البلدان في المشاركة في هذا السباق إلى الأسفل للتنافس على عمالة غير ماهرة. وبالفعل، ربما أشار بعضهم إلى أن بورما وفيتنام أخذتا مكان الصين كمقصد للباحثين عن العمالة غير الماهرة. ويحتاج العالم العربي إلى الاستفادة من أفضلية وجود شبابه المتعلّمين الذين ستتوفر لهم سوق استهلاكية داخلية ناشطة، ومن المحتمل أن يستطيعوا أداء دور اقتصادي عالمي من خلال رفع مستوى طبقتهم المبدعة.

ثمة إشارات تدل على أن طبقة مبدعة هي في طور النشوء عبر العالم العربي. وعلى الرغم من التقارير المهمة التي تؤكّد وجود عدد فائض من خريجي العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعيّة (63 في المئة) مقارنة بخريجي العلوم (28 في المئة)، فإن ذلك يعبّر عن قصر نظر في توقّع النجاح المجتمعي[46]. وعلينا أن نتذكر أنّ أغلبية الطبقة المبدعة تنشأ من بين هذه التخصصات. ينتمي ربع خريجي الجامعات العرب في عام 2008 إلى تخصصي إدارة الأعمال والعلوم الاجتماعية، و10 في المئة تقريبًا إلى الهندسة، و20 في المئة إلى التعليم[47]. وبإمكان كثير من خريجي تخصصي إدارة الأعمال والعلوم الاجتماعية الاستفادة من طاقات ثقافة مبدعة، والمساعدة في دفع بلدانهم نحو نمو اقتصادي أكبر. وهذا لا يعني أن بيئة المدينة العربية أنتجت بشكل نهائي طبقة مبدعة، لكني أرى أن هذه الطبقة في طريقها لترى النور. إن العنصر المفقود في عملية تعزيز قيام طبقة مبدعة هو حرية التفكير خارج الأطر الجامدة. تكمن القيمة الفعلية لدرجة المواد التعليمية الليبرالية في المهارات التي تعلّم تقويم وضع ما من جهة، وتعلّم، من جهة ثانية، استخدام وسائل التواصل في الكتابة والحوار والتكلّم، بما يمكّن من رفع مستوى درجة المواد التعليمية الليبرالية

(46) «A Decade of Higher Education in the Arab States (1998-2009),» p. 45.

(47) المصدر نفسه، ص 45.

ليصبح استخدامها إبداعيًا. ومثّل العقد الذي سبق الثورات العربية بداية هذا التساؤل المجتمعي، وسنرى في العقود المقبلة كيف سيعزز الشباب العرب تعليمهم الجامعي لتحقيق قيمة مضافة في الاقتصاد العالمي.

إن مدنًا مثل الدار البيضاء وتونس ودبي وعمان وبيروت والدوحة في طريقها لتصبح المدن المطلوبة، لكنها تحتاج من أجل النجاح إلى تبصّر مخططين مدنيين تطويريين وإلى قادة سياسيين. وعلى غرار مدن كثيرة نجحت في جذب طبقتها المبدعة والاحتفاظ بها والاستفادة الكاملة منها، يجب على المدن العربية الاستمرار في تلبية المتطلبات الاجتماعية الثقافية وحاجات طبقتها المبدعة. وقد يعني هذا الأمر إتاحة المهرجانات والمساحات العامة وصالات العرض والجامعات والأنشطة الاجتماعية للجميع أكثر من قبل. وتنجذب الطبقة المبدعة إلى مجتمع «أوصل وأستخدم» وإلى المقاهي اللافتة، وإلى المراكز الحاضنة الأعمال وإلى مجتمع مرحب بالشبان الكوزموبوليتانيين[48]. وبالفعل، لا يستطيع المرء بعد زيارة دبي إلا أن يشعر بالنشاط المبدع لقوتها العاملة الشابة الكوزموبوليتانية، تلك التي تتشكّل من أناس أتوا من أنحاء العالم كلها. من المفيد ملاحظة أن الشباب العرب يعبّرون بكثافة في الإحصاءات عن رغبتهم في العيش في الإمارات العربية المتحدة، بما يفوق بأشواط رغبتهم في العيش في الولايات المتحدة أو فرنسا أو بلدان غربية أخرى[49]. ولا يزال سحر بيروت ومشهدها الفني يجذبان الناس للعيش والعمل هناك على الرغم من تحدياتها السياسية. وتزدهي القاهرة وعمان بسحر أحيائهما ذات الطابع الفريد والأصالة والذوق الفني مثل حي المهندسين وجبل اللويبدة. بحلول عام 2050، سيصبح نحو ثلاثة أرباع المنطقة العربية حضريًا، وهو مفتاح آخر مطلوب لتحفيز طبقة مبدعة غير مقيّدة بقيم القبيلة والطائفة والنَسب. ويُعتبر هذا التطوّر واعدًا لإنشاء اقتصادات منتجة، لأنّ المناطق الحضرية تطلق العنان للاستهلاك والابتكار.

---

(48) Jamie Peck, «Struggling with the Creative Class,» *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 29, no. 4 (December 2005), pp. 740-770.

(49) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2014*, p. 19.

خلاصة

شهدت المنطقة العربية دورًا متراجعًا للدولة خلال السنوات العشرين الماضية، وغيّرت هذه العملية الانتقالية من نظرة الشباب وفكرتهم عن دور الحكومة في المسائل الاقتصادية. فلم يعد في استطاعة الحكومات أداء دور محرّك النمو، وستعتمد بدلًا من ذلك على القطاع الخاص كي تخلق وتبتكر وتنتج. ولا يذكر الشباب العرب الكثير عن الدور الأبوي للدولة، وهم يريدون المنافسة على مستوى السوق العالمية. التقيت في القاهرة عددًا من الشباب الذين يريدون العمل متدربين في شركات غربية، لتعزيز سيرهم الذاتية بعد التخرّج. ولم يكن معروفًا قبل عقد من الزمان هذا المبدأ الذي يقضي بالعمل مجانًا في شركة خاصة لمدة ستة شهور متواصلة. مع ذلك، يتنافس اليوم الشباب في القاهرة للحصول على هذه الفترة التدريبية غير مدفوعة الأجر، لتعزيز مؤهلاتهم واكتساب مهارات قيّمة. ويبقى أن الحصول على الشهادات الجامعية أصبح حاجة للرجال والنساء على حد سواء، في المناطق الريفية والحضرية معًا. وسيقدم هذا المجتمع الفتي والمتعلّم عائدًا ديموغرافيًّا للمنطقة العربية.

يمكن المرء أن يلاحظ العصارة المبدعة عند الشباب الذين يعملون، من خلال رغبتهم في تأسيس عملهم الخاص، وفي بحثهم عن إمكانات السوق، وفي مشاركتهم الناشطة في السوق العالمية. ولاحظت من خلال مقابلتي عددًا كبيرًا من الشباب في المنطقة، أن كثيرين منهم في المناطق الحضرية يتحدثون عن وسائل لتأسيس عمل وجذب رأسماليين مغامرين وتسويق منتوجاتهم وخدماتهم بشكل خلاّق. وكما قال لي أحد الشبان في الأردن: «حين يُصبح في استطاعتي استدانة مبلغ من المال، سأفتح مقهى على جانب الطريق لأقدم الحلوى والمشروبات. في الأقل سيساعدني ذلك في استثمار المال الموظّف، وسأفتح بعد ذلك مقهى ثانيًا ثم ثالثًا... ولن أتخلى عن حلمي بالعمل لدى شركة متخصصة بالتسويق الرقمي، لكن في الإمكان إيجاد الأرباح في الأردن، أينما بحثنا عنها».

من المقاهي على جانب الطريق إلى عالم الإنترنت، يجد الشباب فرصًا اقتصادية جديدة ما كانت موجودة من قبل. وتزدهر الفرص في عالم الإنترنت

لابتكار التطبيقات التي تلبي حاجة الشباب العرب؛ من التطبيقات التي تساعد في تجنب ازدحامات السير الشهيرة في القاهرة، إلى خدمات الدليل لمساعدة سكان عمان في إيجاد الأطباء والحلاقين والمكاتب الحكومية. وتأتي روح المبادرة هذه والتفكير الخلاق من قوة التكنولوجيا الرقمية. من وسائل التواصل الاجتماعي إلى التسوّق على الإنترنت، تسمح التكنولوجيا الرقمية للناس بإيجاد المستثمرين والأسواق على المستوى العالمي. أكثر من ذلك، ستكون الحكومات أقل قدرة على التحكّم بمستقبل ريادة الأعمال، مع خصخصة قطاع الإنترنت والاتصالات في المنطقة. وتبقى التحديات موجودة، ولا سيما في الحصول على التمويل، إنما مواقف الشباب في ما يخص العمل والإنتاج تتغيّر، خصوصًا في المناطق الحضرية. فما عاد هؤلاء الشباب يعتمدون على الدولة للحصول على وظيفة، ولم يعد يعتبر التعليم وسيلة للحصول عليه؛ إذ أصبح التعليم بالنسبة إليهم غاية في حد ذاتها. وثمة توقعات كبيرة في ما يخص النساء على وجه الخصوص لتحصيل التعليم الجامعي بوصفه وسيلة لبناء الشخصية والثقة بالنفس، سواء أكانت المرأة رئيسة لمجلس إدارة أم ربة منزل.

عندما استُطلع الشباب العرب وسُئلوا أن يختاروا ضمن لائحة طويلة من التحديات التي تواجه الشرق الأوسط، كان قلقهم الأكبر وإلى حد بعيد ارتفاع تكاليف المعيشة، يتبعه الفساد الاقتصادي والحكومي. أما المسائل التي نعتبرها في الغرب من أهم التحديات التي تواجه منطقة الشرق الأوسط، كالعسكرة وحرية الصحافة والحق في الانتخاب، فجاءت في أسفل سلّم اهتمامات الشباب العرب. وكما تأكد من بيانات استطلاع هؤلاء الشباب، كان الخبز – قبل الحرية والكرامة – أولوية عند الشباب الذين رفعوا الصوت في ميدان التحرير، وما بعد ميدان التحرير[50]. لكن لا يمكن المرء أن يفسّر ذلك على أنه تبرير للقمع السياسي والاستبداد. وكما يوضح الفصل التالي، يريد الشباب العرب الحرية السياسية، ويعملون بشكل خلاّق كي يتوصلوا إلى المحاسبة السياسية والإصلاح، من خلال الإنترنت وخارجه.

(50) المصدر نفسه.

الفصل الثاني
الحرية

كانت المآسي الاقتصادية دافعًا مهمًا وراء الربيع العربي، لكن لا يمكننا أن نفصل بين هذه المشكلات والوضع السياسي الذي يواجهه كثير من العرب ومن الشباب العرب. تختلف الطريقة التي يتصّور فيها الشباب العرب دور السلطة، بشكل جذري عن الطريقة التي كان جيل أهلهم يفهم العقد الاجتماعي. كانت المنطقة العربية موطنًا لبعض أكثر الأنظمة السياسية انغلاقًا في العالم، طوال عقود بعد تحقيق الدول العربية استقلالها، وفي ذروة الحرب الباردة بين القوتين الكبريين. وكان الخضوع للقادة السياسيين ضرورة لبناء الدولة الحديثة من الأعلى إلى الأسفل؛ هذا ما كان يُقال لأجيال من العرب في منتصف القرن العشرين. غير أن الشباب العرب اليوم لا يقيمون وزنًا لاحترام هذا الأمر، حيث قيل لهم إن الدولة ستُحدّث من الأسفل إلى الأعلى، واستوعبوا الفكرة.

لا تتبع الحكومات والقادة العرب أيديولوجيا سياسية واحدة، على الرغم من تراجع ظاهرة الإذعان السياسي في المنطقة. فهناك أنواع مختلفة من قواعد الحكم في منطقة الشرق الأوسط، بدءًا من قاعدة حكم القبضة الحديدية للقذافي في ليبيا، وصولًا إلى قاعدة الحكم الديمقراطية الليبرالية المعطّلة في لبنان والأراضي الفلسطينية والعراق. وهناك أيضًا الكثير من الأنظمة الملكية العربية، بعضها ليبرالي تقدمي مثل المغرب في عهد الملك محمد السادس، وبعضها الآخر ديني محافظ مثل السعودية في عهد الملك عبد الله.

بعد الموجات الديمقراطية التي اجتاحت أميركا اللاتينية وشرق أوروبا وأجزاء واسعة في آسيا خلال ثمانينيات القرن الماضي، يبدو أن منطقة الشرق الأوسط ستكون الأخيرة لناحية انفتاح نظامها السياسي على المزيد من الديمقراطية. وكمثل الحكومات العربية التي تبدو منفصلة عن باقي العالم وعن حاجات شعوبها، كذلك الأمر بالنسبة إلى النظريات السلوكية التي تلقي

اللوم على العوامل الاجتماعية الثقافية في تبطيء النمو السياسي أو الاقتصادي. عند تطبيقها على المنطقة، تُخطئ هذه النظريات في اعتبارها أن الثقافة العربية، وضمنيًا الدين الإسلامي، يتناقضان مع الديمقراطية. ودفع انتشار هذه النظريات بدوره كثيرًا من المحلّلين الغربيين إلى التحدّث - في نوبة عمياء من المنطق الثقافي الاختزالي - عن «الاستثناء العربي»؛ أي عن أن المنطقة العربية مياه راكدة بالنسبة إلى العولمة والديمقراطية والحداثة. وكثيرًا ما كان يُلام العرب أنفسهم بوصفهم متبلّدين وغير مبالين ولا يهتمون بالسياسة. وما زال بعضهم يتحدّث، لسوء الحظ، عن عدم جهوزية العرب للديمقراطية، ومن بين هؤلاء كثير من الحكام المستبدين في منطقة الشرق الأوسط الذين حكموا طوال سنين، ونخبة سياسية واقتصادية تستفيد من المحافظة على الوضع الراهن.

يصف الأكاديميون الذين يدرسون المنطقة العربية بشكل عام كيف مأسست «المطواعية الاستبدادية» نفسها في المنطقة[1]. وتجاهل كثير من هؤلاء الأكاديميين إشارات التغيير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. بعضهم كتب عن «النفاذية الإقليمية» للعالم العربي، حيث يؤدي الضغط الخارجي الهادف إلى إرساء التحول الديمقراطي، وتغيير الخطاب الداخلي عن حقوق الإنسان، ونهوض قوة المجتمع المدني، إلى تغيير بطيء للنظام الاستبدادي من داخله[2].

---

(1) انظر على سبيل المثال: Eva R. Bellin, «The Robustness of Authoritarianism in the Middle East: Exceptionalism in Comparative Perspective,» *Comparative Politics*, vol. 36, no. 2 (2004); Jason Brownlee, *Authoritarianism in an Age of Democratization* (Cambridge, England; New York: Cambridge University Press, 2007); Daniel Brumberg, «Democratization in the Arab World? The Trap of Liberalized Autocracy,» *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 4 (October 2002); Larry Diamond, «Why Are There No Arab Democracies,» *Journal of Democracy*, vol. 21, no. 1 (January 2010); Noureddine Jebnoun, Mehrdad Kia and Mimi Kirk, eds., *Modern Middle East Authoritarianism: Roots, Ramifications, and Crisis*, Routledge Studies in Middle East Authoritarianism (London; New York: Routledge, Taylor and Francis Group, 2014); May Kassem, *In the Guise of Democracy: Governance in Contemporary Egypt* (Reading, MA: Ithaca Press, 1999); Marsha Pripstein-Posusney and Michele Penner Angrist, eds., *Authoritarianism in the Middle East: Regimes and Resistance* (Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2005); Nicola Pratt, *Democracy and Authoritarianism in the Arab World* (Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2007), and Quintan Wiktorowicz, «The Limits of Democracy in the Middle East: The Case of Jordan,» *Middle East Journal*, vol. 53, no. 4 (Autumn 1999).

(2) Rex Brynen [et al.], *Beyond the Arab Spring: Authoritarianism and Democratization in the Arab World* (Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2012).

مع ذلك، توقّع قليل من الأكاديميين العرب الربيع العربي، فضلًا عن التغير في الخطاب السياسي الذي دخل منطقة الشرق الأوسط بفعل تطوّر الأجيال. أريد أن أُظهِر في هذا الفصل أنه في ما تحت السطح الظاهر، وفي ما يتجاوز البحوث الأكاديمية عن الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، ثمة جيل من العرب يتحدث عن السياسة ويفكر فيها ويراها بطريقة مختلفة جذريًا عن سابقيه. وكان شعار الشباب العرب غالبًا المطالبة بالحرية: التحرر من الفساد الزاحف والاستبداد اللذين يحولان دون استفادة الشباب العرب من الفرص الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أكمل وجه.

أتاحت التطورات التكنولوجية التي اجتاحت المنطقة العربية للشباب بلورة آرائهم عن التحرّر من الفساد والمحسوبية والتمييز. وسمحت وسائل الإعلام الرقمي للشباب العرب أن يستوعبوا ويكوّنوا أفكارًا جديدة عن العلاقة التي من المفترض أن تقوم بين الحكومة والشعب. من الصعب قياس هذا التغيير في الخطاب السياسي، لكن في استطاعة قلة فحسب من أولئك الذين يزورون المنطقة العربية تجاهل التحولات الجوهرية في كيفية إدراك الشباب العرب دور السلطة، فضلًا عن التحوّل في قدرة الشباب على تحدي قصور الدولة. ولملاحظة التحولات في مواقف الشباب وفي قدرتهم على تحدي السلطة، نحتاج إلى العودة في الزمن لنرى كيف كانت تجري الأمور قبل الصحوة العربية، وكيف أن عملية فتح الباب على مصراعيه أمام تدفق المعلومات مكّنت الشباب العرب من أن يطالبوا بالحرية.

أولًا: قبل الصحوة العربية

طوال عقود من الزمن، ما كانت الحكومات العربية تتحمّل انتقاد حكمها. وبفعل السيطرة القوية للسلطة بوساطة أجهزة الأمن في الشرطة والاستخبارات والجيش، حُظر الانتقاد العلني من خلال الترهيب والقمع. وفُرِضت القيود على حرية التعبير والتجمّع في أكثر الأحيان. ولم تتوافر السبل الكثيرة لضمان المحاسبة والتعبير عن الاعتراض السياسي وتحدي البنية السياسية. وكان

الإعلام ووسائل الاتصال تحت سيطرة الدولة، بدءًا من الصحف الحكومية التي لا تتحدث إطلاقًا بالسوء عن الزعيم العظيم، إلى محطات التلفزة الحكومية التي تعرض الإنجازات الوطنية العظيمة فحسب. لكن، على الرغم من هذا الجهد كله لضمان السيطرة والإخضاع، تعرّضت الأنظمة الاستبدادية، ولما تزلْ، للتحدي من الأسفل إلى الأعلى.

يستطيع الشباب العرب اليوم الوصول إلى مئات القنوات التلفزيونية الفضائية المفتوحة (الكثير منها يبث أخبارًا تنتقد بشدّة الحكومات العربية والشؤون الدولية)، وإلى عدد لا يُحصى من مصادر المعلومات على الإنترنت، وإلى تطبيقات الهاتف الجوال التي تلتف على الخدمات الحكومية، وإلى عدد كبير من منصات التواصل الاجتماعي لتحدي حكوماتهم والدعوة إلى محاسبتها. ويتعامل هذا الشباب مع الإنترنت ببراعة، ويُثبت مرة أخرى قدرته على تحدي الرقابة والإعلان عن آرائه والتفوّق على جيوش السلطة الإلكترونية المكلفة بكشف أسمائه المستعارة. ويؤسس الشباب العرب مجتمعات جديدة لتشارك الآراء والآمال السياسية، بدءًا من الإنترنت، وانتقالًا ببطء إلى الساحات والميادين خارج الإنترنت. لم يتحوّل هذا الجهد إلى أحزاب سياسية مؤسساتية أو تجمعات أيديولوجيّة، أي إلى تلك الكيانات التي يبحث عنها عادة العلماء السياسيون لتحديد واكتشاف الديمقراطيات الليبرالية في مهدها. مع ذلك، تتأكل المعطيات السياسية التي سادت التاريخ العربي في خلال العقود الماضية؛ إذ تغيّرت جذريًا تصورات الشباب للسياسة والحكم وجوهر الحرية.

دقّ الربيع العربي إسفينًا قويًا في المسلّمات السياسية في المنطقة العربية، مثل قبول حكم المستبد القوي في مقابل الاستقرار؛ وعدم المساءلة عن استخدام المال العام؛ وعدم الاهتمام بعناصر الديمقراطية الليبرالية. وكان الشباب العرب المحرضين الأساس الذين دفعوا إلى التشكيك في هذه المعطيات السياسية. فلم يعد في استطاعة هؤلاء الشباب قبول الوضع القائم، لأنه ما عاد يتوافق (هذا إذا كان متوافقًا في أي زمن مضى) مع واقعهم الاجتماعي، بفضل العولمة ومستويات التعليم المرتفعة والروح الاستقلالية المتنامية والمبادرات التي شاهدنا نموها في الفصل السابق.

فكيف بدت هذه المعطيات السياسية في الممارسة، وكيف يتحدى الشباب العرب الوضع القائم؟ واحدة من المسلّمات السياسية التي هزّها الربيع العربي هي الفكرة البالية والمستغلة طويلًا القائلة بضرورة وجود زعيم قوي وبأهمية دوره بوصفهما مؤشرَين على الاستقرار. وعلى الرغم من عدم وصول المنطقة العربية مطلقًا إلى مستوى عبادة الشخص الدعائية التي نراها في أنظمة استبدادية مثل كوريا الشمالية، حيث يذرف الناس الدموع حبًا وولاءً للزعيم الأوحد، إلا أنه كان هناك الكثير من أوجه التبجيل في منطقة الشرق الأوسط. وكان بعض القادة العرب عنيفًا بشكل خاص في فرض عبادة شخصيته، وتخطر في الذهن بسهولة أسماء مثل معمر القذافي وحافظ الأسد وصدام حسين. وأنشأ الكثير من حكومات الزعيم الأوحد أجهزة أمنية وسردية اجتماعية أفضل ما وصفت به أنها «جمهورية الخوف»[3]. إن الهدف السياسي لتلك الأنظمة هو في الآن ذاته خلق مظهر من الشرعية يحيط بالزعماء السياسيين الذين لم يتم يومًا انتخابهم، والذين يحكمون دولًا حديثة لا مرجعية تاريخية لها وتأمين إقصاء المعارضة السياسية.

على الرغم من أن «جمهورية الخوف» ليست القاعدة في المنطقة، غير أن الزعماء العرب يستمرون في التشديد على الحاجة إلى الاستقرار في المنطقة عبر الحفاظ على الوضع القائم. وعندما نالت الدول العربية استقلالها عن القوى المستعمِرة، ومن بينها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، لم تكن أسماء كثير منها موجودة أصلًا على الخرائط السياسية. في الواقع، رُكّبت هذه الدول في تلك الحقبة على أساس أغلبية قاطنيها. وتشكلت الهوية، على مدى قرون، بالتوافق مع القبيلة والنسب والطائفة والطبقة والمهنة والمدينة أو البلدة. ولم يحدد العرب أنفسهم مثلًا كعراقيين ولبنانيين وليبيين... إلخ.

كانت مهمة الطبقة الحاكمة بعد الاستقلال، مثلما كانت مهمة أسيادهم الاستعماريين السابقين، دفع السكان ضمن الحدود الدولية المرسومة حديثًا إلى تحديد أنفسهم بوصفهم مواطنين تابعين لهذه البلدان الجديدة. ولم تكن هذه المهمة سهلة دائمًا بسبب الهويات العابرة الحدود؛ إذ فُصل الناس ذات الهويات المشتركة بشحطة قلم من المستعمرين. وتاليًا، احتاجت الدول العربية

(3) Kanan Makiya, *Republic of Fear: The Politics of Modern Iraq*, Updated Ed. with New Introd. (Berkeley: University of California Press, 1998).

المشكّلة حديثًا إلى بناء دولة قومية من المواطنين الذين لا يشككون في شرعية الحدود. فاستحضرت أو اخترعت، نتيجة ذلك، رموزًا ومتخيلًا وطنيًا وجيوشًا وطنية وقصصًا عن البطولات الوطنية، والحاجة الماسة طبعًا إلى قادة للدولة الجديدة وإلى أجهزة شرطة وأمن ليتماسك كل ذلك بعضه ببعض.

سأجعلكم تشاركوني بعض تجاربي الشخصية التي تستمر ماثلة في الذهن بشكل خاص، على الرغم من وجود أمثلة لا تحصى على كيفية سيادة الترويج للرجل القوي. أذكر زياراتي إلى سورية في منتصف الثمانينيات، حيث رأيت أول مرة هذا النوع من الدعاية الأوروبية التي استُعملت لإبقاء الناس تحت المراقبة. كانت صور الرئيس حافظ الأسد آنذاك منتشرة في كل مكان: تماثيل له منتصبة على الدوارات، صورة وجهه ملصقة على يافطات مرفوعة فوق كل مبنى حكومي، صور له في مناسبات مرفوعة على لوحات إعلانية كبيرة في الشوارع، صور داخل إطار في كل محل ومطعم، بوسترات ملصقة على الزجاج الخلفي للسيارات والتاكسيات والباصات، وهذه كانت موجودة في أنحاء البلاد كلها. كان تعبير وجهه في هذه الصور صارمًا دائمًا. وكان بزيه العسكري يبدو سارحًا بنظره في البعيد كالقوي القادر على كل شيء. كانت الرسالة أن الأسد يمثل صورة الأب - «بابا حافظ» كما كان يرمز إليه - الذي يريد أن يحمي شعبه من التهديدات الخارجية، أكانت من الإسرائيليين أم من الغرب، أم من المتسلّلين في الداخل، وكان السوريون في حاجة إلى رجل كالأسد لحماية وطنهم من الاستعباد.

كان الناس مرتهنين للبرامج السورية المحلية التي تسيطر عليها الدولة، نظرًا إلى وجود عدد قليل من محطات التلفزة الأرضية وموجات الراديو المتوافرة. رأيت وسمعت الموضوع نفسه يتكرّر باستمرار. كانت نشرات الأخبار التلفزيونية والإذاعية تبدأ عادة بنشاط الأسد اليومي، ومن التقى، وما هي القرارات التي اتخذها، وما الجوائز التي منحها لحلفائه المختارين. ولم تتضمن هذه النشرات بالطبع مقابلات شخصية مع الأسد، بل مجرد قصص مصوغة عن نشاطاته اليومية التي كانت تقدمه على أنه القائد إلى الأبد. وكانت تتبع نشرة الأخبار الرئيسة استراحة موسيقية. فيبدأ مطرب أو مطربة

قليلا الشهرة بأداء أغنية تشيد بالأسد حاميًا للبلاد. وتظهر صور للأيقونات التاريخية والثقافية للبلاد على الشاشة، متداخلة مع العروضات العسكرية، ومع الأسد واضعًا النظارات الشمسية، ولمحة من وقت إلى آخر عن الجانب الليّن للأسد تظهره مع طفل سوري. ويُعاد عرض هذه الأغاني في خلال النهار بين المسلسلات التلفزيونية والأفلام المترجمة وأفلام الغرب الأميركي المعادة مع ترجمة مكتوبة. ونادرًا ما كان يُقدَّم الأسد كرجل عائلة أو مع صحبة اجتماعية، أو مصورًا داخل منزله، أو مرتديًا ملابس غير رسمية. ولا مجال للخطأ في أن المتخيّل المعبّر عن البطولة والقومية والقوة، هو ما يرمي الأسد إلى تجسيده على شاشة التلفزيون السوري.

قلة من العرب اليوم تشكك في شرعية حدود الدولة، وفي الحقيقة يعرّف كثيرون أنفسهم مواطنين لهذه الدول المشكّلة حديثًا. إن نقاش المحللين الجاري حاليًا عن نهاية حدود سايكس - بيكو مبالغة وحسب[4]. يوجد بالتأكيد كثير من الأقليات غير العربية، مثل الأكراد والبربر والأشوريين الذين يرغبون في تقرير المصير أو الحكم الذاتي. ويوجد أيضًا، كما هو الحال مع الفلسطينيين والبدون في الخليج العربي والصحراء الغربية، من لا يزالون من دون دولة لهم ويعترضون على الترسيمات الحدودية وعلى عمليات ضمهم. في أي حال، العرب إجمالًا شديدو الفخر اليوم بهوية الدولة، ويرون أنفسهم مواطنين ليبيين أو جزائريين أو سوريين أو عمانيين أو كويتيين... إلخ. وتحوّلت بلدانهم التي رسمها الاستعمار إلى هويات راسخة في عقول معظمهم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

---

(4) انظر على سبيل المثال: Parag Khanna, «The End of the Nation-State?,» *New York Times*, 12/10/2013; Itamar Rabinovich, «The End of Sykes-Picot? Reflections on the Prospects of the Arab State System,» (Middle East Memo; no. 32, Brookings Institution, Washington, DC, February 2014); David W. Lesch, «Will Syria War Mean End of Sykes-Picot?,» (Al-Monitor, 12 August 2013), Available at: <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/08/syria-sykes-picot-ottoman-borders-breakup-levant-mandates.html#>; Joel Rayburn, «The Coming War in the Middle East,» (Defining Ideas, Hoover Institution, 6 February 2013), Available at: <http://www.hoover.org/research/coming-war-middle-east>, and Robin Wright, «Imagining a Remapped Middle East,» *New York Times* (Sunday Review) (28 September 2013), Available at: <http://www.nytimes.com/2013/09/29/opinion/sunday/imagining-a-remapped-middle-east.html?pagewanted=all>.

في السابق، ارتبطت هوية الدولة في المنطقة العربية بالترويج للأمننة، والالتفاف حول العلم لمواجهة عدو خارجي. واعتمد العقد الاجتماعي على مفهوم توفير القادة العرب للأمن والاستقرار. وبما يشبه ما قاله هوبز في كتابه **الليفياتان** (*Leviathan*)، كان القادة العرب يعتبرون أنفسهم شرعيين على رأس الدولة، يقدمون الأمن في مقابل تخلي المواطنين لهم عن حقوقهم السياسية وحرياتهم. ووافقت الشعوب العربية على أن تكون تلك هي الحصة المتوجبة عليها في المقايضة وفي العقد الاجتماعي. مع ذلك، فإن واقع تحديد العرب لأنفسهم بوصفهم مواطنين في دولة، دفع إلى عملية إعادة تفكير في هذا العقد الاجتماعي، خصوصًا أن العنف الممارس على المواطنين في معظم بلدان المنطقة كانت تنفذه العناصر الداخلية مثل أجهزة الأمن والاستخبارات أكثر من العناصر الخارجية.

استمر عدد من القادة العرب بالترويج الرسمي عن أنهم لا يُستغنى عنهم، بعد وقت طويل من ترسخ هويات الانتماء إلى الدولة في قلوب الشعوب العربية وعقولهم. وخضع أولئك الذين شككوا في شرعية القادة، وفي حرمة الدولة ضمنًا، لمراقبة نظام حديدي من الاستخبارات والأجهزة الأمنية. وبالعودة إلى قصتي عن سورية في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، لا أعتقد أنّ الشعب السوري وافق على حكم حافظ الأسد القوي بوصفه أمرًا مسلّمًا به. ودفع كثير من الناس الذين أعرفهم ثمنًا باهظًا لوجود أشخاص تحدّوا سلطته، من عائلاتهم أو من أصدقائهم. وانتشر الخوف بشكل واضح في سورية. ولم يجرؤ الآباء على التحدث في السياسة أمام أولادهم، لأنهم قد يخبرون معلميهم في اليوم التالي، ليرسلوا بدورهم تقارير عن «أنشطة تخريبية وتدميرية». وكثيرًا ما قيل لي إنّ «للجدران آذانًا».

شهدت مدينة حماة في عام 1982 أسوأ مجزرة ضد المدنيين والمعارضين السياسيين في العالم العربي أجمع. وأحسست مع وقوفي في عام 1987 أمام النواعير التاريخية والمميزة لتلك المدينة في قلب الوطن السوري، بالخوف والرعب مما حصل هناك قبل خمس سنوات فقط. كان التوقف في حماة،

خلال رحلتي من دمشق إلى حلب، نوعًا من التكريم لن أنساه أبدًا. فوقفت لساعات عدة، مع الخالة سنا من كندا، أتأمل النواعير، من دون أن أتلفّظ بأي كلمة. وتجرأت الخالة عندما غادرنا الأرض السورية على وصف المآسي التي تعرضت لها عائلتها. وتركنا وراءنا مدينة ذات جروح نازفة وغير ملتئمة، بعد ترداد صلاة صغيرة ترافقت مع نواح خالتي الصامت.

دخل جيش الأسد مدينة حماة في عام 1982 لسحق ثورة من المعارضين السياسيين الذين ينتمي معظمهم إلى حركة الإخوان المسلمين، لكن عملية القمع توسعت لتشمل جميع الذكور القادرين على القتال. وقيل إن الرجال سُحبوا إلى المساجد ليُقتلوا رميًا بالرصاص في داخلها. ثم انتقلت قوات الجيش من منزل إلى آخر، لأكثر من سبعة وعشرين يومًا، لقتل أي معارض محتمل للأسد. والعدد الدقيق للقتلى غير معروف، لكن تراوح التقديرات بين العشرة آلاف والأربعين ألف قتيل. وسوف تتذكر خالتي لاحقًا أن النساء في هذه المدينة الإسلامية المحافظة توقفن عن وضع الحجاب أو غطاء الرأس، لأنه ببساطة لم يبق رجال في المدينة كي تتغطى النساء؛ إذ خلا جيل كامل من الشبان، وفقدت خالتي أبناء عمومتها الذكور، ولم تنس قط الرعب التي عانته في مدينة حماة. وبسبب تلك التجارب التي نُقلت إلي، أنا أيضًا لن أنسى أبدًا.

عندما شكك المعارضون السياسيون في شرعية الأسد، كانت الرواية المعتمدة بسرعة لدى نظامه هي أن هؤلاء الأشخاص كانوا يسعون إلى تقويض الدولة، وأنهم كانوا في الواقع إرهابيين يستحقون السحق بالقوة العسكرية. ومع عدم وجود الإنترنت والهواتف الجوالة، وضعف الهواتف الثابتة، والقليل من انتقال المعلومات بواسطة المواطنين، نادرًا ما انتشرت أخبار حوادث حماة خارج القنوات الرسمية المراقبة. وخرجت الصورة إلى الضوء تدريجًا وببطء، شفويًا، خصوصًا من خلال الجالية السورية المنتشرة في العالم، وبين أولئك الذين شاركوا في ثورة 2011، الذين كان لكثير منهم أحباء مفقودون اعتبروا طويلًا أنهم من الأموات.

ليس من المصادفة أن تعود اللغة نفسها والشعارات والتكتيكات الأخرى

التي اعتمدها حافظ الأسد في عام 1982، مع ابنه بشار إبان الثورة السورية التي بدأت في عام 2011. لكن رفض الشعب أن يصمت هذه المرة، وسعت الحملة التي قاد معظمها الشباب إلى كشف وحشية النظام، وأفسحت المجال أمام مواطنين وصحافيين وناشطين طالبوا بالحرية. ولن تعود شرعية بشار الأسد إلى ما كانت عليه قبل الربيع العربي بالنسبة إلى الجيل الجديد الذي يقود هذه الثورة.

ثانيًا: فتح الباب على مصراعيه للأفكار

بدأت الصحوة العربية في سورية، خلال ربيع عام 2011، في منطقة درعا الريفية، حين اعترض الناس على تعذيب أولادهم الذين كتبوا شعارات مناهضة للنظام على لوح المدرسة. مع ذلك، كان طلاب الجامعة في دمشق هم الذين أثاروا حملة احتجاج ضد قتل وتشويه الطفل ذي الاثني عشر ربيعًا، حمزة الخطيب الذي كانت خطيئته الوحيدة التظاهر ضد تعذيب أطفال درعا. غضب هؤلاء الطلاب في دمشق من عنف النظام ووحشيته، وتحدّوا آباءهم الذين يشكلون في الأغلب جزءًا من طبقة التجار الميسورة اقتصاديًا، لأنهم ببساطة لم يستطيعوا استيعاب أن حكومة متوحشة تمتلك سلطة لمعاملة الأطفال بهذه الطريقة الراعبة. كان طلاب الجامعة في دمشق هم من أطلق حركة ذات طابع وطني أدت لاحقًا إلى تغذية الصحوة العربية في سورية.

ما الفرق الذي أحدثته الأعوام الثلاثون في المقارنة بين انتفاضتي 1982 و2011؟ لم ينتشر في عام 1982 إلا القليل من أخبار الفظاعات التي خلّفتها قوات الأسد وراءها في المدينة، ونُشِرَ القليل من لوائح الأسماء، ولم يتجرّأ إلا عدد قليل من السوريين، حتى في المهجر، على العودة إلى الحديث علنًا عن تلك الفظائع، خوفًا من انتقام الأجهزة الأمنية، أو خوفًا على أحبائهم الذين ظلوا داخل البلاد. وعندما قتلت قوات الأمن حمزة الخطيب في 25 أيار/ مايو 2011، انتشرت الصور المريعة لجثته المشوّهة في أنحاء العالم. ولجأ طلاب الجامعة أنفسهم الذين أطلقوا تظاهرات الاحتجاج الطيارة في دمشق إلى

الإنترنت أيضًا لفضح جرائم الأسد. وحظيت صفحة مخصصة لحمزة الخطيب على الفيسبوك على أكثر من مئة ألف متابع، بعد أقل من شهر على وفاته. وارتفع عدد المتابعين، بعد ثلاثة أعوام من وفاته، إلى سبعمئة وتسعة وخمسين ألف متابع. وانتشرت صوره على الهواتف الجوّالة في المنطقة العربية، وبإمكان قلة من العرب فحسب القول إنها لم تشاهد تلك الصور المريعة. ومن مدعاة الحزن أن حمزة هو اليوم واحد من عشرات آلاف الأطفال الذين قتلوا في النزاع السوري، إلا أنه أطلق حركة لشباب سوريين لن يتجاهلوا ببساطة، ما داموا أحياء، وحشية نظام الأسد.

كانت السيطرة على المعلومات والأخبار طوال عقود من الوسائل الفاعلة لضمان خضوع الناس سياسيًا، ولتشكيل المفاهيم العامة والآراء لمصلحة النخبة القليلة الحاكمة. وأظهرت دراسات استطلاعية عدة أن العرب يستقون الأخبار بشكل أولي من شاشة التلفزيون. والحال أن مشهد البرامج التلفزيونية في المنطقة العربية تغيّر بشكل كبير منذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي؛ إذ يشاهد أكثر من نصف الأسر العربية البرامج التلفزيونية مستخدمين جهاز استقبال الأقمار الصناعية، يخوّلهم مشاهدة أكثر من سبعمئة قناة، معظمها عربي ومجاني، ويمتلك 76 في المئة منها القطاع الخاص[5]. وفي حين أن البرامج العامة هي الأكثر انتشارًا على البث الفضائي المجاني، تأتي نشرات الأخبار والحوادث الجارية في المرتبة الثانية من نوعية قنوات البث. ومن حيث استهلاك العرب لوسائل الإعلام، تبيّن أن مصدر الصحافة المطبوعة والإذاعة محلّي بشكل رئيس، في حين يأتي التلفزيون والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي من مصادر محلية وعالمية[6]. وتُظهر الدراسات الاستطلاعية أن وسائل الإعلام العالمية تبتعد من الطباعة والإذاعة، ويبدو من خلال المزيد من المصادر على الإنترنت، أن مشهد الأخبار العربية يتحوّل هو أيضًا نحو العالمية.

---

(5) «A Majority of FTA Satellite Channels Catering to the Arab World Are Privately Owned,» (Arab Advisors Group, 19 August 2013), Available at: <http://www.arabadvisors.com/Pressers/presser-190813.htm>.

(6) Richard Shediac, Samer Bohsali and Hatem Samman, *The Bedrock of Society: Understanding and Growing the MENA Region's Middle Class* (Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012), p. 30.

لا يمكن تجاهل تأثير قناة الجزيرة في قلب ميزان القوى ضد احتكار الحكومات العربية الإعلام، من حيث برامج الأخبار والحوادث الجارية. وتمثّل قناة الجزيرة أول قناة برامج إخبارية لا تخضع لسيطرة الحكومات في المنطقة العربية. لكن تبيّن مع الوقت، خصوصًا إبان الربيع العربي، أن القناة العربية الرائدة أصبحت بشكل متزايد أسيرة خطاب السياسة الخارجية القطرية، بعدما كان في استطاعة الشعب العربي مشاهدة أخبار نقدية عن الشؤون الدولية والإقليمية والقُطرية من مصدر إخباري محترف، عندما دخلت قناة الجزيرة موجات الأثير أوّل مرة.

حصل المشاهد العربي، أوّل مرة، على صور وقصص لم ترسم قادته بالوهج نفسه الذي وصفهم به الإعلام الرسمي. وكشفت الجزيرة الفساد، والنفاق، وقدمت تحاليل خالية من أي خوف من ردات فعل انتقامية للسلطة. وبمؤشر واضح، اعتمدت الجزيرة مقاربة إنسانية في برامجها عبر التركيز على المخاطر التي يواجهها الإنسان العربي العادي، سواء أكانت تغطي الانعكاسات المدمرة للحرب على العرب، أم التأثيرات السلبية للسياسات الاجتماعية والاقتصادية المتبعة من الحكومات العربية. بمرور السنين، تراجعت قناة الجزيرة من حيث النوعية والحيادية، لكن ظهر في المقابل منافسون قدموا خطابًا جديدًا مساويًا في انتقاد السلطة، رافعين المستوى بتقديمهم شروحات أكثر وتحليلات بديلة، منهم، على سبيل المثال لا الحصر، العربية والعالم والمنار وإخبارية المستقبل. وبدأت قنوات الأخبار العالمية تقديم نشرات إخبارية عربية، مثل محطات BBC وFrance24 وCNBC وDW وSkyTV وEuronews.

كانت البرامج الحوارية السياسية والانتقادية السياسية من أهم المساهمات في البرامج الإخبارية في المنطقة العربية. واحد من أكثرها شهرة بفعل تأثيره إبان الربيع العربي هو «البرنامج» الذي يقدمه باسم يوسف، والذي يشبه البرنامج الخاص بجون ستيوارت «The Daily Show». وفي أثر ثورة 2011 المصرية، عمد يوسف الذي كان يبلغ من العمر 37 عامًا، إلى نقل برنامجه الذي نال شعبية قبل ذلك على اليوتيوب، إلى التلفزيون، جاعلًا منه البرنامج

الأشهر في المنطقة العربية. سخر يوسف من القادة السياسيين، وكشف فشل الحكومة، وضحك من الحوادث الإقليمية ومن وسائل الإعلام غير المهنية، وانتقد علنًا المسؤولين المصريين. واكتسب هذا البرنامج الأسبوعي سريعًا أكثر من ثلاثين مليون مشاهد في مصر وحدها، وكان الشباب المصريون والعرب الأكثر انجذابًا لفكاهة يوسف وسخريته. واجه البرنامج المثير للجدل عددًا من العوائق أمام تأمين قناة تلفزيونية مصرية ترغب في أن تستضيفه، خصوصًا بعد عودة الجيش إلى الحكم في عام 2013. وأوقف يوسف برنامجه بعدما رفض الخضوع للضغط السياسي. وفي حين لم يعد «البرنامج» يبث على الهواء، فإنه من الصعب تخيّل اختفاء كامل لهذا النوع من البرامج، الآن، بعدما فُتح الباب. وسأتناول في الفصل الأخير مقولة أن الربيع العربي ظاهرة موقتة، لأحاج أنه على العكس من ذلك ليس إلا بداية.

على الرغم من نجاح الكثير من الحكومات العربية في مراقبة الصحف المطبوعة، غير أن رقابة الدولة تزداد صعوبة في عصر الإنترنت، خصوصًا مع ظهور الكثير من الإصدارات التي باشرت فعلًا باختبار التجربة. وأذكُر أحد المنشورات اللامعة في تسعينيات القرن الماضي وهي **كايرو تايمز** (*Cairo Times*) التي توقفت عن الصدور مطبوعة اليوم. كان الجميع يعلم بأنه توجد رقابة في مصر، لكن عندما قرّر ناشرو **كايرو تايمز** وضعها على الإنترنت، تمكّن القراء من تكوين فكرة عما كانت الرقابة المصرية تعتبره في الواقع مواد حساسة وطنيًا؛ إذ قام الفريق الخلاق وراء **كايرو تايمز** بوضع محتوى المطبوعة على الإنترنت، وأبرز النصوص التي لم تسمح الرقابة بنشرها طباعة. كانت قطع الأخبار التي تحدثت عن فساد الحكومة، أو التي انتقدت الرئيس حسني مبارك أو معاهدة السلام مع إسرائيل، موجودة دائمًا تقريبًا بين النصوص المبرزة. وتذكّرُنا هذه الحالة بأن بإمكان مصادر الإنترنت، حتى في وسائل الإعلام المحلية المطبوعة، تسليط الضوء على الزوايا المظلمة التي تفرضها الرقابة الحكومية، وممارسة الضغط على الحكومات لتحرير مساحة في الإعلام المطبوع وإلا ستواجه خطر الفضيحة أو الإحراج في أقل تقدير، نظرًا إلى الطبيعة المتباينة للحقائق المتوافرة.

تُعتبر حرية الصحافة غالبًا حجر زاوية للديمقراطية الليبرالية. يرى الأكاديميون والمواطنون على حد سواء، أن أحد مؤشرات الليبرالية السياسية هو قدرة المواطنين على تحدي حكوماتهم ومساءلتها. وعلى الكثير من الحكومات العربية تطبيق الليبرالية على هذا الفضاء الإعلامي للوصول إلى حرية التعبير المطلقة، غير أن سيطرة الحكومات على ما يُكتب أصبحت أكثر صعوبة. بدورها، أقدمت الصحف المطبوعة في العالم العربي، التي تواجه منافسة من عالم الإنترنت مع ظهور المواقع الإلكترونية التي تنشر المقالات النقدية، على تحسين موادها النقدية بشكل متواضع، المر الذي أدى إلى ظهور الكثير من الصحف العربية المستقلة في بلدان عدة من المنطقة. فأُسست في مصر مثلًا صحيفتا المصري اليوم والدستور في عامي 2004 و2007 على التوالي. وساهمت الصحف اليومية المطبوعة باللغة الإنكليزية، مثل *Daily Star* اللبنانية و*The National* الإماراتية، بتحسين البيئة العامة للصحافة في الشرق الأوسط.

انتقل استهلاك الشباب العرب لوسائل الإعلام من الوسائط التقليدية مثل المطبوعات والتلفزيون، إلى المصادر على الإنترنت، مع تحسّن النظام البيئي الإعلامي في المنطقة العربية. ويظهر من وسائلهم المختلطة في الاستهلاك الإعلامي والإخباري أنهم يطورون مهارات نقدية قيّمة. فالقدرة على الدخول والاطلاع على الوسائط الإعلامية المختلفة هي جزء مهم من عملية تكوين الفكر النقدي، لأنها تتطلّب مساءلة الأخبار الخاطئة والتدقيق فيها والتحقق منها. يقضي حوالى 67 في المئة من الشباب العرب كل يوم أقل من نصف ساعة في قراءة الصحف المطبوعة، ويقضي حوالى 60 في المئة منهم أقل من ثلاث ساعات في مشاهدة التلفزيون، لكن يقضي جزء كبير منهم – حوالى 70 في المئة، أكثر من ثلاث ساعات على الإنترنت[7]. إن عملية اللجوء إلى مواقع الإنترنت للاطلاع على المواد النقدية، أو للتعبير عن الإحباطات السياسية، ظاهرة متزايدة في المنطقة العربية، لن تتراجع أبدًا. ويُعدّ التغير في نمط

(7) Karim Sabbagh [et al.], *Understanding the Arab Digital Generation* (Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012), p. 11.

الاستهلاك ذا قيمة ليس بسبب سهولة الاطلاع على المعلومات على الإنترنت وجدواها فحسب، بل أيضًا لأن طبيعة هذا التواصل والانخراط مع هذه المعلومات والأخبار تسمح للشباب بتعزيز محادثاتهم السياسية الخاصة. يسمح إعلام الإنترنت للشباب بمناقشة الإمكانات السياسية المتوافرة لهم وتفحّصها، على عكس الإعلام التقليدي الذي يعتمد على استهلاك الشباب وحسب.

يتملك الشبابَ العرب توقٌ عارمٌ إلى حرية التعبير. ففي دراسة استطلاعية شملت ثلاثة آلاف شاب عربي في تسع دول، تبيّن أن 63 في المئة منهم أرادوا المزيد من الحرية «لقول وفعل ما يريدون ما داموا لا يسببون ضررًا للآخرين»؛ هذه المشاعر تبلغ أقصاها في شمال أفريقيا، ثم يأتي المشرق، وأخيرًا الخليج العربي[8]. وبصورة أكثر تحديدًا، ينتج الشباب العرب بنشاط الآن المعلومات على الإنترنت وخارجه، وتترك هذه العملية تأثيرًا ثقافيًا اجتماعيًا واجتماعيًا – سياسيًا عميقًا[9]. مجددًا، إذا تناولنا حالة المملكة العربية السعودية، وهي من البلدان التي تمتلك أضيق القوانين في العالم عن حرية التعبير، التي لجأ فيها كثيرون إلى اليوتيوب للتعبير عن آرائهم السياسية، ينبغي ملاحظة أن السعوديين ينتجون أيضًا أفلام الفيديو أو يضيفون مواد على موقع اليوتيوب. ونال بعض من هذه الأفلام أكثر من مليوني مشاهدة، وما زال ينتشر في بلد الثمانية والعشرين مليون مواطن. والموضوع المشترك لهذه الأفلام، إضافة إلى موضوعات التسلية والتعليم، هو التعبير الذاتي والحاجة المتزايدة إلى المساءلة السياسية والاقتصادية.

هل باستطاعة الشباب العرب استخدام الإنترنت للتعويض عن القيود التي يواجهونها خارجه؟ وكيف يتصل الشباب العرب بالإنترنت؟ يحصل الشباب العرب على المعلومات من القنوات الفضائية والإنترنت ومن هواتفهم الجوالة. وفي الواقع، تُعد منطقة الشرق الأوسط أحد متصدري مشتريات أجهزة الهاتف

(8) المصدر نفسه، ص 11.

(9) انظر أيضًا: Joe F. Khalil, «Youth-Generated Media,» in: Brian T. Edwards, ed., *On the Ground: New Directions in Middle East Studies* (Doha: Northwestern University in Qatar, 2014).

الجوال، وتأتي في المرتبة الثانية بعد منطقة آسيا المطلة على المحيط الهادئ ذات الكثافة السكانية العالية، وتستمر أسعار الهواتف الجوالة بالانخفاض بسرعة، ما يساعد كثيرين في امتلاكها. ففي عام 2011 امتلك حوالى 87 في المئة من الشباب العرب الهواتف الجوالة. زيادة على ذلك، يحظى أكثر من 80 في المئة من السكان بالتغطية الضرورية للهاتف الجوال، إضافة إلى أن المناطق كلها تقريبًا مغطاة بتكنولوجيات الجيل الثالث (3G) والكثير منها في طريقه إلى تبني الجيل الرابع (4G)[10]. وقدمت الهواتف الجوالة إلى الشباب العرب الفرصة لاختبار الأعراف الاجتماعية والاتفاقات (سنعالج بعضها في الفصل التالي)، واستُعملت وسيلة للحشد السياسي من خلال تبادل الخبرات والمظالم.

كان الكثير من الرسائل النصية على الهاتف الجوال، الذي أُرْسِل إبان الثورة المصرية في كانون الثاني/ يناير 2011، ذات طابع سياسي، بما فيها تلك الرسائل التي حددت ساحات التجمّع للمتظاهرين والإخطارات عن مواقع الشرطة لتحذير المتظاهرين والرسائل السياسية في شأن المطالب الموحدة. استُخدمت الرسائل النصية إبان الربيع العربي ممن وصفهم هاورد رينغولد أنهم مجتمعات متحركة وفطنة (smart mobs) حيث «بإمكان الناس العمل بصورة منسقة حتى ولو لم يعرف واحدهم الآخر... ويتعاونون بطرائق لم تكن ممكنة في السابق قط»[11]. ساهمت الهواتف الجوالة في تعزيز الحريات التي لم يكن باستطاعة الأجيال السابقة حتى تصوّرها، وسيؤدي الارتفاع المتوقّع في القدرة على امتلاك الهواتف الذكية إلى انتشار أكبر لهذه الحريات. يزداد استخدام الهواتف الذكية في منطقة الشرق الأوسط، وتتضاعف تقريبًا مبيعاته في المنطقة سنويًا. وسيصل اختراق الهواتف الذكيّة إلى 39 في المئة خلال عام 2015 في منطقة الشرق الأوسط، إلاّ أنّ تكنولوجيا الهواتف الجوالة هي حاليًا

(10) Deloitte, *Arab States Mobile Observatory, 2013* (London: Groupe Speciale Mobile Association (GSMA), 2013), p. 20.

(11) Howard Rheingold, *Smart Mobs: The Next Social Revolution: Transforming Cultures and Communities in the Age of Instant Access* (Reading, MA: Basic Books, 2007).

مستخدمة من معظم القطريين والإماراتيين والسعوديين والأردنيين، في حين أن نسبة اختراق الهواتف الذكية في مصر، البلد العربي الأكبر، لا تتجاوز 25 في المئة. الهواتف الذكية مفضّلة أيضًا عند الشباب العرب؛ إذ لا يزيد عمر 72 في المئة من كل المستخدمين لهذه الهواتف على أربعة وثلاثين عامًا[12]. ويقدّر المحللون في قطاع الأعمال أن 20 في المئة من مجموع العرب سيمتلكون بحلول عام 2016 الهواتف الذكيّة[13]. ويبدو محللون آخرون أكثر تفاؤلًا، ليتوقعوا امتلاك نحو 50 في المئة من العرب الهواتف الذكية بكلفة قد تقل عن خمسين دولارًا أميركيًا، بحلول عام 2020[14].

يتزايد استخدام الشباب العرب الإنترنت بشكل ملحوظ، على الرغم من حداثة اختراق الهواتف الذكية للمنطقة العربية. وأظهرت الأجوبة في دراسة استطلاعية شملت ثلاثة آلاف شاب عربي في تسع دول، المستويات المرتفعة لعملية اتصالهم بالإنترنت. فقال 83 في المئة منهم إنهم يدخلون الإنترنت بشكل يومي، وأكّد 76 في المئة أنهم يدخلون الإنترنت من بيوتهم[15]. والأكثر أهمية أن نسبة استخدام الشباب الإنترنت في المنطقة العربية تتزايد بوتيرة أسرع من باقي مناطق العالم؛ فارتفعت نسبة مستخدمي الإنترنت العرب بنسبة 23 في المئة كل عام، بين عامي 2006 و2011، بينما ارتفعت في باقي العالم 14 في المئة[16]. وترتفع سرعة الإنترنت بشكل متسارع في المنطقة العربية، بعشرين في المئة بين عامي 2011 و2012 فحسب، وهي من مسارات النمو المتسارعة[17].

---

(12) «Smartphone Usage in the Middle East: Statistics and Trends,» (Go-Gulf, 2 October 2013), Available at: <http://www.go-gulf.ae/blog/smartphone-middle-east/>.

(13) Deloitte, p. 13.

(14) Christopher M. Schroeder, *Startup Rising: The Entrepreneurial Revolution Remaking the Middle East*, Foreword by Marc Andreessen (New York: Palgrave Macmillan, 2013), pp. 10-11.

(15) Sabbagh [et al.], p. 2.

هذه الدول التسع هي المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر والبحرين والكويت وقطر والأردن والجزائر ولبنان.

(16) المصدر نفسه، ص 4.

(17) «Internet Usage in the Middle East: Statistics and Trends,» (Go-Gulf, 2 August 2013), Available at: <http://www.go-gulf.ae/blog/internet-usage-middle-east/>.

ويعود القسم الأكبر من اختراق الإنترنت المنطقة إلى الاستثمارات المتنامية في البنية التحتية للاتصالات والمنافسة المتزايدة لمقدمي الخدمات في القطاع الخاص، والطلب المتزايد للشباب العرب لدخول الإنترنت. وبلغت عملية استخدام الإنترنت في عام 2013 في المنطقة كلها حوالى تسعين مليونًا (أي ما نسبته 40.2 في المئة من السكان)[18]، لكن من المتوقع أن تصل في عام 2015 إلى 413 مليونًا[19]. وتشير التقديرات إلى أن نحو 13 مليون عربي في عام 2014 انخرطوا بنشاطات على الإنترنت[20].

يُعد الشباب العرب متمرسين في التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، ويستعمل مواقع مثل الفيسبوك، وبحجم أقل التويتر واللينكدإن. ويُمضي الشباب العرب ما معدله ساعة إلى ثلاث ساعات في التواصل الاجتماعي على الإنترنت عبر هذه المواقع[21]. ضمت المنطقة العربية 62 مليون مستخدم للفيسبوك في عام 2013، وسبعة ملايين مستخدم للتويتر، واستعان 42 مليون مستخدم للفيسبوك بالهواتف الجوالة لدخول هذا الموقع. ويأتي الفيسبوك بالمرتبة الثانية بعد التلفزيون كمصدر لمعلومات المشاهدين العرب[22]، ويبقى بوابة فاعلة وغير مراقبة للاستهلاك الإخباري أيضًا. ويتم تشارك الأخبار والمقالات عبر الإنترنت، في عملية تشكيل خطاب ينطلق من الأسفل إلى الأعلى، لا يحتكره حرس الحكومة الشخصي. وأصبحت الأفلام القصيرة على الإنترنت، مثل تلك الموجودة على موقع يوتيوب، أكثر شعبية بين الشباب العرب. وتُعتبر المنطقة العربية من بين أكثر المستهلكين لأفلام اليوتيوب في العالم. فيستخدم، مثلًا، 34 في المئة من الشباب هذا الموقع يوميًا في الإمارات العربية، و30 في المئة في مصر. وتتميّز المملكة العربية السعودية بأعلى نسبة تنزيل أفلام على اليوتيوب في العالم: يشاهد 42 في المئة من الشباب السعودي أفلام يوتيوب

(18) المصدر نفسه.

(19) المصدر نفسه.

(20) Sabbagh [et al.], p. 7.

(21) المصدر نفسه، ص 9.

(22) Heather Jimaa, «Facebook More Popular than YouTube-Report,» *Gulf Business*, 5/5/2014, Available at: <http://gulfbusiness.com/2014/05/facebook-popular-youtube/#.U3o_bPRzamS>.

يوميًا، أي ثلاث مرات أكثر مقارنة بكل فرد في الولايات المتحدة الأميركية. ويشاهد في المقابل 15 في المئة فقط من الشباب البريطاني والفرنسي أفلام اليوتيوب، و12 في المئة من الشباب الألماني[23]. وكي أعطيكم فكرة عن شهرة هذا الموقع وأهميته في العالم العربي، يشاهَد مئة مليون فيلم فيديو على يوتيوب يوميًا في العالم العربي. أكثر من ذلك، يُحمّل ما يساوي ساعة من مواد الفيديو على اليوتيوب من العرب، مع كل دقيقة تمر. فتستهلك هذه المنطقة التي يبلغ عدد سكانها 350 مليون نسمة، الفيديوات وتنتجها على موقع حر بعيد من تحكم السلطة وغير خاضع للرقابة الرسمية[24].

ثالثًا: محتوى أنتجه الشباب

فتح العالم العربي الباب على مصراعيه أمام الوصول المجاني إلى المعلومات، بعد عقود من سيادة الخطاب الذي تديره الدولة من خلال مراقبة الإعلام والتعبير السياسي. وأصبح العرب، والشباب منهم على وجه الخصوص، في هذا الفضاء الجديد، متمكّنين ومكتشفين قدرتهم على زعزعة «مبرر وجود» الحكومات العربية وهو أنها، وفق ادعائها الذاتي، حارسة الاستقرار. أكثر من ذلك، لم يعد الشباب العرب مأخوذين بالصيغة القائلة إن استغلال الحكومات السلطة السياسية والاقتصادية هي التكلفة التي تستحق الدفع في مقابل المحافظة على الوضع القائم. ويبقى فساد الحكومات العربية المنتشر سببًا لقلق عميق عند العرب، خصوصًا الشباب، حيث يشكك كثيرون منهم الآن في قدرة حكوماتهم على تلبية توقعاتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

سمحت عملية استخدام الإنترنت للشباب العرب، في عصر التدفق المتزايد للمعلومات، بأن ينخرطوا بمناقشات جديدة في شأن فشل حكوماتهم. يلتقط مارك لينش في كُتُبه وأعماله المنشورة، خصوصًا **أصوات الجمهور العربي الجديد** (*Voices of the New Arab Public*) **والانتفاضة العربية** (*the Arab Uprising*)، جوهر هذا التدفق الجديد للمعلومات وعلاقته بالشعب العربي، في

(23) Sabbagh [et al.], p. 10.

(24) «Internet Usage in the Middle East».

مفهومه عن «المجال العام العربي الجديد». مقتبسًا مفهوم الفيلسوف السياسي يورغن هابرماس للمجال العام - أي الساحة التي يلتقي فيها المواطنون ليناقشوا ويتحاوروا بحرية في شؤونهم الاجتماعية السياسية بهدف تحقيق توافق - يعاين لينش الطريقة التي نحت بواسطتها العرب هذه المساحة من المجال الافتراضي. ويرى لينش أن الشباب أصبحوا، من خلال تعبيرهم عن إحباطهم من الحكومات العربية، داخل هذا المجال العام العربي الجديد، متمكّنين بواسطة أدوات تكنولوجية جديدة من التعبير كمجموعات وأفراد، ومعترضين على تحكم الدولة عبر هذا المجال الجديد، مرتاحين نسبيًا من استخبارات بلدانهم وأجهزتها الأمنية. وكما يؤكد لينش، كانت الانتفاضات العربية بداية تحوّل إقليمي، سوف يستمر بالتطوّر ويسبق الإصلاحات الحكومية.

فضلًا عن ذلك، يشير لينش إلى أن «المجال العام الجديد يلاحق بشكل حثيث المعلومات عن تجاوزات [حكومية] كهذه وينشرها عبر جميع القنوات لإبقاء الأنظمة خاضعة للمساءلة»[25].

يرى الشباب العرب أن تأثير تحاورهم وتظاهراتهم وإسماعهم مطالبهم من المؤسسات الحكومية ومن السياسات عبر فضاءات الإنترنت، فاض إيجابًا أيضًا على الفضاءات العامة خارج الإنترنت، وعلى الخطاب العام. مجددًا، ليس الشباب العرب مستهلكين سلبيين للمعلومات فحسب، بل هم فاعلون قيّمون في ترويج المعلومات وتقديمها، بالترابط مع قيمة اجتماعية وسياسية ملازمة تكمن في إبعاد الخطاب العام عن الحراس الذين سبق وهيمنوا على جيل الإعلام وعلى التحكم به في المنطقة العربية. أمّن تواصل الشباب العرب الواسع مع منتديات شبكية لهم وسيلة مقبولة التكلفة وسهلة المنال لإنتاج ونشر المعلومات التي تنسج بقوة علاقتهم بمجتمعهم. إنهم يطالبون بعقد اجتماعي جديد بين المواطنين والحكومات، من خلال تحدّيهم سلطات الدولة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

(25) Marc Lynch, *The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East* (New York: PublicAffairs, 2013), p. 20.

ظهر المدوّنون على الإنترنت في المنطقة العربية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، ونمت ظاهرة المدوَّنات في العقد الأوّل من القرن الحالي بوصفها مصدرًا للتعليقات والتحليلات السياسية والاجتماعية. منذ عقود، تستخدم المنطقة العربية حقل المدونات وتساهم فيه من خلال التعليقات المتحدّية والثاقبة عن الحياة السياسية في المنطقة. وجاء كثير من المدونين الأوائل في المنطقة العربية من النخب الليبرالية القليلة، كثير منهم شباب ذوو ميول يسارية وعلمانيون، يستخدم الإنكليزية في الكتابة عن المنطقة[26]. وأدى عدد من هذه المدونات المكتوبة باللغة الإنكليزية في العالم العربي، مثل Sandmonkey وArabist من مصر، وBlack Iris من الأردن، وBaghdad Burning من العراق، وTunisian Girl من تونس، دورًا رئيسًا في التصورات المحلية والدولية لسياسات بلدانهم والمجتمع. وقدم هؤلاء المدوّنون تقارير مفصّلة وقيّمة عن «الوضع على الأرض»، ما حوّل بعضهم إلى ناشطين معروفين في بلدانهم، وفي الإعلام العالمي. وكان تأثيرهم في المناقشات العامة كبيرًا، على الرغم من أن كثيرًا منهم لم يعكس دائمًا الرأي العام العربي الأوسع[27].

أظهرت دراسة لجامعة هارفرد في عام 2009 وجود حوالى خمس وثلاثين ألف مدونة على الإنترنت، دُرست ستة آلاف منها لتقويم أثرها في الخطاب العام. كانت الموضوعات الأكثر تغطية تحوي آراء شخصية عن الحياة والسياسات الوطنية والأخبار، مع انتقاد واضح للقادة السياسيين. وتضمنت موضوعات أخرى وردت في هذه المدونات المسائل الدينية ومسائل حقوق الإنسان وموضوعات ثقافية. ولا غرابة في أن يكون معظم المدونين العرب من الشباب؛ إذ كان 75 في المئة منهم تحت الخامسة والثلاثين من العمر. واستعمل المدونون العرب أيضًا أسماءهم الخاصة ولم يحاولوا إخفاءها عن القوى الأمنية في بلادهم. وجاء معظمهم من أكثر البلدان العربية كثافة سكانية، أي مصر، بينما جاءت المجموعات الأخرى الأوسع من المدونين من

---

(26) Marc Lynch, «Blogging the New Arab Public,» *Arab Media and Society*, no. 1 (Spring 2007), Available at: <http://www.arabmediasociety.com/topics/index.php?t_article=32>.

(27) انظر: المصدر نفسه.

المملكة العربية السعودية والكويت. وكان معظمهم من الرجال، 60 في المئة على صعيد المنطقة، في حين كان نصف المدونين في مصر من النساء. وكانت نسبة المدوِّنات في السعودية، 42 في المئة، أعلى من نسبة المدوِّنات النساء في باقي المنطقة[28].

سلّط الكثير من المدونات في المنطقة الضوء على الإحباط الشامل الذي كان يختمر تحت السطح، في الفترات التي سبقت الانتفاضات العربية. كانت هذه المدونات، المنتقدة غالبًا سياسة الحكومات الاقتصادية، من بين أكثر الآراء الثاقبة المتصلة بنظرة العرب إلى حكوماتهم. ومن غير المفاجئ أن كثيرًا من هؤلاء المدونين كان ولا يزال من الشباب الحاصل على شهادات جامعية. وبالفعل، أظهرت إحدى الدراسات أن أكثر من 90 في المئة من المدونين العرب حائز شهادات ثانويّة، وأكثر من ثلثهم حائز شهادات جامعية[29].

تشكّل المدونات جزءًا من عالم أوسع من التكنولوجيا، يقوم بتحويل المشهد الإعلامي العربي وكذلك الخطاب السياسي لتصبح مسائل رئيسة. ومن المألوف أن نرى مدونات تحوي أو تستجيب لأفلام فيديو على الهاتف المحمول وحملات على الفيسبوك وفيديوات اليوتيوب وتغريدات التويتر، التي تولّد بدورها وتعزز النقاش العام الذي يجري بالتوازي مع ما تقدمه وسائل الإعلام التقليدية[30]. وتتحرك هذه الدائرة الشبكية بوتيرة سريعة، حيث لا يستطيع المسؤولون العرب والمولجون بالرقابة اللحاق بها، وهي تحوي مواد قليلًا ما يتعامل معها الإعلام التقليدي[31]. ولتكوين فكرة عن شعبية هذه المدونات وتأثيرها، تبيّن في استطلاع عربي واسع أجرته كلية دبي للإدارة

---

(28) Bruce Etling [et al.], *Mapping the Arabic Blogosphere: Politics, Culture, and Dissent*, Internet and Democracy Case Study Series, Berkman Center Research Publication; no. 2009-06 (Cambridge, MA: Internet and Democracy Project, Berkman Center for Internet and Society, 2009).

(29) Robert Faris [et al.], «Online Security in the Middle East and North Africa: A Survey of Perceptions, Knowledge, and Practice,» (Berkman Center for Internet and Society Report, August 2011), Available at: <http://cyber.law.harvard.edu/sites/cyber.law.harvard.edu/files/OnlineSecurityintheMiddleEastandNorthAfrica_August2011.pdf>.

(30) Etling [et al.], *Mapping the Arabic Blogosphere.*

(31) المصدر نفسه.

الحكومية في عام 2013، أن نسبة 25 في المئة من العرب تزور يوميًا مدونات ومجلات تربوية، و24 في المئة منهم لمرات عدة أسبوعيًا، و17 في المئة لمرات عدة يوميًا[32].

بالعودة إلى الثورة المصرية في كانون الثاني/ يناير 2011، على سبيل المثال، أُطلق الكثير من الحملات على الإنترنت حضت الناس على النزول إلى ميدان التحرير والدعوة إلى إسقاط نظام حسني مبارك. وأخص بالذكر الحملة التي أُطلقت على الفيسبوك بعنوان «كلنا خالد سعيد»، تكريمًا لذكرى شاب شهد على صفقة غير قانونية للشرطة في الإسكندرية، فاعتُقل حينئذٍ في مقهى للإنترنت وضُرب بوحشية، وقُتل على الأرجح على يد قوات الشرطة في منتصف عام 2010. وقامت عائلة سعيد بالتقاط صورة لجثته المهشّمة بواسطة هاتف جوال، وانتشرت الصورة بكثرة عبر الرسائل النصية ومن خلال الفيسبوك.

أنشأ وائل غنيم الصفحة المكرّسة لذكرى سعيد على الفيسبوك. وغنيم هو مدير شاب يعمل لدى غوغل، ويقيم في الإمارات العربية المتحدة. وتحوّلت هذه الصفحة في وقت قصير إلى حملة داعمة لحقوق الإنسان، وداعية إلى محاسبة الحكومة، وحصلت على مئات الآلاف من المتابعين قبل اندلاع الثورة، أما صورة خالد سعيد وذكراه فستترددان طويلًا بعد الثورة التونسية، حيث كانت قصته تتماهى مع مصير محمد البوعزيزي. وفي حين يصف كثيرون الحملة على الإنترنت لتخليد ذكرى خالد سعيد بأنها عامل رئيس في الثورة المصرية، كانت بعض الكلمات المؤثرة لإحدى النساء هي التي أججت فعليًا مشاعر الأمة. وكان اسم السيدة أسماء محفوظ.

ضربت أسماء على وتر حساس عند ملايين المصريين عندما قامت بتحميل فيديو على اليوتيوب، قبل توجه المصريين من الاتجاهات كلها نحو ميدان التحرير بأيام، تطالب فيه باستقالة الرئيس حسني مبارك. وكانت محفوظ التي

(32) Dubai School of Government, «The Arab World Online: Trends in Internet Usage in the Arab Region,» (The Arab Social Media Report Series, Governance and Innovation Program, Dubai, UAE, 2012), p. 8, Available at: <http://www.arabsocialmediareport.com/News/description.aspx?NewsID=11>.

تبلغ السادسة والعشرين من العمر، عضوًا في حركة 6 أبريل، وهي حركة شبابية ناشطة كانت تطلق الحملات السياسية على الإنترنت، للدفاع عن حقوق العمال في منطقة المحلة الكبرى الصناعية، منذ عام 2008. وقامت هذه الحركة بدور محوري في الثورة المصرية، مع دعوتها إلى تظاهرات احتجاج وتنظيمها لها، وتنسيقها الحملات على الفيسبوك التي ساعدت في حض الناس على التظاهر ضد النظام. وخاطبت محفوظ، بصفتها امرأة شابة تناشد الرجال والنساء للتعبير عن كرامتهم وعزتهم وفكرهم، صميم ما كان كثير من العرب يشعرون به منذ عقود. ليست محفوظ المنظِّمة السياسية الأنموذجية التي تعرفون. دمجت محفوظ بين النشاط السياسي والوطنية، والأهم أنها دمجته بمفاهيم الشرف؛ وذكّرت الملايين كيف قضى النظام تدريجًا على معنى وجودهم، وردهم إلى الحضيض في بحر من العجز. لقي نداؤها إلى الناس الحقيقيين صداه بين المصريين، مذكرًا إياهم بأن القوة في العدد، وفي الارتباط بالكرامة وعزة النفس. وذكّرت الجميع بأنهم، كأفراد، قد يصبحون الضحايا اللاحقين لجهاز أمن الدولة: لا أحد بمنأى عن انتهاكات السلطة الأمنية. وأصبحت هذه الفكرة نقطة محورية في التعبئة والتظاهرات الحاشدة.

لم يكن فيلم الفيديو الذي وضعته محفوظ على مدونتها يشبه غيره؛ ذلك أنها خاطبت المصريين والنظام معًا. ولولا القدرة على تحميل هذه المقاطع السياسية ومشاركتها على الإنترنت، ما كانت لتوجد أي وسيلة لولوج آراء كآراء محفوظ المجال العام. وأصبحت محفوظ بسرعة أحد أهم الأصوات داخل هذا المشهد العام المتغيّر. في خلال حملة سياسية سعودية في عام 2014، قام ناشطون وطنيون سعوديون – وهم يرفعون هوياتهم علامةً على عدم خوفهم من ردة فعل السلطات الانتقامية – بتحميل فيديوات على يوتيوب تظهرهم وهم ينتقدون فساد الدولة والمحسوبيات والأجور المنخفضة ومعدل البطالة المرتفع. وانتشرت هذه الفيديوات كالنار في الهشيم للفت الانتباه من أنحاء العالم المختلفة. فمثلًا خاطب عبد العزيز الدوسري في الفيديو الخاص به الملك مباشرةً بلغة إنكليزية ركيكة لكن واضحة، قائلًا: «إلى متى يجب أن نتوسل إليك لتعطينا من عائدات النفط هذه... أعطنا يا أخي بعضًا من هذه

العائدات النفطية التي تتمتع بها أنت وأولادك». وشاهد هذا الفيديو الخاص بالدوسري منذ تحميله أكثر من 1.8 مليون مشاهد. ونُشِرت فيديوات مشابهة، انتقد فيها سعوديون وسعوديات علنًا سياسات الحكومة[33].

تحولت حملة على تويتر كانت قد بدأت في المملكة العربية السعودية في مطلع عام 2013 مع هاشتاغ «المعاش لا يكفي»، إلى أجرأ انتقاد لحكام المملكة، وأفضت إلى أكثر من سبعة عشر مليون تغريدة في بضعة شهور فقط. علمًا بأن المملكة العربية السعودية تمتلك، في الحقيقة، أعلى نسبة من مستخدمي التويتر في المنطقة العربية، مع 1.9 مليون حساب. واستمرت التغريدات والتعليقات على هذه الحملة، على الرغم من اعتقال وليد أبو الخير الذي بدأ الحملة على تويتر، ما جعل من المستحيل اعتقال جميع أنصار هذه الحملة أو «مغرديها». وتظهر وراء معظم هذه الحملات على الإنترنت دعوات إلى الحرية، وإلى طريقة حكم مختلفة جذريًا.

استخدمت ناشطة سعودية أخرى على تويتر، هي لُجَين الهذلول، وسائل التواصل الاجتماعي لمواجهة ما اعتبرته تمييزًا ضد النساء. وطالبت الحكومة السعودية عبر تويتر وإنستاغرام وفيديوات كيك وفيسبوك، بالاعتراف بالنساء بوصفهن أفرادًا لهن حقوق، لا مُعالات من الذكور/ أو الأوصياء الذكور. في مقابلتي مع هذه الشابة الذكيّة والمتحمسة، أخبرتني عن الأسباب التي تحرّكها: «تعودنا كنساء سعوديات أن نختبئ وراء صور وأسماء مستعارة، مثل «المرأة الشجاعة»، للتعبير عن آرائنا على وسائل التواصل الاجتماعي، ثم أدركت أن هذا الأمر يزيد في استمرار سياسات الحكومة ضد النساء. لا تمتلك النساء في المملكة العربية السعودية هوية أو صوتًا أو حتى وجهًا، ونحن ننكر وجودنا كأشخاص عبر اختبائنا وراء صور وأسماء مستعارة. لذا قررت دعوة أخواتي السعوديات: «أنتن، استخدمن أسماءكنّ في الأقل». أردت تشجيع الناس، خصوصًا النساء، على عدم الاختباء. فالتقطت لنفسي صورًا وفيديوات من

(33) Rory Jones and Ahmed Al Omran, «Saudi Arabia Plans to Regulate Local YouTube: Content Code to Include Guidelines on Nudity, Sex, and Alcohol,» *Wall Street Journal*, 24/4/2014, Available at: <http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052702304518704579521463293165726>.

دون حجاب، واستخدمت اسمي الحقيقي واسم عائلتي، وناقشت موضوعات مثل عبثية الحاجة إلى حارس ذكر للحصول على إذن بالسفر، وقبول المنح الدراسية، أو حتى للحصول على وظيفة».

لم تتحدَّ لجين الحكومة السعودية فحسب، لكنها أثارت نقاشًا عامًا في شأن حرية النساء في المملكة. وبدأت لجين حملة، مع ملايين التغريدات المعاد توجيهها والاقتباسات، لتشجيع النساء على استخدام أسمائهن الحقيقية عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وأثّرت لجين في كثير من النساء لناحية اعتبارهن أشخاصًا، وذلك من خلال مواجهة سياسات حكومة بلدها، والعادات الاجتماعية التي تعزز الشخصية المخفية للنساء.

رابعًا: التحرر ممَّ؟ ولماذا؟

ماذا قصد الشباب العرب عندما نزلوا إلى الشوارع واستخدموا منابر الإنترنت مطالبين بالحرية؟

كان من الطبيعي سماع الشباب العرب، قبل الربيع العربي، وهم يقولون لزعمائهم: إننا أحرار. لكن الحقيقة أن كثيرًا من هؤلاء الشباب تاق إلى الهرب من قيوده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي عوّقت وصوله إلى حياة أفضل. واعتبرت المنظمة الرقابية المستقلة، بيت الحرية، أن معظم البلدان العربية «غير حرّة». وصُنّفت بلدان كالمغرب وليبيا ولبنان والكويت، بالحرة جزئيًا، فيما سجّل باقي المنطقة العربية مؤشرات ضعيفة متصلة بتعزيز الحريات المدنية والشفافية وحرية الإعلام ومنظمات المجتمع المدني.

يبقى غياب المساءلة الحكومية الهم السياسي والاقتصادي المستمر والمشترك عند كثير من العرب، من الشباب أو من الأكبر سنًا. وتبيّن من دراسة استطلاعية أجريت في عام 2011 على 1445 شخصًا بالغًا من الطبقة المتوسطة في مصر والمملكة العربية السعودية والمغرب، أن 73 في المئة منهم يعتقدون أن حكوماتهم فاسدة، واعتبرت نسبة مساوية تقريبًا أن هذه الحكومات

غير شفافة، وتنشر معلومات غير دقيقة[34]. وكانت أغلبية الأجوبة سلبية ردًا على أسئلة تستعلم عن ثقة الناس بمؤسسات الحكومة وإجراءاتها[35]. وعبّر 60 في المئة عن آراء سلبية حيال السياسات الرسمية، عندما سئلوا عن ثقتهم بالمسؤولين الرسميين في «دعم أولئك الذين يريدون النجاح في الحياة». وكان الجواب مشابهًا ردًا على سؤال يتعلق بإمكان توافر الفرص «لأولئك الذين يبحثون عن النجاح»[36]. إن تدهور الثقة العامة بجدارة الحكومة، والاعتقاد السائد أن الفساد الحكومي عائق رئيس أمام التقدم الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي، يشكلان قناعة عامة عند الشباب العرب بشكل خاص. ويرى كثيرون أن الفساد في الدولة عوّق فرصهم في النجاح، لذلك هم يطمحون إلى نظام سياسي واقتصادي يؤمن المساواة.

إن التعريف المشترك للفساد هو أنه «استغلال لسلطة مؤتمَنة من أجل تحقيق أرباح خاصة»، كما نص المؤشر الدولي للشفافية الذائع الصيت. يمكن أن يكون للفساد على مستوى الدولة تأثير عميق في كيفية تصوّر الناس لشرعية أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة السياسية، إذ يكوّن تصوراتهم عن النجاح الاجتماعي والارتقاء الاقتصادي. ليست الحكومات العربية كلها فاسدة تمامًا، ولا تتشابه في ما بينها بأوجه الفساد. وتُعد بعض الدول العربية، بحسب المؤشر الدولي للشفافية، أسوأ من غيرها لناحية التصورات العامة للفساد. ومن بين أسوأ الفاسدين في العالم هناك السودان واليمن وليبيا ومصر وسورية؛ وليس صدفة أن تشهد هذه البلدان أقوى الدعوات إلى إسقاط النظام. وحقق بعض الدول العربية الأخرى نتائج أفضل، وجاء ترتيبها فوق المعدل العالمي؛ فمثلًا سجلت دول الخليج معدلات من الفساد مماثلة لتلك المسجلة في أوروبا الشرقية والجنوبية.

---

(34) Shediac, Bohsali and Samman, p. 3.

(35) المصدر نفسه، ص 26. إلا أن أغلبية العرب شعرت بالأمان في بلدانها، وبأنها مشاركة في صنع مستقبل هذه البلدان.

(36) المصدر نفسه، ص 34.

سادت أنواع مختلفة من الفساد في بعض الدول العربية وليس في أخرى؛ إذ كان الفساد الكبير، عندما تنخرط النخب والعائلات السياسية ذات الحظوة في صفقات الأراضي أو في الوكالات أو العقود المربحة في صفقات الأعمال، مشتركًا في المنطقة كلها ومتجذرًا في الكثير من البلدان التي سقطت حكوماتها مثل تونس ومصر وليبيا. كان الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي يسيطر وعائلة زوجته ليلى طرابلسي، على عدد من الشركات لم تستطع أي شركة أخرى منافستها، لأنه استخدم حلفاءه في الحكومة لوضع تشريعات تمنع منافستها. فسمح ذلك للعائلة الحاكمة بكسب 21 في المئة من الأرباح الداخلية الصافية، على الرغم من أن هذه الشركات ساهمت في 3 في المئة فقط من الناتج القومي؛ فيما تخطت هوامش أرباح هذه الشركات بكثير قيمتها الفعلية في الاقتصاد القومي[37].

إن جزءًا من الغضب الشعبي في مصر كان موجهًا ضد عائلة مبارك والدائرة الضيّقة المحيطة بها، بسبب استغلالهما تراخيص حصرية لاستيراد وتصدير بضائع وخدمات معيّنة. واشتكى كثير من أرباب الأعمال المصريين والمشروعات الصغيرة والمتوسطة والشركات الناشئة، من اصطدامه بحائط مسدود، حيث كانت النخبة المقرّبة من السلطة تعوّق نجاحه، في حال لم يدفع العمولات إلى الفاعلين في السلطة، بمن فيهم أولاد حسني مبارك.

انتشرت عملية دفع الرشاوى في الدوائر الرسمية لإنجاز المعاملات خلال حقبة ماقبل الثورة في مصر وليبيا وسورية. وكثيرًا ما غُلِّفت عمليات الفساد الصغيرة بغلاف حسن، فاتخذت شكل البقشيش أو الإكرامية. وتعرضت شخصيًا لتجربة كهذه في مطار القاهرة، حين طالب شرطي مصري كان قد ساعدني في نقل حقائبي عبر المنطقة الأمنية «بتحلية» في مقابل عمله الشاق معي. وأخبرني أني إذا لم أدفع «فستستغرق المعاملات وقتًا طويلًا لإنجازها».

---

(37) Bob Rijkers, Caroline Freund and Antonio Nucifora, «All in the Family: State Capture in Tunisia,» (Policy Research Working Papers; 6810, World Bank Group, 2014), Available at: <http://wwwwds.worldbank.org/external/default/WDSContentServer/WDSP/IB/2014/03/25/000158349_20140325092905/Rendered/PDF/WPS6810.pdf>.

وكثيرًا ما كنا نعطي ضباط الشرطة، خلال سفرنا في سورية، ليمونًا أو سجائر، بعد إيقافهم سيارتنا «لتفتيش روتيني». هذا النوع من الهدايا كان شائعًا في بلدان معينة من منطقة الشرق الأوسط، ويواجه أولئك الذين يمتنعون عن تقديمها تأجيلًا طويلًا قبل الوصول إلى مبتغاهم. تجدر الملاحظة طبعًا إلى أن فسادًا صغيرًا كهذا لا ينتشر في كل مكان؛ ففي الخليج العربي مثلًا، حيث معظم العاملين في القطاع العام من المواطنين ويتقاضى أجورًا جيدة نسبيًا، هذه الأنواع من «البقشيش» غير مرحب بها. في الأردن، حاول أحد معارفي الذي يجهل العادات الأردنية دفع عشرين دينارًا إلى شرطي لمساعدتنا في تخطي مخالفة سير بسيطة. فاعتبر الشرطي هذا العمل إهانة كبيرة، في قطاع تسيطر عليه القبائل المحلية التي تفتخر بعملها.

أصبح التعامل مع دقائق الفساد الصغير روتينًا يوميًا لكثير من المواطنين العرب. وبالنسبة إلى الشباب الذين يحصلون أساسًا على مصروف جيب قليل، ويتمتعون، كما سبق، بإحساس متزايد بشخصيتهم ويفخر بمستواهم التعليمي، فإن هذا النوع من التعامل اليومي مع المسؤولين الرسميين يولّد شعورًا بالتطفل والإهانة. ونشر كثير من الشباب المصريين عمليات الانتهاك للسلطة والقوانين على المدونات، وقام بتوثيقها على الإنترنت. إن سخرية وجود موظفين حكوميين في مواقع نفوذ نسبي يفتشون عن فتات قليل، أمر غير مفهوم عند جيل من الشباب الفطن. وقد يُسلِّمْ أفراد الجيل السابق بهذه العمليات والعادات، لكني أشك في أنهم اعتبروها صحيحة خُلُقيًا، ولم ينتشر هذا التسليم بين جيل الشباب. وفي حين يوجد شك في أن الأجيال السابقة من العرب تقبلت هذه العادات على أنها صحيحة، يبقى أن شعور الجيل الأكبر سنًا بالانصياع والقبول ليس موجودًا عند جيل اليوم.

يواجه الشباب العرب التحدي المتمثّل بالمستويات المرتفعة للبطالة أكثر من أي جماعة سكانية أخرى في العالم، وبأعداد أكثر من التي شهدها آباؤهم الذين ضمنوا في الكثير من الأحيان توظيفهم في القطاع العام. وغني عن القول أن سوق العمل تتميّز بتنافسية كبيرة، لكنها أكثر قساوة بالنسبة إلى الذين يأتون

من عائلات فقيرة أو يعيشون في مناطق ريفية أو لا يتمتعون بصلات قوية بدوائر نخبوية. إن عملية البحث عن وظيفة تجربة محبطة لكثير من المتخرجين الشباب. وكما قال لي عماد من الأردن: «تخرجت في المرتبة الأولى في دفعتي، لكن حصل الآخرون على وظائف أفضل، لأن آباءهم يعرفون أحدًا ما لديه «واسطة»، أو لأنهم يملكون المال».

تكرر هذا النوع من التعبير أمامي في خلال مقابلاتي مع الشباب: أي التصور القائم على أن آخرين يتقدمون ليس على أساس الجدارة، بل بسبب المحاباة والمحسوبية والزبائنية. كانت هذه الظاهرة متجذرة في مصر، حيث أشارت سهير ببساطة - وهي متخرجة في كلية إدارة الأعمال وتبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا - إلى أنها لم تحصل على وظيفة أستاذ مساعد في الجامعة، لأنه لم يبق شغور في هذه المراكز بعد أن جرى تعيين جميع أبناء الأساتذة. إن محسوبية الأقارب في مصر أمر يضرب جوهر التقدم والنجاح الاجتماعي؛ ألا وهو الطموح. في لقائي مع مجموعة شباب في المغرب، قال لي مراد، وهو عاطل من العمل يناهز الثلاثين من العمر ولا يحمل شهادة جامعية: «اذهبي إلى البرلمان وسترين المتظاهرين. إنهم من الحاصلين على الشهادات الجامعية، لكن عاطلين من العمل». ويضيف حاتم، وهو تلميذ ثانوي في الثامنة عشرة من عمره، وملتزم دينيًا: «في حين أن الوزير الذي في الداخل لم يحصل حتى على شهادة جامعية».

في حين أن الحصول على عمل في الخليج، حيث يستمر الافتقار إلى اليد العاملة، هو أسهل قليلًا بالنسبة إلى الشباب، فإن الحصول على عمل لائق ومرغوب يرتبط غالبًا بمن يعرف أبوك، وإلى أي قبيلة تنتمي، أو يعتمد على شبكة علاقات الأهل المهنية. وفي بعض البلدان، قد يحد أيضًا الانتماء إلى جماعة مذهبية مهمّشة، أو إلى أقلية دينية، من خياراتك الوظيفية، ويعوّق فرصك في النجاح. وكما قال لي أحد الناشطين البحرينيين المنفيين في واشنطن العاصمة: «شعرت بالإهانة عندما رفضت لأني شيعي في القوى الأمنية أو العسكرية، مع أن السلطات تقوم بتوظيف الباكستانيين والأردنيين «للدفاع» عن وطني «بوجه شعبي»».

لا يسود نظام الجدارة في معظم بلدان المنطقة العربية، حيث تحدد شبكات المحسوبية من يحصل على الوظيفة الصعبة المنال أو اللائقة.

خلف الكثير من شعارات الشباب العرب المطالبة بالحرية تكمن الرغبة في التحرر من أوجه فساد حكوماتهم، من أجل التنافس على قاعدة الجدارة وتعديل العقد الاجتماعي. وبحسب تقرير صدر عن «الباروميتر العربي»، فاق عدد الذين شاركوا في الاحتجاجات والتظاهرات إبان الربيع العربي عدد الذين لم يشاركوا، ليقولوا إن السلطة ومؤسساتها فاسدة؛ فاعتبر 80 في المئة من المشاركين في تونس أن السلطة فاسدة، في مقابل 65 في المئة من غير المشاركين، وكانت النسبة في الجزائر 90 في المئة من المشاركين، في مقابل 77 في المئة من غير المشاركين. وجاءت النسبة في ميدان التحرير حيث شاهد العالم إسقاط حكومتين وليس حكومة واحدة - نظام مبارك في عام 2011 ومحمد مرسي في عام 2013 - 96 في المئة من المشاركين، في مقابل 88 في المئة من غير المشاركين. لاحظوا أيضًا النسبة المرتفعة لأولئك الذين يعتقدون أن السلطات فاسدة، حتى ولو لم يشاركوا شخصيًا في الاحتجاجات[38]. ويشير الباروميتر العربي أيضًا إلى ما يلي: «يميل المواطنون من جميع الأعمار وبقوة إلى القول إن الفساد منتشر، على الرغم من ميل الشباب في القليل من البلدان إلى القول إن الفساد هو مشكلة. فمثلًا، يميل التونسيون بين الثامنة عشرة والتاسعة والعشرين من العمر أكثر إلى القول إن الفساد منتشر (78 في المئة) من أولئك الذين تراوح أعمارهم بين الثلاثين والتاسعة والأربعين من العمر (69 في المئة) ومن الذين تفوق أعمارهم الخمسين عامًا (59 في المئة). ولا يميل الجزائريون الذين تفوق أعمارهم الخمسين عامًا (68 في المئة)

---

(38) Michael Robbins and Amaney Jamal, «Social Justice and the Arab Uprisings: Evidence from the Arab Barometer,» (Arab Barometer Working Paper; no. 1, Arab Barometer, March 2015), Available at: <http://www.arabbarometer.org/sites/default/files/working_papers/Robbins%20Jamal%20-%20Social%20Justice%20and%20the%20Arab%20Spring.pdf>.

على الرغم من أن نتائج الدراسة الاستطلاعية تعود إلى عام 2013، أي قبل سقوط مرسي بمدة قصيرة، يصر واضعوها على أن هناك قناعة متزايدة لدى المصريين بفساد السلطة في خلال الفترة التي سبقت الانقلاب ضد مرسي (عن تراجع سلطة الدولة، انظر: المصدر المذكور، ص 13-14).

إلى تصوّر الفساد كما يتصوره أولئك الذين تراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والتاسعة والعشرين (82 في المئة) أو بين الثلاثين والتاسعة والأربعين (80 في المئة)[39]».

أكثر من ذلك، وفي حين لم تكن الديمقراطية ركيزة الانتفاضات العربية، يشير عدد كبير من معطيات الدراسات الاستطلاعية إلى أن العرب، والشباب منهم خصوصًا، يرون أن فوائد النظام الديمقراطي ستعالج فشل المؤسسات والتحديات التي يتسبب بها نظام المحسوبية والفساد.

أشار كثير من صناع السياسة الغربيين، في ذروة الربيع العربي، إلى أن العالم العربي يريد الديمقراطية، ما دفع عددًا من المحللين والخبراء السياسيين في واشنطن إلى أن ينسبوا جزءًا من الفضل في ما يحدث إلى حكومة الولايات المتحدة التي موّلت نشر الديمقراطية في بلدان محددة، في خلال العقد الذي سبق الربيع العربي. وعلى الرغم من صحة هاتين النقطتين جزئيًا، لم تكن الديمقراطية على لائحة مطالب أكثر الشعوب العربية، وكانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية تفضّل «تطورًا ديمقراطيًا، وليس ثورة ديمقراطية»[40]. أكثر من ذلك، لم تمثل برامج دعم الديمقراطية محركًا كافيًا لتوليد الإحباط الواسع والتعبئة المطلوبة للدعوة إلى تغيير النظام. أخيرًا، تديم الأدبيات الأكاديمية عن الديمقراطية في المنطقة العربية الالتباس في شأن الحوافز التي يجب البحث عنها، وفي شأن الإمكان الفعلي لتطبيق مفهوم الديمقراطية بالمعنى الليبرالي الغربي في المنطقة العربية، وفي شأن الأدوات والمناهج المناسبة لتقويم مصطلح مثقل ومعياري مثل «الديمقراطية»، في منطقة تعاني تخلفًا اختباريًا حقيقيًا[41].

---

(39) المصدر نفسه، ص 13.

(40) انظر: Madeleine K. Albright and Vin Weber, co-chairs, *In Support of Arab Democracy: Why and How, Report of an Independent Task Force*, Project Director Steven A. Cook, Independent Task Force Report; no. 54 (New York: Council on Foreign Relations, 2005).

(41) انظر: Larbi Sadiki, *Rethinking Arab Democratization: Elections without Democracy*, Oxford Studies in Democratization (Oxford; New York: Oxford University Press, 2009).

بغض النظر عن المبادرات السياسية الغربية والمناقشات الأكاديمية، ليست القضية هي أن العرب لا يرغبون في نظام ديمقرطي، بل على العكس تمامًا؛ إذ تبيّن في دراسة استطلاعية لمركز بيو للأبحاث تُجرى سنويًا منذ عام 2010، أن عددًا كبيرًا من العرب صرّح أنه: «نعم، الديمقراطية هي المفضّلة على أي شكل آخر للحكم». وفي حين أن العرب عمومًا يدعمون الديمقراطية بوصفها نظامًا سياسيًا مثاليًا، هناك دعم أكبر للديمقراطية بين الشباب العرب. وأظهرت الدراسات الاستطلاعية التي أجريت في ذروة التفاؤل المحيط بالربيع العربي، أن 92 في المئة من الشباب يريدون الديمقراطية، ويشعرون أنها التغيير الأهم الذي يودون رؤيته في بلدانهم[42].

إذًا، عندما استُطلع الشباب العرب في عام 2010 وسئلوا «ما هي برأيكم أكبر عقبة تواجه منطقة الشرق الأوسط؟»، حل «غياب الديمقراطية» ثاني أهم قضية مأزومة بعد «الاضطرابات الشعبية»، وحتى قبل «غياب الوحدة العربية»، أو «الصراع العربي - الإسرائيلي» بكثير[43]. لم تكن هناك فروق واضحة بين الشباب العرب في منطقة الخليج الغنية بالنفط والبلدان غير النفطية. وتُعتبر النقطة الأخيرة مهمة لأنها تُثبت عدم صحة أسطورة أن العرب في البلدان الغنية بالنفط لا يبالون بالديمقراطية، على عكس إخوانهم في البلدان الفقيرة. فثمة فروق صغيرة في وجهات النظر بين الشباب العرب حيال المسائل السياسية، بمعزل عن مستويات الدخل في المنطقة أو البلد.

إنما، وعلى الرغم من الرغبة الكبيرة في الديمقراطية، يطرح المرء على نفسه السؤال الآتي: هل تكفي هذه الرغبة لإنشاء النوع من التنظيم السياسي أو العمل الجماعي الذي يبني أساسًا للديمقراطية؟ مع الوقت، في رأيي، سيحدث هذا الأمر، عندما يدير شباب اليوم دفة الحكم غدًا، بضمانة أن الأنشطة الشبابية ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية ذات القواعد الشعبية

(42) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey 2010/11* (Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2011).

(43) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey 2013: Our Best Days Are Ahead of Us* (Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2013), p. 21.

الواسعة التي تدعو إلى الاندماج الوطني وليس إلى الهويات الخاصة، والبنيات المؤسسية المهمة التي تدعم الديمقراطية كالقضاء المستقل، لا تزال جميعها في بداياتها في المنطقة العربية.

مع ذلك، فهي آخذة في التطوّر، معتمدة بشكل كبير على تغيير حاصل في الثقافة والقيم في شأن ما ينبغي أن يكون. وفي ما يخص ذلك، كما يظهره الفصل التالي، تأخذ القيم الثقافية الجديدة من بين عوامل مهمة أخرى بتحويل هوية الشباب العرب نحو اتجاهات تقدمية، تقوم بدورها بدفع التغييرات السياسية نحو الحرية، من الأسفل إلى الأعلى، بفعل هؤلاء الشباب ومن أجله. وكما تصوغ المسألة بكفاءة كريستين ديوان: «تفضّل الثقافة الشبابية الجديدة التوجه الذاتي على السيطرة والشبكات على التسلسل الهرمي والشفافية على السرية»[44].

من الضروري التأكيد أنه سيبقى قدر كبير من العمل الذي يتعيّن القيام به في البلدان العربية، كي يتجسّد العائد الديموغرافي في المنطقة، والتحولات الثقافية في القيم والتصرفات، في إصلاحات ديمقراطية إيجابية. وكثيرًا ما تساءل الخبراء السياسيون والأكاديميون عن الشرارة التي ستُطلق الموجة الديمقراطية في المنطقة العربية. وتفحّص أكاديميون يدرسون المنطقة العربية النقابات والجمعيات المهنية والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني على أنها أسلاف للأحزاب السياسية التي ستغيّر اللعبة، غير أن هذه الدراسات ركزّت على التحديات التي اعترضت هذه المجموعات في مواجهتها تحصّن السلطة السياسية. لكن الأسس الهيكلية والمؤسسية للديمقراطية ترتبط أيضًا بالأفكار التي ترشح من الأسفل إلى الأعلى في المنطقة العربية، وبالتحديد من شبابها. هنا نجد علامات التغيير التقدمي. إنه العائد الديموغرافي للمنطقة العربية الذي سيدفع إلى التغيير الحقيقي والمستدام. وفي أي حال، كي يعمل البرلمان بشكل صحيح، يجب أن يكون ثمة تبادل في الأفكار؛ وكي تصعد

---

(44) Kristin Diwan, «Breaking Taboos: Youth Activism in the Gulf States,» (Issue Brief, Atlantic Council, Washington, DC, March 2014).

الأحزاب السياسية ذات القواعد الشعبية الواسعة، يحتاج الأفراد إلى أن يتعرفوا إلى أنفسهم بوصفهم مواطنين؛ وكي تترسّخ حقوق الإنسان، تحتاج الشعوب إلى احترام مكانة الأقليات والنساء؛ وكي يُحترم حكم القانون، يحتاج الناس إلى أن يؤمنوا بالشمولية والجدارة والشفافية في النظام القضائي؛ وكي يزدهر الإعلام الحر، يحتاج الأفراد إلى تقدير الدور النقدي للصحافة والإعلام باعتباره المراقب السياسي للانتهاكات في السلطة، وليس مجرد وسيلة لتقويض الأمن في الدولة. هل وصل العالم العربي إلى هذه المرحلة؟ بالتأكيد لا. هل ينوي الشباب العرب المطالبة بكل ما ورد سابقًا، مع دعم المجموعات المنظّمة أو من دونه؟ بالتأكيد نعم.

خلاصة

كيف ستقود هذه الدعوات إلى تبادل حر للأفكار والمعلومات، إلى تغيير ديمقراطي فعلي ومستدام، وهو عمل لا يزال جاريًا؟ ويشرح المسألة بكفاءة الباحث في معهد بروكينغز (Brookings) ستيفن غراند قائلًا: «إنه من الأسهل بكثير تعبئة المواطنين لإطاحة نظام مستبد من عملية بناء نظام ديمقراطي ليبرالي مكانه؛ فالأولى عمل تدمير، فيما الثانية عمل بناء»[45]. لا يزال على الشباب العرب دخول مرحلة البناء، لكن يجب أن يستعدوا لتخطي عتبة التغيير داخل جماعاتهم وما يتجاوزها. وكما يوضح الفصل التالي، يقيّم الشباب العرب ويتصورون العالم بطرائق جديدة جذريًا تقدّم سببًا وجيهًا للأمل والتفاؤل بإصلاح اجتماعي وسياسي واقتصادي في الشرق الأوسط بمجمله.

يؤسس الشباب العرب تجمعات سياسية وشبكات معلومات تشبه التنظيم السياسي للأحزاب والنقابات الذي شهده الغرب منذ قرن. ما كان قد بدأ مع مدوني ومنتديات الإنترنت تطوّر إلى نظام واسع من الناشطين على الإنترنت، من دون لافتة سياسية، لكن باهتمام واحد جوهري مشترك: المستقبل السياسي

(45) Stephen R. Grand, *Understanding Tahrir Square: What Transitions Elsewhere Can Teach Us about the Prospects for Arab Democracy* (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2014).

للمنطقة العربية والتغييرات التي يجب أن تحصل. وقدمت التكنولوجيا أدوات للتواصل داخل هذه الجماعات وفي ما بينها، وعززت الدعوة إلى التغيير من الأسفل إلى الأعلى. وعلى الرغم من الدافع الذي يقودنا إلى تصنيف المجموعات كليبراليين أو يساريين أو محافظين أو إسلاميين... إلخ، نتجاهل في عملنا هذا حركة أوسع من الشباب الذين لا يجدون هذه الكليشيهات مريحة أو متطابقة.

الآن، يريد الشباب العرب التغيير. وسوف يحتاجون من دون شك إلى دفع حركتهم باتجاه واحدة تصوغ وتركّز على كيفية ما سيكون عليه مستقبل المنطقة العربية، أو ما يجب أن يكون عليه. حتى الآن، لا يزال هذا الجزء من الشروط المسبقة للديمقراطية إلى حد بعيد في مرحلة الطفولة، ومن الخطأ الاستنتاج، كما فعل كثير من المحلّلين الغربيين وعلماء السياسة، أن الشباب العرب سيذهبون إلى الامتثال أو الفوضى، لأننا لا نستطيع إيجاد التسميات التي تضعهم ضمن التصنيفات السياسية المثالية.

الشباب العرب منخرطون سياسيًا أكثر مما كان عليه أسلافهم في أي زمن مضى. فهم يعتمدون أدوات، بما فيها التكنولوجيا الرقمية، بدلًا من الأشكال التقليدية للمنظمات السياسية المعروفة في الغرب، لتعزيز النقاش في شأن الحاجة إلى إصلاحات سياسية؛ إذ تعب الشباب العرب من السياسيين الأقوياء، ومن الخطاب السياسي الذي يطالبهم بالتخلي عن حريتهم لمصلحة أمن الدولة. بدلًا من ذلك، هم يتحدون حكوماتهم، ويضعون مطالبهم الخاصة في سبيل القضاء على الفساد والمحسوبية وعدم المحاسبة التي يرون فيها عوائق حقيقية أمام التقدم السياسي والاقتصادي.

الفصل الثالث
الهوية

يجد الشباب العرب أن رؤية الآخرين لهويتهم عالقة داخل دائرة مغلقة من النقاش في شأن الحداثة والتقليد، في وقت تكتسح فيه المنطقة العربية الليبرالية الاقتصادية والأفكار المتدفقة عن الحرية. وتبتعد هذه المناقشة باطراد عن حياة الشباب العرب اليومية التي وصمها بعض رجال الدين والسياسيين والمسنين، بأنها انزلاق نحو القيم الغربية أو غير العربية/ الإسلامية. في الوقت نفسه، تخفق تصورات الغرب عن العالم العربي بوصفه عالمًا أصوليًّا ومتصلبًا ومتخلفًا، في وصف هوية الشباب الذين يعيشون اليوم في العالم العربي وحياتهم. ولا تزال أطروحة صموئيل هنتنغتون عن صدام الحضارات التي يعتبر فيها أن الصراع بين القيم الغربية وقيم الإسلام هو استنتاج مفروغ منه، مقبولة أكثر من اللزوم في أجزاء من العالم الغربي، على الرغم من مقدماتها وتكهناتها الإشكالية. ويعتبر معظم الشباب العرب أن أطروحة هنتنغتون تتناقض مع واقعه. ويرى كثير منهم أن ثمة تلاؤمًا تامًا في أن يعرّف الشخص عن نفسه بأنه مؤمن وحامل قيم الحداثة والتقدّم - كأن يكون راغبًا في الديمقراطية وحاملًا هويات كوزموبوليتانية - ويحترم الحريات الفردية. وبصورة مماثلة، يملك الشباب العرب القدرة على التوفيق بين التزام عميق بعائلاتهم ومجتمعاتهم وسعيهم إلى الحريات الفردية. ولا يرون أي تناقض في الجمع بين هويات عدة، كأن يكون عصريًا وغربي النزعة وملتزمًا بالعائلة ومتدينًا وعربيًا.

نعم، إن أولئك الذين يريدون اعتماد تفسير متشدد للإسلام في المنطقة العربية - والمنضوون غالبًا ضمن فئة السلفيين - يريدون إعادة عقارب ساعة العولمة إلى الوراء، ويرفضون المعتقدات والقيم الليبرالية الغربية. لكن يجب أن نتذكر أن أنواعًا شبيهة لهذه المجتمعات موجودة في الغرب أيضًا، مثل الأميش وأتباع مذهب المينونايتس القديم وأمثالهم، يعتقدون أن آراءهم في اللباس والتكنولوجيا والعلاقات الأسرية... إلخ، ستبقيهم قريبين من الله. ولا

تمثّل هذه المجموعات آراء الأكثرية، لكن لديها الحق في ممارسة معتقداتها، ما دامت لا تعتدي على حقوق الآخرين، ولا تفرض عليهم ممارسة القواعد نفسها أو اتباعها.

إن آراء الشباب العرب عن الدين والمجتمع وطموحاتهم المستقبلية، غالبًا، أكثر تقدمية مما يقدّرها المحللون الغربيون، على الرغم من وجود الآراء المتصلبة عن الإسلام التي تعتمدها أقلية مثل السلفيين الذين يطالبون مثلًا بالفصل بين الجنسين. ويرى كثير من الشباب الذين يؤمنون بقوة بالإسلام، أن الانجذاب نحو مبادئ العدالة الاجتماعية هو الذي يعزز هويتهم الخاصة كمسلمين. ويقدم الدين إلى الشباب البوصلة الأخلاقية لإعادة توجيه طاقاتهم وإيمانهم في المجتمع، مع انتشار الفساد وانعدام المساواة من حولهم. وعندما يخيّب القادة العرب آمال الشباب العرب، تتحوّل الهوية الدينية إلى مصدر للكرامة والأمل بمجتمع عادل وكريم. وهذا لا يعني أن هؤلاء الشباب يرغبون في أن يحاضَر بهم من فوق منابر المساجد؛ فهم يريدون مناقشة الإسلام ومزاياه لاكتشاف فوائده، وعدم مبالاته بالتحديات الحديثة أحيانًا. ومن المألوف اليوم أن نرى الشباب يتناقشون مع أفراد أكبر سنًا في الأسرة، في حين لم تجرؤ الأجيال السابقة على مناقشة الآباء، كعلامة احترام وتقدير. وأخبرني شبان عرب ما قالوه غالبًا لعائلاتهم: «أنا أعرف رأيكم، لكن عليكم أن تقنعوني لماذا سيكون ذلك مفيدًا لي على المدى الطويل». وهم أيضًا أكثر ميلًا إلى مساءلة الحكومات ورجال الدين، بدلًا من الخضوع للسلطات للحصول على الاستقرار والهدوء والنظام. ويظهر بشكل واضح تراجع الخضوع في المنطقة. فلا يمثل هذا الأمر بالنسبة إلى الشباب علامة على عدم الاحترام، بل علامة على ذكائهم المتنامي ومعرفتهم بالعالم وتساؤلاتهم عن المعطيات الاجتماعية والمعيارية وسعيهم إلى الحصول على المعرفة والأجوبة في شأن المناطق الرمادية في الدين والأخلاق. وعلى معظم الحكومات العربية والآباء ورجال الدين أيضًا، أن يروا في هذا التطوّر علامة ذكاء ووعي عند الشباب، بدلًا من النظر إليه على أنه شكل من الفوضى، أو حركة من أجل النيل من سلطة الدولة أو حرمتها.

أسلّط الضوء في هذا الفصل على الأساليب التي يرى فيها الشباب العرب هويتهم بتعبيراتها الشاملة وميلهم المتزايد إلى رفض الشعارات الثنائية والاختزالية (مثلًا الشرق في مقابل الغرب، المتمدن في مقابل التقليدي، الدين في مقابل المنطق). فهم يرون أن كتاب بنجامن باربر *Jihad vs McWorld* أو كتاب توماس فريدمان *Lexus and the olive tree* أخفقا في إظهار الفروق الموجودة في مجتمعاتهم. فمع القوى التحديثية كلها التي استحضرتها العولمة، شغف معظم الشباب العرب بتأمين الكرامة مع سعيه إلى العدالة الاجتماعية. وتعني الكرامة للشباب العرب الاحترام والاعتراف بالمبادئ الأساسية لحقوقهم كأفراد، بينما تعني العدالة الاجتماعية السعي إلى المساواة في مجتمع خالٍ من الفساد والمحسوبية. ولتحقيق الاثنتين، لا يشعر الشباب العرب أن من الضروري أو من المرغوب فيه التضحية بالقيم العربية الكبرى، مثل العائلة والشرف والتقاليد. لكنه يبحث عن فرصة مساوية للمنافسة، بعيدًا من مسائل الطبقة والجنس والعرق والطائفة التي تعوق مسعاه. وكان هذا الحق الأساس من العوامل المحفّزة للربيع العربي، وسيستمر في تحفيز الشباب، بغض النظر عن التحديات المحلية والإقليمية التي يواجهونها.

أولًا: المجتمع العربي «العلماني»

شهدت بدايات القرن الحادي والعشرين، مقارنةً بالعقود الماضية، عودة ظهور ملحوظة للمجاهرة العلنية بالإيمان الديني، وبشكل خاص الإسلام في المنطقة العربية. فكان من النادر في أثناء السير في القاهرة أو في تونس العاصمة أو في بغداد، في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، أن نرى امرأة شابة ترتدي الحجاب أو النقاب. خارج دول الخليج العربي - أي الكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وعُمان وقطر والبحرين - مارس معظم البلدان العربية العلمنة وعززها لدى مواطنيه. وشُجِعَ الرجال والنساء على وضع هوياتهم الدينية جانبًا لمصلحة الهوية الوطنية، ما ساعد في تعزيز فكرة المواطنة في الكثير من البلدان العربية، وساعد الحكومات العربية في إخضاع خصم سياسي مهمّ محتمل: رجال الدين وأتباعهم. واستخدمت

حكومات الخليج في المقابل الدين بشكل انتقائي واستراتيجي لتعزيز شرعيتها عبر استيعاب السلطات والحركات الدينية. فجاءت صورة المنطقة العربية – خارج دول الخليج – شبيهة بالمجتمع العلماني. مع ذلك، كانت تلك الصورة قريبة إلى الوهم أكثر من الحقيقة، وتلطخت بالتمييز ضد المتعصبين للإسلام، وبرؤية تفضيلية لمجتمع الطبقة العليا الحضرية.

عاشت أقلية من الشعوب العربية في المناطق الحضرية خلال سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، فتجنبت بذلك الكثير من الاتجاهات العلمانية التي سادت معظم المدن العربية، مثل مراكش والقاهرة ودمشق وبغداد. واستمر أكثر العرب في المناطق الريفية في ممارسة الشعائر الدينية، واختار كثير من النساء المسلمات ارتداء الحجاب. ولأنه لم يُنظر إلى المناطق الريفية على أنها تهديد سياسي للحكومات في ذلك الوقت، جرى تجاهلها من الاتجاهات العلمانية، فكان يُسمح لها عادة بممارسة الشعائر الدينية وفق ما ترتئيه. واعتُبِرَ الرجال المسلمون أصحاب اللحى، في معظم المناطق الحضرية خارج منطقة الخليج، والنساء المسلمات اللواتي اخترن بوضوح وضع حجاب، متحدّين المبادئ العلمانية. وتعرّض المسلمون الملتزمون للتمييز من الحكومات العلمانية. فكان من غير الممكن مشاهدة امرأة محجبة، على سبيل المثال، في مسلسلات أو أفلام تُعرض على قنوات التلفزيون الحكومية، إلا في دور الخادمة، أو المرأة الطاعنة في السن، وتستمر هذه الممارسة، وإن بشكل غير صارم، في البرامج والأفلام الحالية.

كذلك، لم يظهر مقدمو ومقدمات نشرات الأخبار على القنوات الحكومية بلحى طويلة أو حجاب. وكان مرفوضًا أو ممنوعًا في القانون على الرجال والنساء في مواقع المسؤولية، مثل الوزراء وعمداء الجامعة ورؤساء الشركات الحكومية، أن يظهروا علنًا إيمانهم الديني، واستمر هذا الوضع قائمًا بالنسبة إلى إعلاميي البث التلفزيوني والإذاعي المصريين حتى إسقاط مبارك في عام 2011. واعتبر كثير من العرب أن قمع الإيمان أو ممارسته بالسر هما من ضرورات النجاح في المنطقة العربية، ولا يزال هذا الاعتقاد سائدًا في الكثير من المناطق خارج الخليج العربي، خصوصًا ضمن الجيل الأكبر سنًا. هذا لا

ينفي حقيقة ممارسة الدولة و/أو المجتمع التمييز ضد الأقليات الدينية، مثل المسيحيين العرب واليهود والملحدين واللاأدريين، لكن من الضروري فهم كيف كان يُنظر إلى الدين - خصوصًا الإسلام، ديانة أكثرية العرب - على أنه يمثل تهديدًا سياسيًا واجتماعيًا في معظم المنطقة العربية، ولماذا تمثل الممارسة الدينية المضمون الأهم في المناقشات العربية الجارية اليوم في شأن الهوية والكرامة والعدالة الاجتماعية. ويُعتبر قرار مقدمة الأخبار على قناة الجزيرة خديجة بن قنة، بارتداء الحجاب، في العقد الأوّل من القرن الحالي وبعد سنوات من النجاح كمقدمة غير محجبة، من الأمثلة المهمة عن الصراع بين التعبير الديني والضغط المجتمعي. كان يمكن أن يمر هذا الأمر بهدوء على قناة حكومية، لكنها أثارت ضجة عبر تحديها الاتجاه العلماني السائد في قناة فضائية خاصة. ومن الضروري أن نفهم هنا المفارقة الكبرى التي حدثت (وما زالت تحدث في بعض الأحيان) بسبب القلق الذي أثاره ارتداء مقدمة الأخبار الحجاب، بالنسبة إلى الحكومات العلمانية وكثير من العامة في المنطقة العربية (أي في البلدان التي يشكل المسلمون فيها الأكثرية، حيث تلبس أكثرية النساء العربيات الحجاب، بحسب بعض التقديرات)[1].

سبّب الضغط السياسي للحفاظ على وهم العلمانية، ولاستيعاب ظاهرة التديّن المتزايد في المجتمعات العربية، اغترابًا كبيرًا لدى الناس في العلاقة مع حكوماتهم. وخلق ضغط السلطة لمواجهة المتدينين أو ترويضهم قدرًا كبيرًا من التخلخل الاجتماعي والقهر. أكثر من ذلك، شعر كثير من المسلمين العرب أن التديّن، أي اعتماد الممارسة الدينية المحترمة والكريمة في نظرهم، يُصوّر من حكوماتهم ونخبهم الاجتماعية الاقتصادية، ببطء وإنما بثبات، أنه تهديد سياسي. يرى كثير من العرب أنّ الدعوة إلى العدالة والكرامة الاجتماعيتين هي أيضًا دعوة إلى الحكومات كي تُظهر صورة مجتمعاتها بشكل أفضل، وتضيّق الهوة الواسعة بين نخبها والعامة، ولتستجيب للهويات التي يتبناها الناس. يشمل تضييق هذه الهوة، في جزء غير قليل، الاعتراض على الحكومات التي لا تنظر

(1) للاطلاع على الاستطلاعات عن دعم الحجاب في البلدان العربية، انظر: University of Michigan, Population Center, 2013, Available at: <http://mevs.org/files/tmp/Women_Dress_Demographics.pdf>.

إلى الناس بوصفهم مواطنين لهم حق في ممارسة إيمانهم، بل تهديدًا محتملًا للنظام بسبب تقواهم الشخصية. وأدى هذا التوتر والخلاف بين وجهات النظر الحكومية حيال المثل العليا للحياة العربية، والطريقة التي عاش فيها الناس وكيفية تعريفهم أنفسهم في المجتمع، إلى نشوء تصوّرات مستمرة بين الجمهور أن الحكومات العربية لا تريد تفهّم شعوبها أو ترفض ذلك ببساطة.

في حين أن بعضهم قد يعتبر أن المجتمع العلماني مجتمع تقدمي وحديث، لا يبدو أن عملية منع الناس من ممارسة إيمانهم يمكن اعتبارها قيمة تقدمية. وفي أي حال، فإن التمييز ضد المتدينين في العالم العربي، وإن انخفضت حدته عما كان عليه في الماضي، كان ويبقى أكثر وضوحًا لدى الطبقات الاجتماعية العليا، ولدى الأجيال الأكبر سنًا. وعززت الحكومات العربية هذا التمييز ضد التعبير الديني عبر الصور والقوالب النمطية المعروضة على شاشات التلفزيون واللوحات الدعائية عن الأسرة العربية الأنموذجية، وحتى عبر تقديم زوجات القادة العرب وعائلاتهم. وكما قالت لي مؤخرًا صديقة من القاهرة في الخمسين من العمر ولديها الكثير لتقدمه: «يبدو أن على واحدنا، إذا أراد أن يرتقي أعلى السلم الاجتماعي، وأن يصبح جزءًا من مجتمع النخبة في النوادي الاجتماعية الحصرية وضمن الدوائر الاجتماعية الراقية، أن يتحدّى بوضوح أنصار الإسلام بارتداء تنانير أقصر فأقصر».

نظرت النخبة الحضرية غالبًا إلى المتدينين وصوّرتهم على أنهم «متخلّفون» و«غير متحضّرين» و«غير عصريين». وكان الالتزام، تحت الضغط الاجتماعي، بالاتجاه المهيمن في ارتداء اللباس الغربي والتنكّر للباس الإسلامي أو الديني التراثي، الوسيلة الوحيدة لصعود السلّم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في أكثر أنحاء المنطقة العربية (وما زلنا نتكلم هنا على بلدان خارج منطقة الخليج). وكان واضحًا التمييز ضد المتديّنين في المستويات الاجتماعية كلها.

أذكر التحاقي بجامعة الأردن لفصل دراسي في بداية التسعينيات من القرن الماضي، لدراسة اللغة العربية، حيث التقيت نساء اخترن ارتداء الحجاب. جاء بعضهنّ من الريف، ووضعْنَ حجاب الرأس للحماية من تحرش الرجال في وسائل النقل العام. لم تشعر تلك النساء دائمًا بهذا التقارب الروحي والديني مع

الحجاب، لكنهن لبسنَ الحجاب ليكنَّ أكثر حرية في أثناء التنقل في بلد محافِظ اجتماعيًا. إن استعمال النقل العام في الكثير من الدول العربية هو تجربة مذلّة، حيث كثيرًا ما تتعرض النساء للتحرّش، إذا لم نقل للاعتداء السافر. وساعد الحجاب بعضًا من هؤلاء النساء في الاحتماء من حوادث كهذه. وبالطبع، ينبغي ألا تشعر النساء بالحاجة إلى تغطية أجسادهن أو شعرهن للحماية من التحرش. فالخطأ هنا يعود إلى الرجال المتحرشين، وإلى النظام الأبوي المحتقر النساء الذي يؤدي إلى سلوك كهذا وينشره. لكن تبقى الحقيقة القائلة إن ارتداء الحجاب يعطي أكثرية النساء قدرة أكبر على التحرّك في الأماكن العامة. في المقابل، لا تحتاج النساء في الأوساط النخبوية اللواتي يستعملنَ وسائل النقل الخاصة ويتواصلن اجتماعيًا ضمن دوائر خاصة، إلى الحجاب كي يوفر لهن قدرة أكبر على التحرك.

يرتدي أيضًا عدد من النساء العربيات المسلمات الحجاب إيمانًا بالله وتقربًا إليه. ويزداد عدد النساء المتدينات، لينضممن إلى الصحوة الدينية التي تشهدها المنطقة العربية. ففي أثناء دراستي في جامعة الأردن في تسعينيات القرن الماضي، أصبحت إيمان من أعز صديقاتي، وهي تنتمي إلى عائلة من الطبقة الوسطى تعمل في التجارة. في ذلك الوقت اشتكت لي إيمان من تجاهل الأساتذة للمحجبات في كلية التجارة. وأسرّت لي بأن أحد الأساتذة قال لها يومًا: «لماذا تدرسين التجارة؟ لماذا لا تدرسين الشريعة الإسلامية؟ لا يمكن المرأة التي ترتدي الحجاب أن تدرس التجارة وتمارس الأعمال». والتمييز الذي شعرت به إيمان في ذلك الحين كان أسوأ بالنسبة إلى النساء اللاتي يرتدين النقاب. فالنساء اللاتي اخترنَ أن يغطين وجوههن شعرنَ بتمييز كبير يمارَس ضدَّهن في الجامعات خارج منطقة الخليج. وحُظر النقاب في بعض الأحيان، في الجامعة الأمريكية في القاهرة مثلًا، ومُنعت النساء المنقبات من دخول الجامعة في مناسبات عدة. وحُظِرَ النقاب تمامًا في الجامعات التونسية. تابعت إيمان دراستها في كلية التجارة، لكنها صارحتني أنها فكّرت في خلع حجابها بهدف تحسين فرصها في الحصول على عمل. وأذكر عندما قالت لي: «إذا هاجرت إلى كندا، ستكون حياتي أسهل هناك مما قد تكون عليه في هذا البلد ذي الأكثرية المسلمة؛ إذ ثمة احترام لحقوق الإنسان في كندا، غير موجود هنا بعد».

يبدو أن الأمور تغيّرت بشكل كبير منذ ذلك الوقت؛ إذ تبيّن أن 94.6 في المئة تقريبًا من الشابات المسلمات في مصر يرتدين الحجاب، و5.1 في المئة فقط منقبات، و0.4 في المئة سافرات. وعندما سئلنَ لماذا يرتدين الحجاب، جاء جواب الأغلبية على قاعدة «خيار شخصي»، بعد الاستماع إلى العظات الدينية، أو بسبب قراءة الكتب الدينية. وأعلن 10 في المئة منهنّ أن «الأهل فرضوا الحجاب عليهن أو أقنعوهن به»، وكان هذا النوع من الضغط مرتفعًا جدًا في المناطق الريفية والقرى[2]. التقيت في أثناء سفراتي بهانية التي تبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة، وكانت تدرس الهندسة في الجامعة الأمريكية في القاهرة. حضرت هانية، في سنوات مراهقتها، محاضرات دينية غير رسمية في بيت امرأة أخرى، لمناقشة القرآن. وكانت هذه التجمعات النسائية اجتماعات طوعية، تناقش النساء فيها الدين في بيئة خالية من الترهيب، ويُعلَّم الإسلام بطريقة منفتحة ومحببة. ولا يُقصد هنا التشديد على المحتوى التفسيري والديني لهذه الدروس غير الرسمية، بل على أسلوب التقديم. كان يُناقش الإسلام أكثر من تعليمه، واختلفت المناقشات كثيرًا عن تلك العظات التي كان يسمعها الرجال في المساجد المحلية. من هنا، وفي حين ركز معظم تلك الاجتماعات التي تديرها نساء على الجانب الروحي للإسلام، وتحديدًا على المحبة والإخلاص، كانت العظات التي يسمعها الرجال في المساجد يقودها رجل دين هو الإمام، يميل إلى الصراخ بحماسة عن الدين، ويركز على القوانين الأكثر صرامة، أو الجوانب السياسية للتعاليم الإسلامية.

أصبحت الصفوف الدينية التي تنظمها النساء مؤثرة جدًا في المنطقة العربية، وتُعد من العوامل الرئيسة للصحوة الدينية اليوم. وتبيّن في دراسة استطلاعية أجريت على الرجال والنساء في مصر، أن النساء يملن إلى الصلاة أكثر من الرجال (أعلى بأربع عشرة نقطة مئوية)[3]. ووجد هذا التصوّر الروحي للإسلام طريقه إلى المحطات والبرامج الفضائية، بعدما تجاوز القيود التي

---

(2) Population Council, *Survey of Young People in Egypt: Final Report Population Council West Asia and North Africa Office* (Cairo: Population Council West Asia and North Africa, 2011), p. 133, Available at: <http://www.popcouncil.org/uploads/pdfs/2010PGY_SYPEFinalReport.pdf>.

(3) المصدر نفسه، ص 133.

فرضتها الدولة. فقدمت قنوات مثل اقرأ والمجد والرسالة و4Shabab، برامج عن الإسلام على مدار الأربع والعشرين ساعة، وعرضت المناقشات في شأن التحديات التي تواجه ممارسة الشعائر الدينية في الحياة اليومية، على عكس البرامج الدينية السابقة التي قدمتها القنوات السعودية أو الخليجية. تميل هذه البرامج أكثر إلى المناقشة والتحفيز، وإلى التسامح أكثر من الإطلاق، وإلى الروحانية أكثر من السياسة. ويُعتبر نجوم هذه القنوات الفضائية خطباء الحديث اللطيف، وتضم مجموعتهم عددًا كبيرًا من الشبان والشابات.

تجذب هذه البرامج الشبان والشابات أكثر من كبار السن، من خلال جمع الأشكال التفاعلية مع الجمهور، مثل الصلاة بالأيدي المفتوحة، العفوية في بعض الأحيان (الدعاء)، مباشرة على الهواء. وتجدر مقارنة هذا النوع من البرامج مع برامج على القنوات السعودية، التي تبثّ مباشرة الصلوات التي يؤديها الرجال في الإطار الأكثر رسمية للمسجد[4]. ينتقد الشباب العرب بشكل متزايد هذه الرسائل الدينية وطريقة نشرها. مرة أخرى، وبما أن الإذعان يتراجع عند هؤلاء الشباب، تقوم المقاربات الروحية غير الرسمية للتعاليم الإسلامية بتنمية نوع جديد من الإسلام؛ ذلك الذي يجد فيه الشباب أنفسهم أكثر. وتُعتبر هذه الأنواع من البرامج الإسلامية تقدمية أكثر من مثيلاتها المؤسسية، وتشير إلى الاتجاه الذي يسير نحوه الخطاب عن الدين والهوية.

يُعد مصطفى حسني مثالًا على السلالة الجديدة من مقدمي البرامج، وهو واعظ شاب تبث برامجه عبر القنوات الفضائية، وعبر الإنترنت أيضًا. يستعير برنامجه، بأسلوب جد واعٍ، جمالية حديثة، عبر استخدام مقاطع مصوَّرة من الحياة اليومية في منطقة الشرق الأوسط، مع موسيقى تضفي التفاؤل. ويتحدَّث حسني بهدوء وبلاغة، مرتديًا الملابس العصرية، ومطلقًا لحية قصيرة مشذبة. يبدأ البرنامج بعرض أسئلة المشاهدين ورسائلهم، ويستخدم وقائع من الحياة اليومية لشرح المعنى الروحي للتعاليم الإسلامية. ويستطيع المشاهدون فهم

(4) Marwan M. Kraidy and Joe F. Khalil, «Youth, Media and Culture in the Arab World,» in: Kirsten Drotner and Sonia Livingstone, eds., *The International Handbook of Children, Media and Culture* (Los Angeles: SAGE, 2008), p. 338.

اللغة العربية العامية التي يستخدمها حسني، على عكس اللغة العربية الفصحى التي يستخدمها الوعاظ على قنوات الدولة، مع ابتعاد كثير من الشباب عن اللغة العربية الفصحى والكلاسيكية. ويقدم حسني عددًا من حلقات برنامجه على متن قارب، يطل على مناظر بانورامية، بينما يتحدث عن التعاليم والفلسفة الإسلامية. وتقوم شخصيات مثل حسني بإيجاد سوق جديدة للتعاليم الروحية التي تختلف عن الرسائل الحكومية المنطلقة من المساجد، مع تراجع تأثير الوعاظ الحكوميين والرسميين في الشباب.

يعتبر كثير من العرب الذين نشأوا في البيئة العلمانية التي سادت في منتصف القرن العشرين أن هذه الفورة الدينية هي من العلامات التي تدعو إلى التشاؤم. وسمعتُ في أثناء وجودي مع عائلة ميسورة من القاهرة ملاحظات اتسمت بالتردد من الأفراد الأكبر سنًا عن قيام عملية الأسلمة بتغيير وجه مدينتهم. وقالت لي امرأة تبلغ من العمر ستين عامًا: «كما تعلمين، نحن جميعًا ارتدينا التنانير القصيرة، في منتصف العشرينيات من العمر، واليوم تعتبر حفيدتي أن الحجاب يساير الموضة أكثر. هناك خطأ ما!». في حديثهم الناقد هذا التحول، غالبًا ما يلقي الناس اللوم على المملكة العربية السعودية لتصديرها هذا النوع من الآراء الدينية من خلال مساهماتها المالية المتنوعة تجاه المساجد العربية، ووسائل الإعلام... إلخ، في حين يلوم آخرون عودة العمال في الخليج إلى بلادهم، محملين بآراء محافظة بعد تمضيتهم بضع سنوات هناك.

ينسى الناس دور الإرشادات الدينية الخاصة والمناقشات (من خلال النساء بداية) والبرامج التي تركّز على الشباب في القنوات الفضائية، ويقللون من أهمية هذه الظاهرة التي تساعد في تسليط الضوء على عملية انبعاث الهويات الدينية في العالم العربي، مع عدم التقليل من أهمية دور العوامل المحتملة الواردة سابقًا. فضلًا عن ذلك، خلا هذا الانبعاث من العنف، وتخطى السياسات القومية والتعاقدية لمصلحة السياسات التي تعتمد مزيدًا من العدالة الاجتماعية. وتُعتبر هذه الظاهرة تطوّرًا ناتجًا من تزايد المناقشات المجتمعية، وارتفاع المستويات التعليمية للنساء، خصوصًا في المناطق الحضرية، حيث تحصل الجلسات الاجتماعية غير الرسمية التي ذكرناها سابقًا. ويساعد هذا

الأمر، مثلًا، في تفسير سبب وجود عدد كبير من النساء الشابات بين المدونين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، وفق دراسة استطلاعية قامت بها جامعة هارفرد في عام 2009، تبيّن أن عددًا كبيرًا من المدوِّنات اختار التحدُّث عن ولائه للإسلام، وتفسير ورعه[5]. يجب عدم اعتبار هذه المدونات مناهضة للنساء، بل على العكس، فهؤلاء نساء يحتفلنَ بتديُّنهن بطريقة متمكِّنة. وتحاول هؤلاء النساء قيادة مجتمعاتهن، ويطالبن بالمساواة مع الرجل.

يغذي ظهور الوعاظ على القنوات الفضائية هذا الجوع إلى الروحانية خارج المسجد، بعدما قام إعلام الدولة بقمع المعلومات والمعرفة عن الدين والإيمان. إضافة إلى ذلك، نمت الفكرة القائلة إن للناس الحق في ممارسة إيمانهم وتعاليمهم الدينية، مع نموِّ الخطاب الدولي الخاص بحقوق الإنسان في العالم. مع ذلك، لا يزال التحيّز الاجتماعي ضد المتدينين قائمًا، خصوصًا في الدرجات العليا للسلم الاجتماعي الاقتصادي، وضمن الجيل الأكبر سنًا، على الرغم من انتشار الخطاب الديني والإيماني في المجتمع العربي.

واجهت هانية في سنتها الثانية في الجامعة الأميركية في القاهرة الاتجاه السائد، وقرّرَت خلع حجابها بعد ارتدائه لست سنوات. سألتها عن السبب، فقالت: «كان الناس ينظرون إليّ بصفتي فتاة ترتدي الحجاب ولم يستطيعوا رؤيتي بصفتي إنسانة. اعتبرني الناس أنني غير مسلية أو رياضية أو مبدعة. لم أحب افتراضات الناس في شأن شخصيتي».

اعترفت هانية أنَّ ضغط الأقران في الجامعة الأمريكية في القاهرة، حيث يلتحق أولاد النخبة - وهم أنموذجيًا من العائلات الليبرالية الميسورة - أدى إلى تغيير آرائها. واعتبرت أن الحجاب يحد من حركتها في دائرتها الاجتماعية، مع عدم قدرتها على القيام بالكثير من الأنشطة التي يقوم بها زملاؤها. ورأت أنها لو التحقت بجامعة القاهرة أو أي جامعة رسمية أخرى، لكانت تعرّضت لضغط معاكس يحثها على عدم خلع حجابها. وقالت لي دانا أمرًا مشابهًا، وهي

(5) Bruce Etling [et al.], *Mapping the Arabic Blogosphere: Politics, Culture, and Dissent*, Internet and Democracy Case Study Series, Berkman Center Research Publication; no. 2009-06 (Cambridge, MA: Internet and Democracy Project, Berkman Center for Internet and Society, 2009).

طالبة في جامعة اليرموك، حيث ارتداء الحجاب هناك هو القاعدة، وهي من الجامعات الرسمية في مدينة إربد، ثاني أكبر مدينة في الأردن. وقالت دانا إن الجامعة الألمانية التي التحق بها شقيقها تتمتع ببيئة أفضل، حيث لا ترتدي النساء الحجاب، ويختلط الجنسان. ولا يزال هناك تمييز ضد النساء اللاتي يرتدين الحجاب في البلدان خارج منطقة الخليج، لكن تتراجع هذه الظاهرة، مع التزام مزيد من النساء التعاليم الإسلامية. ولا توجد عند الشباب الموانع نفسها التي كانت عند أجدادهم ضد الحجاب، خصوصًا أولئك الذين نشأوا في المدن العربية. ويرى شباب اليوم أن الأمر خيار روحي، ويرفضون فكرة أن على المرء أن يكون مجبرًا على ارتداء الحجاب أو عدم ارتدائه.

لا يمكن التأكيد كفاية أن غير المسلمين، والمسلمين من المذاهب الأقل عددًا، كالشيعة والعلويين والدروز، يواجهون تمييزًا أشد مما كانوا يواجهونه مع الأجيال السابقة. لكن كثيرًا ما يُلقى اللوم، بشكل خاطئ أو صحيح، على الصحوة الدينية في شأن هذه العدائية الزائدة ضد الأقليات[6]. ومن الضروري الإشارة إلى أن التمييز ضد الأقليات الدينية يُلحَظ بشكل ملموس أكثر في مناطق مابعد الصراع، أي المناطق التي حدثت فيها الحروب الأهلية والثورات والانتفاضات العنيفة، مثل لبنان والعراق وسورية، وحيث تؤكد التحليلات التاريخية والأكاديمية أن مصدر الصراع لم يكن دينيًا قط، ففي الواقع تحرَّض الجماعات الطائفية بعضها ضد بعض في صراعات متتابعة لأسباب جيوسياسية ولنقص في الموارد ولتعطّل في القانون والنظام. وتُسجَّل الآن، لسوء الحظ، هجرة أكبر (طوعية أو إجبارية) من المسيحيين العرب والأقباط واليهود والطوائف الصغيرة التي تغادر المنطقة بوتيرة غير مسبوقة. ويعتبر كثيرون أن الهوية العربية المتنوعة تتراجع لمصلحة تصاعد التمييز ضد الأقليات الدينية والملحدين واللاأدريين.

لا تزال المنطقة العربية غير قادرة على إيجاد الميزان الصحيح لاحترام إيمان الناس، ويتشابه الخطاب الخاص بهذا التحدي مع الخطاب الذي رأيناه يتطور في البلدان الغربية التي تتكوّن مجتمعاتها من ثقافات متعدّدة. لكن معظم

(6) انظر: Will Kymlicka and Eava Pföstl, eds., *Multiculturalism and Minority Rights in the Arab World* (Oxford, UK: Oxford University Press, 2014).

المجتمعات الغربية، المتنوعة ثقافيًا، رسّخ ديمقراطيات ليبرالية تحافظ عمومًا على حرية التعبير وتوفر قاعدة قانونية لحماية الأقليات. أكثر من ذلك، كثيرًا ما يُخلط بين صعود الروحانية الإسلامية وصعود الإسلام المتشدد الذي تعتمده المجموعات الراديكالية في مناطق الحروب والقوى الانفصالية أو في المناطق المهمشة من الدولة، كتلك المجموعات الموجودة في ليبيا وسيناء المصرية وشرق سورية وغرب العراق واليمن. يرى المراقبون الخارجيون أن التمايز هو في الأساس مفتاح فهم الاختلافات بين الأنموذج الأكثر انتشارًا للنهضة الدينية المسالمة والروحانية، والنمو الأقل انتشارًا للحركات الراديكالية العنيفة، اللذين تزامنا في الظهور في المنطقة العربية. ويجب عدم لوم التصورات الخاطئة في الإعلام الغربي وحده على مماهاة النهضة الروحانية مع نمو العنف المتشدد. في الحقيقة، يستخدم الكثير من الحكومات العربية بسهولة وبوضوح كامل صعود الإسلام للإيحاء بوجود تهديد سياسي واستراتيجي مشؤوم ومضمر في النهضة الإسلامية[7]. وستُناقش الاعتبارات الجيوسياسية للنهضة الدينية في المنطقة العربية في الخاتمة، لكن أود الإشارة هنا إلى أن التفسيرات الروحية للإسلام أمّنت قواعد فلسفية مفتاحية لتفسير الدعوات المتصاعدة من أجل الكرامة والعدالة الاجتماعية. إضافة إلى ذلك، شكّلت عقود من الخطاب السياسي، ومن سوء تصوير المسلمين الملتزمين، عاملًا رئيسًا في عملية الاغتراب الاجتماعي والسياسي للجماهير العربية عن حكوماتها وقادتها.

خلافًا للأجيال السابقة، لا يملك الشباب العرب المزاعم نفسها في شأن الفصل بين الدين والإيمان والعلمانية. بالتأكيد، تبقى هناك تلك الرسائل القوية التي تبثها الدولة عن أن التديّن يجلب المشكلات والأمراض الاجتماعية والسياسية. مع ذلك، أرى أن الشباب العرب يميلون أكثر إلى رفض هذا النوع من الرسائل ثنائية الأطراف، وهم أكثر رغبة في قبول تديّن الآخرين. وفي إمكان نموهم الديموغرافي أن يُدخل على الخطاب العام قيمًا وسلوكًا إيمانية جديدة. وبفعل تنقلهم وسفرهم المتزايد، يرى كثير من الشباب العرب القيمة الأصيلة

(7) انظر: Shadi Hamid, *Temptations of Power: Islamists and Illiberal Democracy in a New Middle East* (Oxford; New York: Oxford University Press, 2014).

في مجتمع متعدد، في القيم المتعددة الثقافة الممارسة في البلدان الغربية، وفي حماية حقوق الأقليات. وتبقيني هذه الآراء الجامعة والمعتدلة التي يؤمن بها الشباب العرب متفائلة في شأن المنطقة ومستقبلها.

ثانيًا: مكة مول

يمتلك كثير من الشباب العرب تلك الطريقة الغريبة في المزج بين الهويتين الشرقية والغربية في حياتهم. فيجتازون من عالم إلى آخر بسلاسة في حياتهم اليومية. فمثلًا، حين يختار كثير من الشابات ارتداء الحجاب، فإنهن يفعلن ذلك بالتناغم مع آخر صيحات الموضة التي يجدنها في محلات التجزئة الغربية. كنت أتحدث إلى صديقة متميزة في عمان، وسألتها كيف تسير الأمور مع الشابات العربيات اليوم؟ إذ فوجئت برؤية معظم الشابات في المنطقة العربية، من الرباط إلى القاهرة وعمان ودبي، يرتدي الحجاب مع الجينز الضيّق، أو مع قمصان عصرية تعرّف إليها في المجلات الغربية الخاصة بالموضة. وترى صديقتي أن الشابات العربيات اليوم هن «مكة ما فوق الرقبة، ومكة مول ما تحتها»، وتلك لم تكن بالتأكيد الصورة التي كوّنتُها عن مرتديات الحجاب المحافظات.

مكة هي المدينة الأكثر قدسية في العالم الإسلامي؛ فهي المَعلَم الذي يحج إليه آلاف البشر سنويًا لزيارة الكعبة ومقام النبي إبراهيم. أما مكة مول، فهو مركز تسوّق عصري في عمان، ويحوي محلات تجزئة غربية، مثل Levis وTommy Hilfiger. تزيل مشاهدة هذه المحلات التناقض بين ارتداء الحجاب وارتداء الملابس العصرية من المحلات الشعبية الغربية مثل Zara، وH & M، وMango. وأطلق DKNY مؤخرًا مجموعة ملابس إسلامية خاصة برمضان لصيف/خريف 2014 خص بها المدن العربية، وتتضمن المعاطف الملونة مع سراويل ملائمة من قماش الكاكي والحجاب الأنيق. ويتحوّل هذا التناقض الواضح ليصبح طبيعيًا باطراد في العالم العربي، وليشير إلى التوازن بين الهويتين الغربية والشرقية الذي يبرزه الشباب بازدياد. واتفق متخصصون بالإعلان على أن كثيرًا من الشباب العرب يتشارك القيم الغربية والشرقية التي تشكّل سلوكه الشرائي. ودرس باحثون في التسويق خمسة بلدان عربية لتحديد القواسم المشتركة والاختلافات في قيم سكانها وسلوكهم.

أثبت المستهلكون العرب أنهم مستهلكون عالميون وفريدون، يتشاركون القيم نفسها، مثل تأكيد أهمية العائلة والتعلّق بالتقاليد المتكيّفة مع الحداثة وتقدير عالٍ للتعليم والرغبة في مساحات التعبير عن الذات وانجذاب نحو المنتوجات الغربية[8]. وينقسم العرب، في ما يتجاوز هذه القواسم المشتركة، إلى أربعة أنواع من المستهلكين: 1) المحافظون المتدينون، أي كبار السن في المقام الأوّل «الذين يعادون الإعلام، ويكرهون الأخبار»؛ 2) الملتزمون اجتماعيًا الذين ينتمون في معظمهم إلى المجموعات الاقتصادية والاجتماعية الدنيا، خصوصًا في المناطق الريفية؛ 3) مسلمو العصر الحديث، وهم من سكان المدن الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى والعليا، خصوصًا النساء اللواتي يملن إلى التصاميم الحديثة وهن متديّنات؛ و4) الليبراليون، وهم من سكان المدن، شباب وميسورون[9]. ولا تحوي جميع البلدان في المنطقة، كما يظهر من الجدول أدناه، المزيج نفسه من المستهلكين.

الجدول (3-1)

أنواع المستهلكين بحسب البلدان

البلد	المحافظون المتدينون	الملتزمون اجتماعيًا	مسلمو العصر الحديث	الليبراليون
الجزائر	40	40	7	13
مصر	52	22	20	6
الأردن	18	36	34	12
المملكة العربية السعودية	20	19	47	14
الإمارات العربية المتحدة	46	13	17	24

المصدر: Monita Vohra, Gagan Bhalla and Aurobindo Chowdhury, «Understanding the Islamic Consumer,» *Research World* (February 2009), p. 41.

(8) Monita Vohra, Gagan Bhalla and Aurobindo Chowdhury, «Understanding the Islamic Consumer,» *Research World* (February 2009), p. 41.

(9) المصدر نفسه، ص 41. أغفلت فئة «المكافحون البراغماتيون» لعدم ملاءمتها واقع المستهلكين العرب ودول غير عربية مثل إندونيسيا وماليزيا.

ينتمي المحافظون المتدينون إلى المجموعة السكانية الأقدم، وستقل قوتهم الشرائية مع الوقت، بينما سيمتلك مسلمو العصر الحديث والليبراليون، كما تتوقع الاتجاهات السكانية، أعلى نسبة نامية من القوة الاستهلاكية في المنطقة. أما الدرس الذي يجب أن يتعلمه المتخصصون بالتسويق، وأولئك الذين يبحثون عن الاتجاهات المستقبلية في الهويات والقيَم الاجتماعية، فهو أن المنطقة، مع هذه الوتيرة السريعة في التمدّن، ستسيطر عليها فئة «مسلمي العصر الحديث».

لا يمكن تجاهل حقيقة أن كثيرًا من العرب المسيحيين والمسلمين المؤمنين متديّن، لكن ينبغي ألا يساوى هذا الأمر بكون هذا الكثير غير متسامح. وأظهرت دراسة استطلاعية في المنطقة أعدها البارومتر العربي في عام 2010 أن 61 في المئة من المشاركين وافقوا أو أكدوا «أن الدين هو مسألة شخصية، ويجب فصله عن الحياة الاجتماعية والسياسية». لكن كانت هناك اختلافات واضحة بين البلدان العربية التسعة التي أجريت فيها هذه الدراسة. فبرز الدعم الأقوى للدين لأداء دور في المسائل الاجتماعية والسياسية في من المملكة العربية السعودية واليمن والسودان وفلسطين، في حين جاء أدنى دعم للدين في الحياة العامة في من مصر وتونس والجزائر والعراق[10].

يميل الشباب العرب أيضًا إلى دعم دور قوي للدين في المسائل الشرعية أو قانون الشريعة؛ إذ دعم معظم المسلمين العرب دور الشريعة، على الرغم من أن دراسات مركز بيو الاستطلاعية أظهرت عدم ميل الشباب في عدد من البلدان العربية إلى دعم الشريعة، خصوصًا في لبنان، حيث يوجد فارق قيمته 22 في المئة بين داعمي الشريعة ورافضيها؛ أما الفارق في الأردن وتونس فهو 12 في المئة؛ وجاء الفارق في الأراضي الفلسطينية 10 في المئة[11]. مع

(10) Mark Tessler, «Islam and the Struggle for a Political Formula: Findings from the 2010-2011, Arab Barometer,» Available at: <http://www.arabbarometer.org/reports-presentation-abwave/arab-barometer-ii>.

(11) «Beliefs about Sharia,» in: *The World's Muslims: Religion, Politics and Society* (Washington, DC: Pew Research Center's Forum on Religion and Public Life, 2013), chap. 1, Available at: <http://www.pewforum.org/2013/04/30/the-worlds-muslims-religion-politics-society-beliefs-about-sharia/>.

ذلك، تُبيّن دراسة استطلاعية أجريت في ربيع 2013 على 8045 شابًا عربيًا تراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والحادية والثلاثين من العمر، ويعيشون في أربعة بلدان، وجود دعم قوي للشريعة الإسلامية لتكون مصدرًا للقانون في مرحلة مابعد الثورات في بلادهم. وتحديدًا، دعم 93 في المئة من الشباب الليبيين الشريعة، و89 في المئة في اليمن، و64 في المئة في تونس، و57 في المئة في مصر[12]. وقد أُسيء فهم قوانين الشريعة في الغرب بوصفها مراسيم تقمع حقوق الأقليات، وتفرض دولة دينية على المواطنين. وتبيّن من نتائج الدراسة الاستطلاعية لبيو أن الشريعة تُطبّق في كثير من الأحيان، بالنسبة إلى كثير من المسلمين العرب، على الأمور الشخصية، مثل الميراث والزواج/ الطلاق والنزاعات في شأن الملكية[13]. ويطبّق عدد قليل من البلدان الشريعة على حالات عسكرية وسياسية وجنائية. ودعمت نسبة مماثلة من الشباب فكرة الدولة المدنية التي لا يُسيطر الجيش فيها على الحكومة. ويفضّل الشباب العرب الديمقراطية إلى حد بعيد، بحسب دراسة بيو الاستطلاعية، لكن بنظام قضائي ديني. وتشكّل تسوية هذين البعدين تحديًا مستمرًا، خصوصًا مع وجود عدد قليل من الحالات الإمبيريقية للإشارة إليها. في أي حال، لا يزال على الديمقراطية الليبرالية أن تصل إلى معظم الدول العربية، ويجب أن تُصبح مسألة تكوين مجتمع عربي متسامح مع الاحتفاظ ببعض عناصر الشريعة موضوعًا يستحق مناقشة جماهيرية وقانونية، وأرى أن الشباب العرب يمتلكون الإرادة والقدرة للقيام بهذا الأمر.

مع ذلك، تبقى النقطة الآتية: هناك رأي خاطئ في كثير من الأحيان، خصوصًا بين الخبراء الغربيين، يتعلق بعدم دعم المتدينين المسلمين للديمقراطية. وتبيّن دراسة استطلاعية شملت عربًا من أعمار مختلفة، أن حوالى 86 في المئة منهم يدعمون الديمقراطية، وينقسمون بشكل متعادل بين أولئك الذين يريدون ديمقراطية علمانية، وآخرين يريدون ديمقراطية تتضمّن دورًا

(12) «The Arab Spring: Results of The Arab Youth Opinion Poll,» (Report, Al Jazeera Centre for Studies, 30 July 2013), Available at: <http://studies.aljazeera.net/en/reports/2013/07/20137296337455953.htm>.

(13) *The World's Muslims*, Available at: <http://www.pewforum.org/2013/04/30/the-worlds-muslims-religion-politics-society-overview/#extremism-widely-rejected>.

للإسلام. ودعم عدد قليل منهم نظامًا علمانيًا غير ديمقراطي (6.3 في المئة) أو نظامًا إسلاميًا غير ديمقراطي (7.9 في المئة)[14]. وضمن مجموعة البيانات نفسها، لاحظ الباحثون في البارومتر العربي عدم وجود أي علاقة بين مستوى التديّن عند الشخص، ودعمه الديمقراطية[15]. وهكذا تبدد هذه البيانات الخرافة الغربية التي تقول إن المتدينين في المنطقة العربية لا يدعمون الديمقراطية ومؤسساتها.

ثالثًا: النصف الأفضل؟ المرأة العربية

في حدوده القصوى، أربك دور المرأة في العالم العربي وأثار المراقبين الخارجيين. ويعود ذلك بشكل واسع إلى الأفكار المتضاربة المنتشرة في الإعلام، وبين المواطنين العاديين والناشطين، وحتى في التقارير والوثائق الرسمية للدولة عن المرأة العربية، خصوصًا بفعل وجود تلك الصور والقوالب النمطية في العالم الغربي؛ إذ رأى الغربيون في كثير من الأحيان المرأة العربية سلبية (خاملة)، غريبة جدًا و/ أو مثيرة جنسيًا، بالترافق مع صور للأنثى العربية تراوح بين الراقصة الشرقية المثيرة والمرأة الخانعة التي يُفرض عليها ارتداء الحجاب أو النقاب حاجب الرؤية، والمرأة التي تخضع للقوانين الصارمة المانعة الأنشطة يومية، مثل قيادة السيارة. وتحمل هذه الصور، كما الصور النمطية كلها، حجبًا دون الحقيقة، لكنها مع ذلك انطباعات عابرة ومشوهة ومفككة ولا تمثل الحقائق المعيشة والهويات المكوّنة للنساء في الشرق الأوسط أو في أي مكان آخر يعنيه الموضوع. في الوقت عينه، لا شك في أن الآراء التقليدية عن النساء والعمل - على الرغم من التغير (البطيء) في تصورات الشباب - لا تزال موجودة في المنطقة العربية.

---

(14) Mark Tessler, «Popular Views about Islam and Politics in the Arab World,» *II Journal* (International Institute Journal), vol. 1, no. 1 (Fall 2011), p. 1.

تستند هذه النتائج إلى مقابلات عشوائية أجراها تيسلر مع 13.019 عربيًا من ثماني دول، بين عامي 2006 و2009.

(15) Amaney Jamal and Mark Tessler, «The Democracy Barometers: Attitudes in the Arab World,» *Journal of Democracy*, vol. 19, no. 2 (January 2008), p. 105.

تبيّن دراسة استطلاعية أجريت في عام 2011 على 1445 راشدًا ينتمون إلى الطبقة الوسطى في مصر والمملكة العربية السعودية والمغرب، أن 59 في المئة من الشباب بين الخامسة عشرة والرابعة والعشرين من العمر يعتقدون بوجوب أن يقتصر دور النساء «على تدبير شؤون المنزل والاهتمام بالأطفال»، في مقابل 80 في المئة من الرجال الذين تفوق أعمارهم الرابعة والعشرين. والمثير للسخرية أن الفرق لا يبدو ملحوظًا بين الراشدين من النساء والرجال في ما يتصل بالسؤال نفسه. لكن عندما سُئلت شابات من الخليج، من الفئة العمرية ذاتها، عن دور النساء في البيت، وافقت حوالى 22 في المئة منهن فقط على آراء الشبان المذكورين سابقًا[16]. وتُظهر هذه الأرقام وجود فجوة بين الأجيال حيال دور النساء في المجتمع، حيث يبدو أول وهلة أنه لم يجر تشجيع المرأة كي تعمل خارج المنزل. مع ذلك، اعتبر 80 في المئة من المستطلَعين الألف والأربعمئة والخمسة والأربعين أنفسهم، أن للمرأة الحق في العمل خارج المنزل، ولهن الحق في السعي للحصول على مهنة إذا كنّ يردن ذلك. حتى في مجتمع قد يُعد الأكثر محافظة في العالم العربي، أي المملكة العربية السعودية، اعتبر الرجال الراشدون من الطبقة الوسطى المشاركون في الاستطلاع، وبكثافة (94 في المئة)، أن للنساء الحق في اختيار مهنة والسعي إليها. وتعكس الأرقام الصادرة عن وزارة العمل السعودية هذا الاعتقاد (يوجد حاليًا حوالى أربعمئة ألف امرأة ضمن القوة العاملة السعودية، بعد أن كان عددهن لا يتجاوز خمسة وخمسين ألفًا في عام 2010)[17]. وفي دراسة استطلاعية أُنجزت في عام 2005 على نساء ورجال عرب تحت سن الثلاثين، اعتبرت أقلية منهم (16 في المئة كمعدل في ستة بلدان) أن «من غير المقبول أن تعمل النساء»؛ وكانت هذه النسبة في لبنان متدنية إلى 8 في المئة، ومرتفعة إلى 20 في المئة في المملكة

(16) Richard Shediac, Samer Bohsali and Hatem Samman, *The Bedrock of Society: Understanding and Growing the MENA Region's Middle Class* (Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012), p. 27.

(17) «Growing Number of Saudi Single Women Challenge Tradition,» *Saudi Gazette*, 21/1/2015, Available at: <http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method=home.regcon&contented=20150122231244>, and Louise Redvers, «Keys to The Kingdom: The Slow Rise of Saudi Women,» (BBC, 9 April 2015), Available at: <http://www.bbc.com/capital/story/20150408-slow-gains-for-saudi-women>.

العربية السعودية، مع دعم قوي لحق المرأة في العمل، في إجابات الإناث أكثر من الرجال[18]. وتُرينا هذه الدراسات وجود تغيّر في المواقف المجتمعية حيال النساء والعمل، خصوصًا بين الشابات والنساء أنفسهن.

عندما سئلت النساء العربيات من ست دول عربية عن سبب عدم حصولهن على وظائف، ظهرت اختلافات كبيرة بين إجابات الشابات (اللاتي تراوح أعمارهن بين خمسة عشر وخمسة وثلاثين عامًا) والأجيال الأكبر سنًا. كان الجواب الطاغي عند الشابات ردًا على أسباب بطالتهنّ هو النقص في فرص العمل (45 في المئة)، على عكس النساء الأكبر سنًا اللاتي أجبن بأنهن لا يعملن لأن عليهن الاهتمام بأطفالهن (43 في المئة). وشهد أيضًا الضغط العائلي والزوجي المانع من العمل تغيرًا عبر الأجيال. ففي حين أجاب ثلاثون في المئة من النساء الأكبر سنًا في دول الخليج، وأربعون في المئة من النساء في الأردن ومصر بأنهن لا يعملن لأن ذلك كان يعاكس رغبات العائلة أو الزوج، 14 في المئة من النساء في الخليج، و19 في المئة من النساء في الأردن ومصر فقط كنّ موافقات. والمثير في هذا الموضوع أن 3 في المئة فقط من الشابات، في ست دول، وافقنَ على أن في مجتمعاتهن «من غير المقبول أن تعمل النساء»، مقارنةً بنسبة ترتفع إلى 17 في المئة من النساء في دول الخليج اللواتي ينتمين إلى فئة عمرية تقع بين التاسعة والأربعين والخامسة والستين[19]. وينبئنا هذا الاختلاف في الأجوبة ببعض الأمور عن التصورات حيال المرأة والعمل في العالم العربي، التي تستحق الملاحظة. ولا شك في أن توفير الاهتمام بالمنزل من النساء هو محل تقدير، وكثيرات من النساء، كما الرجال أيضًا، يعتبرن أن

---

(18) James Zogby, *Attitudes of Arabs, 2005: An In-Depth Look at Social and Political Concerns of Arabs* ([Washington, DC]: Arab American Institute, 2005), Available at: <http://www.aaiusa.org/reports/attitudes-of-arabs-2005>.

(19) Richard Shediac [et al.], *Generations A: Differences and Similarities Across the Arab Generations* (New York: Booz and Co., 2013), p. 50, Available at: <http://www.strategyand.pwc.com/global/home/what-we-think/reports-white-papers/article-display/arab-generations>.

بالاعتماد على دراسة استطلاعية أجريت على ثلاثة آلاف عربي في ست دول عربية: مصر والأردن والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، حصلت النساء على إمكان اختيار ثلاثة عشر جوابًا، والنسب لا تُضاف إلى المئة.

تربية الأولاد أولوية بالنسبة إلى دور المرأة. في الوقت نفسه، تواجه الشابات العربيات الطامحات إلى العمل، العادات المجتمعية التي ربما منعت جيل الأمهات من العمل.

إن النقاش في ما إذا كان ينبغي للمرأة البقاء في البيت لتربية الأطفال وبأي ثمن (إذا كان هناك ثمن)، لا ينحصر بالمنطقة العربية وحدها. فلدى النساء، من أكثر البلدان الأوروبية تقدمًا إلى أكثر المجتمعات العربية محافظةً، الكثير لمناقشته في: كيفية الموازنة بين متطلبات العائلة حيث يقع عليهن في كثير من الأحيان عبء تربية الأطفال أو متعتها، وإلى أي حد يُمكن المرأة أن تتوقع المساعدة للقيام بذلك. وغني عن القول إن على المنطقة العربية، مثل الكثير من المناطق النامية، توفير أنموذج دعم الدولة لإجازة الأمومة والأبوة، الأمر الذي يسهّل هذه الخيارات العائلية، فضلًا عن أن الحضانات التي توفرها الدولة أو تدعمها، لا تزال غير متوافرة للنساء في المنطقة العربية. بعد هذا كله، وحيث إن الروابط الأسرية العربية لا تزال متينة، يساعد كثير من الأجداد في المنطقة كلها بناتهم وزوجات أبنائهم في التوفيق بين متطلبات العمل والبيت. وتكشف الاستطلاعات أن ما زال يوجد عند الشباب العرب رأي محافظ بشكل عام عن النساء والعمل. لكني عندما سألت الشباب عن أفكارهم في شأن دور المرأة في المجتمع، عبروا عن آراء أقل جمودًا عن النساء والعمل، ستساعد في تسليط الضوء على نتائج المسح الوارد أعلاه.

لم يدعم كثير من الشبان الذين تكلمت معهم، خصوصًا من الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا، فكرة عمل زوجاتهم، إلا إذا كان ذلك ضروريًا لتلبية حاجات العائلة المالية. فقال بشاي، وهو سائق تاكسي من القاهرة، يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا: «أريد ممن ستكون زوجتي أن تركز جهدها على تربية أولادنا، لكن إذا لم يكن في الإمكان العيش، أو حتى توفير أسلوب الحياة الذي نريد لأطفالنا، فستكون فكرة جيدة أن تعمل». وكرر هذا الرأي أمامي كثير من الشبان الذين قابلتهم، خصوصًا إذا كانت الزوجات المستقبليات سيحصلن على وظائف في قطاع الخدمات، أو سيعملن لساعات طويلة في شركات القطاع

الخاص، وهو أمر يتطلب الكثير من السفر. مع ذلك، عندما طرحت السؤال نفسه على محمد الذي يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، وهو طالب ميسور في كلية الطب في جامعة عين شمس في القاهرة، أجاب: «أفضّل أن تعمل زوجتي لبناء حياتنا معًا، بدلًا من أخذ المال من والدي لتلبية الحاجات التي يفرضها أسلوب عيشنا». يريد محمد أن يتزوّج من امرأة حاصلة على شهادة جامعية، يتوقع أنها ستحترف مهنة، ويضيف: «يريد النساء اليوم الحصول على الاستقلالية والعمل، بينما اعتمدت الزوجة في جيل والديّ، كليًا، على زوجها. إني أفضّل هذا الأمر لأن جيلنا يريد الحفاظ على استقلاليته بعد أن يتزوج، عبر احتفاظ كل منا بدائرته الخاصة من الأصدقاء، وعدم اضطرارنا إلى القيام بكل شيء معًا، وهنا يختلف الأمر عما كان عليه في جيل والديّ».

تتجه النظرة إلى المرأة والعمل إلى التحوّل، وتتجه الموانع في شأنها إلى التأكل لكون الشباب يواجه تحدي السعي إلى تأمين أسلوب حياة خاص بعائلة مدينية، حديث بكامله، ومكلف بتجهيزاته. فما عاد المدخول المزدوج، بالنسبة إلى كثير من العائلات العربية، حاجة مالية فحسب، بل قاعدة مجتمعية متنامية تعمل على تغيير ديناميات النظام الأبوي في منطقة الشرق الأوسط. مع ذلك، يبقى نوع العمل الذي تحصل عليه النساء مصدر قلق لكثير من الذين يستمرون في تبنّي آراء محافظة عن «حماية شرف المرأة». وتنتشر هذه الآراء المحافظة أكثر بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا التي تعيش في المناطق الحضرية الأكثر فقرًا، وتلك التي تعيش في المناطق الريفية. تحدثت مرة أخرى إلى دانا، الطالبة في جامعة اليرموك التي قدمتها في الفصل الأول، وتبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا. فقالت إن معظم الرجال من مجموعة أقرانها يريد الزواج من امرأة تعمل، خصوصًا في مهنة في القطاع العام، حيث تكون ساعات العمل قليلة وفرص السفر ضعيفة ونسبة الأمان الوظيفي عالية، وحيث يوجد معاش تقاعدي. فالزواج من المدرّسات، مثلًا، مرغوب بقوة، وتجدر الإشارة - استنادًا إلى بيانات العمل الخاصة بالسعودية والمذكورة أعلاه - إلى أن كثيرًا من الوظائف التي تعمل فيها النساء الآن هي في قطاع التعليم[20]. قالت لي دانا

(20) «Growing Number of Saudi Single Women».

أيضًا إن الرجال يبحثون عن زوجات محتملات في الصحف؛ خصوصًا أن وزارة التعليم الأردنية تنشر كل سنة لائحة بأسماء المعلمات المعينات حديثًا في المدارس الرسمية. يستعمل الرجال والحموات الفضوليات هذه اللوائح لتحديد مواعيد مع هؤلاء المعلمات المستقبليات. وتضيف دانا مازحة أنّ الحوليات الجامعية أيضًا أصبحت مصادر تمكّن الحموات الفضوليات من تحديد مواعيد بين أبنائهن والزوجات المحتملات، خصوصًا النساء اللاتي يتخرّجن من كليات الفنون والعلوم الاجتماعية، واللاتي من المرجح أن يعملنَ في القطاع العام.

تقبع وراء الجدل الحاصل حول ما إذا كان يجب على النساء أن يعملن أو لا، حقيقة أن النساء يوجّهن بشكل متزايد قدرة الابتكار لديهن نحو أعمال تتعلّق بتأسيس المشروعات. ووجدت كومباس (Compass)، شركة أميركية تتعقّب البيانات عن الشركات الناشئة، أن في الوقت الذي بلغ المعدل العالمي للنساء أصحاب المشروعات على الإنترنت 10 في المئة، تمثل النساء في منطقة الشرق الأوسط 35 في المئة من مجمل أصحاب الشركات والمشروعات على الإنترنت[21]. فتمتلك النساء في مصر 20 في المئة من مجموع الشركات – وتفوق هذه النسبة المعدل السائد في العالم النامي – وينوّعنَ في أعمالهنّ بعيدًا من الخدمات وقطاعها، فينخرطن في قطاع الصناعات[22]. فتمتلك النساء مثلًا 45 في المئة من الشركات في قطاع صناعة النسيج والألبسة. وهذا لا يعني أن النساء في العالم العربي لا يواجهنَ التحديات التي تواجهها عادةً النساء جميعًا (الحصول على عناية جيّدة بالأطفال ووظائف مرنة وتأمين التمويل... إلخ)، بل يعني أن صورة المرأة العربية الخانعة والسلبية لا تستوي ببساطة مع الواقع القائم.

---

(21) «Untraditional Choice,» *Economist* (13 July 2013), Available at: <http://www.economist.com/news/.business/21581740-middle-east-beats-west-female-tech-founders-untraditional-choice>.

(22) DeAnne Aguirre [et al.], *Empowering the Third Billion: Women and the World of Work in 2012* ([San Francisco]: Booz and Co., 2012), pp. 66-67, Available at: <http://www.strategyand.pwc.com/global/home/what-we-think/reports-white-papers/article-display/empowering-third-billion-women-world>.

تحدّت النساء العربيات الأعراف المجتمعية واستخدمن منتديات الإنترنت والتلفزيون والراديو لجعل أصواتهنّ مسموعة. ويُعتبر برنامج «كلام نواعم» من البرامج المؤثرة في العالم العربي. هذا البرنامج الذي يعرض على القنوات الفضائية، هو من أفضل البرامج الحوارية التي تناقش المسائل التي تواجهها المرأة اليوم. ويضم «كلام نواعم» أربع نساء من خلفيات مهنية وأيديولوجية مختلفة، يجلسن ويتحدثنَ في ما بينهنّ، وإلى ضيوف، عن قضايا الساعة ومسائل اجتماعية. ويلاقي هذا البرنامج، المقتبس عن برنامج The View الذي يُعرض على شاشة ABC، رواجًا بين ربات المنازل والشخصيات العامة التي تريد التواصل أكثر مع جمهور المشاهدات من النساء العربيات، ويتميّز بالذكاء وبالأسلوب التحليلي والصدق في معالجة الموضوعات الصعبة والسهلة (من السياسة والطبخ إلى العلاقات الزوجية)، ويمثل نوعًا من البرامج تقدّمها النساء وحدها، وهذا ببساطة أمر ما كان يحدث على الشاشة في الأجيال السابقة.

لا تزال الآراء التقليدية في المنطقة العربية عن الزواج واختيار الأزواج والزوجات المحتملين المقبولين ضمن الدائرة الاجتماعية الواحدة موجودة، لكنها بدأت بالتغيّر ببطء بين الشباب. وأظهرت أجوبة أولئك الذين لم يتزوجوا بعد، في دراسة استطلاعية أجريت على ثلاثة آلاف عربي في تسعة بلدان، أن 46 في المئة يتوقعون أن يختاروا بأنفسهم الزوج[23]. ولا يزال هذا الرقم منخفضًا مقارنةً بالمعايير الغربية، لكن من الضروري إيراد تفصيلات أكبر لشرح هذه المحصّلة. يُعتبر رأي العائلة بالزوج أو الزوجة المحتملين مهمًا، ومن الممكن أن تشوش هذه المشاركة العائلية مسألة ما إذا كان الناس يلتزمون فعلًا اختياراتهم الشخصية في الزواج. تمتلك العائلات في المنطقة العربية، من دون شك، تأثيرًا كبيرًا في دعم شركاء الزواج المحتملين أو رفضهم. لكن مع ذلك بدأ الشباب في المنطقة العربية يختارون بشكل متزايد من يريدون الزواج منه. ولننظر مرة أخرى إلى أكثر البلدان العربية محافظة، أي إلى المملكة العربية

(23) Karim Sabbagh [et al.], *Understanding the Arab Digital Generation* (Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012), p. 2.

هذه الدول التسع هي المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر والبحرين والكويت وقطر والأردن والجزائر ولبنان.

السعودية، حيث أظهرت الدراسات الاستطلاعية أن الشباب السعوديين (من الجنسين) أصبحوا أكثر انفتاحًا الآن من الماضي حيال مسألة اختيار شريك الحياة، وباتوا يفضلون الزواج عن حب.

تبيّن دراسة استطلاعية أجريت على الشباب السعوديين بين عامي 2003 و2011، أنّ دعمه الزواج عن حب ارتفع، في أقل من عقد، من 53 في المئة إلى 64 في المئة[24]. ومن المذهل أن نرى انتشارًا لآراء داعمة للزواج عن حب في بلد يكثر فيه الفصل بين الجنسين، وتقل فيه الأمكنة الاجتماعية التي تمكّن الرجال والنساء من الالتقاء والوقوع في الحب. وبدأ الشباب العرب، من المجتمعات المحافظة مثل المملكة العربية السعودية إلى المجتمعات الليبرالية مثل لبنان، بإيجاد وسائل مبتكرة للالتقاء والتكلّم والوقوع في الحب، وهم يقومون بذلك مع علم الوالدين أو من دونه. وكثيرًا ما تُستعمل التكنولوجيا للتحايل على أنواع مختلفة من القيود الاجتماعية السائدة، كذلك يجد الشباب العرب الوسائل الملائمة للتحايل على العادات الاجتماعية والضغط الذي فرضه عليهم جيل الوالدين.

وجدت في أثناء مناقشاتي مع شباب من مناحي الحياة المختلفة في العالم العربي، أنّ كثيرين يمتلكون رغبة في الزواج ممن يحبون، وتوقعًا كبيرًا في حصول ذلك. إن الطريقة التقليدية للزواج المدبّر، حيث لا يلتقي الزوجان أحدهما الآخر بل يقرر الأهل كل شيء، تتراجع بسرعة اليوم، لكنها لا تزال موجودة على ما يبدو في المناطق الريفية غير النامية. زينة، طالبة سوريّة في كلية الهندسة تبلغ العشرين من العمر، ترتدي حجابًا ملوّنًا، أرسلها أهلها للدراسة في كندا، تنقل إليّ توقعات عائلتها في مسألة الزواج: «يفضّل والديَّ بالطبع أن أتزوّج من رجل سوري، بل يفضلون أيضًا أن يكون من مدينتي دمشق. لكني امرأة ذكيّة ومتعلّمة، وأعلم أنني لو ناقشتهم، سأقنعهم بأن خياري أفضل، وسيبدّلون رأيهم».

(24) Julie De Jong and Mansoor Moaddel, «Trends in Values among Saudi Youth: Findings from Values Surveys,» *Journal of the History of Childhood and Youth*, vol. 6, no. 1 (Winter 2013), pp. 151-164.

يتوقّع معظم الشباب الذين قابلتهم «التعرّف إلى» أو «مقابلة» الشريك المحتمل من أي مكان لمدة تمتد من بضعة شهور إلى سنة. وعلى النقيض من جيل والديه، يريد معظمهم أن يلتقي ويتزوج من الشخص الذي يختاره. وسيغيّر هذا الأمر بشكل جذري من ديناميات الزواج عند الشباب. وفي الحقيقة، يمكن المرء أن يرى منذ الآن سلوكًا جديدًا بين الأزواج العرب الشباب وأولادهم، مثل الانخراط المتزايد للآباء في أعمال التربية وانخراط كثير من النساء في القوى العاملة خارج المنزل وظهور العائلات الصغيرة واستعمال موانع الحمل وتخطيط الولادات وظهور أساليب للتربية الجديدة أقل سلطوية وأكثر ثقة مع الأولاد[25]. وسيقود هذا التغيير في أسلوب التربية إلى جيل أقل تصلبًا، وأكثر ابتعادًا عن الأحكام المطلقة، وأكثر ابتكارًا وإبداعًا وتسامحًا من الناحية الاجتماعية.

رابعًا: أن تكبر كوزموبوليتانيًا

تكمن في أساس هذه التغييرات كلها حقيقة أن العالم العربي نفسه أصبح إلى حد بعيد أكثر كوزموبوليتانية، ومنفتحًا أكثر واندماجًيا. ويستخدم كثير من الشباب الذين قابلتهم في المنطقة كلمة كوزموبوليتاني (أو عالمي في اللغة العربية) لوصف وجهات نظرهم، خصوصًا أولئك الموجودين في المناطق المدينية، وهم متعلمون ونهمون لصعود السلم الاجتماعي. وتعرفت إلى مصطلح آخر، «طفل الثقافة الثالثة» (أو TCK: third culture kid)، بواسطة ملحم، الطالب السوري ابن الواحد والعشرين عامًا، الذي كان يدرس التحليل المالي في أونتاريو، كندا. تحدّث ملحم عن قدرته على التكيّف بسهولة مع الثقافتين الغربية والشرقية، لأنه ابن الثقافة الثالثة. ووافق طلاب سوريون آخرون في مجموعة المناقشة المركزة نفسها على ما قاله ملحم، إنهم أبناء الثقافة الثالثة أيضًا. واكتشفت لاحقًا أن عالمة اجتماع وضعت هذا المصطلح،

---

(25) انظر: Diana Baumrind, «Effects of Authoritative Parental Control on Child Behavior,» *Child Development*, vol. 37, no. 4 (1966), pp. 887-907,

التي استخدمت هذه التصنيفات لتصف التغيّرات الطارئة على أساليب التربية الأسرية.

بعدما لاحظت أن أبناءها الذين يسافرون كثيرًا يتكيفون بسرعة في مجتمعات مختلفة، ويشعرون أنهم «خارج الزمان» عندما يعودون «إلى الوطن»[26]. وترك كثير من الطلاب السوريين الذين تحدثت إليهم في كندا منطقة الخليج العربي، ويرى هؤلاء مفهوم الوطن شبه مائع. يقول ملحم: «عندما يسألني الناس عن جنسيتي، أقول إنني سوري، لأني أحمل جواز سفر سوريًا. لكني ما عشت لمدة طويلة في سورية. انتقلنا، عندما كنت طفلًا، للعيش في دبي، وهي من المدن المتنوعة الثقافات، حيث شاهدت من غير العرب أكثر مما شاهدت عربًا. وكنا نزور سورية في الصيف، لكني لا أعرف الكثير عن الحياة في سورية بالنسبة إلى المقيمين فيها. قد أعود إلى وطني سورية للمساهمة في بنائه بعد الحرب، لكنني أعيش الآن في كندا، والحياة جيدة هنا أيضًا. ومن الممكن أن أبقى لأحصل على جواز سفر كندي، لكن بعد الانتهاء من دراستي. أنا أعلم أنني لا أنتمي إلى مكان، وهكذا أستطيع التكيّف بالعيش في أي مكان».

أكثر من ذلك، عندما تكلمت مع عبد الله، وهو طالب سوري المولد والنشأة، يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا ولم يعش قط خارج مدينته حلب قبل مجيئه لدراسة الهندسة في غرب كندا منذ عامين، فوجئت بأنه لا يرطن بأي لهجة حين يلفظ المفردات الإنكليزية. فهو في الواقع يتكلم الإنكليزية بطلاقة، ويستعمل مصطلحاتها كأي شخص وُلِدَ في الغرب؛ سألته عن رأيه بالغرب، وكيف تغيّر هذا الرأي بعد مجيئه للعيش فيه، فقال: «تشرّبنا الثقافة الغربية، حيث لم يشكّل الانتقال من سورية إلى كندا تحولًا كبيرًا بالنسبة إلي. ولا ينفك أساتذتي وأصدقائي الجدد في كندا يقولون لي: «يا للروعة أنت تبدو وتلبس مثلنا»، أو «أنت ليبرالي جدًا كي تكون من منطقة الشرق الأوسط». وكثيرًا ما أسمع هذه العبارات. وأظن أن وجودي كعربي في كندا شكّل صدمة ثقافية أكبر للناس الذين التقيتهم هنا، من الصدمة التي واجهتها عند انتقالي إلى كندا. فهم لم يتوقعوا لقاء شخص مثلي، أما أنا فتوقعت كل شيء واجهته في كندا».

---

(26) Ruth Hill Useem and Richard D. Downie, «Third-Culture Kids,» *Today's Education*, vol. 65, no. 3 (September-October 1976), pp. 103-105.

سواء كان الشباب العرب من أبناء الثقافة الثالثة أم كانوا قادرين على النظر والاستماع إلى الثقافة الغربية بسهولة فائقة فحسب، فالانطباع الذي يكونه المرء هو أن الشباب العرب أكثر انسجامًا وانفتاحًا على الثقافة الغربية مما يفترضه غالبًا الخطاب السائد شعبيًا.

كي أعطيكم فكرة عن آرائهم في ما يخص العالم، طُرح السؤال الآتي على شباب عرب من تسعة بلدان: «ما هي بالنسبة إليك أهمية فكرة المواطَنة العالمية، أي الشعور المشترك بالهويّة بغض النظر عن الخلفيات العرقية والدينية والقومية؟». فأجاب 69 في المئة أنها مهمة، بينما اعتبرها 15 في المئة غير مهمة، وأجاب 16 في المئة بأنهم لا يعرفون. وكانت النسبة الأعلى من الأجوبة المؤيدة لأهمية المواطنة العالمية من نصيب الإمارات العربية المتحدة، وهو بلد متنوّع الثقافات، حيث وافق 79 في المئة على أهميتها[27].

لم ير الشباب العرب، في الدراسات الاستطلاعية المختلفة، أي تناقض بين أن يكون مجتمعهم حديثًا يتبنى المضامين الغربية لحكم القانون والديمقراطية الليبرالية، وأن يعيشوا «حياة ورعة دينيًا»[28]. ويرى كثير من الشباب العرب، على عكس الأجيال السابقة التي نظرت إلى القيم الغربية والإسلامية كبنيات ثنائية، فضائل كل مجتمع ونقائصه، ويريد المزج بين الاثنين بوسائل دينامية ومبتكرة. لنأخذ مثلًا برنامج «خواطر» الذي يقدّره المشاهدون ويتمتّع بشعبية كبيرة بين الشباب العرب على شاشة MBC، ويتابعه أكثر من مليون مشاهد على اليوتيوب. يستخدم مقدم البرنامج أحمد الشقيري، وهو سعودي، برنامجه المعروف لتبديد الخرافات المتعلقة بـ «الآخر»، من خلال تظهير الخير والشر في الحياة الحديثة. فيتحدى، عبر استعمال الكاميرات الخفية خلال لقائه الناس في الشوارع، المفاهيم الخاطئة، ويسلّط الضوء على السلوك «الفاضل». فترك في إحدى الحلقات المشهورة، على سبيل المثال، محفظة على طاولة في مطعم في

---

(27) *ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2010/11* (Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2011), Available at: <http://arabyouthsurvey.com/wp-content/themes/arabyouth-english/downloads/2010-2011/ays-whitepaper-2010.pdf>.

الدول العربية التسع المستطلَعة هي: الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وقطر والبحرين والعربية السعودية والكويت ومصر والأردن ولبنان.

(28) *The World's Muslims*, Available at: <http://www.pewforum.org/2013/04/30/the-worlds-muslims-religion-politics-society-overview/#extremism-widely-rejected>.

مدينة عربية، وأخرى في مطعم في طوكيو. وصوّر البرنامج مشهدين متناقضين، يظهر فيهما معظم الناس في الدول العربية يسرق المحفظة، بينما يسلّم معظم الناس في اليابان المحفظة إلى السلطات المحلية. ويُعتبر تبديد المفاهيم الخاطئة السائدة عن المجتمعات الأخرى في شأن عدم خُلُقيتها وانحلالها، مع تسليط الضوء على فشل اعتماد التعاليم الإسلامية في العالم العربي، من ميزات برنامج خواطر. وأصبح هذا الانتقاد الذاتي للمجتمع العربي، والاعتراف بضرورة اعتماد الجوانب الإيجابية للمجتمع الغربي، خصوصًا تشديده على حكم القانون، من الموضوعات السائدة في الثقافة العربية.

قال الشقيري في إحدى المقابلات: «تملك الولايات المتحدة، مثل أي أمة أخرى، الكثير من الإيجابيات والكثير من السلبيات. ومن إيجابيات الولايات المتحدة أنها تُطبّق ثلاثة تعاليم إسلامية أكثر من معظم البلدان العربية: **الأولى** العدالة؛ ففي الولايات المتحدة لكل فرد الحق في الذهاب إلى المحكمة في حال تعرّض/تعرّضت للظلم. وإذا أخطأ أحد المسؤولين الحكوميين، سيُحاسب ويُحاكم... ويتمثل الجانب الإيجابي **الثاني** للولايات المتحدة بمبدأ إسلامي آخر: القراءة والتعليم والبحث عن المعرفة. يقرأ الناس في الولايات المتحدة ويكتبون وينشرون الكتب أكثر من العالم العربي. يخترع الغرب تقنيات جديدة تعلّم الناس، وتشجعهم على القراءة، مثل الكتب الإلكترونية والآيبوك. والميزة **الثالثة** في الولايات المتحدة هي الحرية التي تشمل حرية العبادة»[29].

يتضمّن برنامج «خواطر» الكثير من الإشارات للعودة إلى المبادئ الإسلامية للإيمان التي تشدد على الاعتدال والتسامح وحسن الخلق والتقوى الشخصية. وتشير شعبية الشقيري بين الشباب العرب إلى رغبة في تفسير عالمي وشامل أكثر للإسلام، لتجسير فجوة التعريف المزدوج الذي يجمع بين حداثة الغرب والمبادئ الإسلامية في شأن الكرامة والعدالة الاجتماعية[30].

---

(29) «The Man behind 'Khawater' Offers Words of Wisdom,» *Saudi Gazette*, 10/8/2010, Available at: <http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method=home.regcon&contentID=2010081080620>. Emphasis added.

(30) انظر: Robert F. Worth, «Preaching Moderate Islam and Becoming a TV Star,» *New York Times*, 2/1/2009, Available at: <http://www.nytimes.com/2009/01/03/world/middleeast/03preacher.html?pagewanted=1&_r=0&partner=rss&emc=rss#>.

يعرض بعض من أشهر البرامج العربية على شاشة التلفزيون والإنترنت أفضل ما يوجد في الشرق والغرب، ويبتعد تدريجًا من عادة استخدام السلطات التعابير والبنيات الثنائية. وتقوم قناة سعودية على اليوتيوب، اسمها «الصاحي»، بمعالجة عدد من المسائل الاجتماعية بأسلوب كوميدي. ويتحدث مقدم البرنامج، إبراهيم صالح، في إحدى الحلقات عن إحباط الشباب الذكور الذين يُطلب منهم باستمرار القيام بمأموريات، أو استخدام سيارات الأجرة، إلى جانب الأخوات والأمهات اللواتي لا يُسمح لهنّ بقيادة السيارة في المملكة العربية السعودية. وحاز هذا الفيديو مليونين ونصف مليون مشاهدة، وقدم درسًا مؤثرًا عن أهمية تصرّف الرجل كأخ وابن محترم وصبور. جاءت رسالة الفيديو، على الرغم من أنها غير سياسية، لتظهر التعاطف والحاجة إلى التخفيف من تبجّح الرجل السعودي. وتُعتبر رسائل صالح الاجتماعية الأكثر شهرة بين الشباب السعوديين على الإنترنت، على الرغم من أنه لا يتعاطى قضايا المجتمع السعودي السياسية بشكل علني.

يتحدى مزيد من الرجال السعوديين القيود التي تفرضها الدولة على حريات المرأة. ودعا أحد الفيديوات، تحت عنوان «لا امرأة، لا قيادة»، بتلاعب واضح على عنوان لأغنية بوب مارلي «لا امرأة، لا دمعة» (No woman, no cry)، إلى سحب القوانين السعودية التي تمنع المرأة من قيادة السيارات. وحقق هذا الفيديو الموسيقي شهرة كبيرة، مع أكثر من اثني عشر مليون مشاهدة، وكان قد وُضِعَ على الإنترنت من الفنان والناشط الاجتماعي والكوميدي هشام فقيه، في اليوم الذي اعترضت فيه النساء السعوديات على حظر القيادة. قادت هذه الاعتراضات، على الإنترنت وفي شوارع المملكة العربية السعودية، حركات شبابية تطالب بالتغيير الاجتماعي والثقافي. وقاد هؤلاء الشباب جيلهم، وتحدوا السلطات السياسية والدينية، في كل إصدار يخرج على اليوتيوب. ويتشارك كثير من هؤلاء الناشطين السياسيين، غير المعلنين، ميزة واضحة: تلقوا تعليمهم في الغرب. ويسافر الشباب العرب باطراد إلى المجتمعات الغربية لمتابعة دراستهم الجامعية، ويجلبون معهم هذه التجربة إلى بلدانهم.

خلاصة

يمتلك الشباب العرب مزيجًا من الهويات التي لا تلائم الأوصاف المزدوجة لمجتمعهم. ويطالب هؤلاء الشباب برؤية جديدة في الكرامة والعدالة الاجتماعية، بعد أن تعبوا من الخطب الحكومية الكثيرة عن فضائل العلمنة، ومن قمع حقوق التعبير عن الإيمان، ومن معاملة الشباب بوصفهم تهديدًا اجتماعيًا بدلًا من اعتبارهم أصولًا اجتماعية مفيدة. ويميل الشباب العرب أكثر، على عكس الأجيال السابقة، إلى رفض الآراء المزدوجة عن هوياتهم؛ كغربي في مقابل شرقي، وعلماني في مقابل ديني، وأناني أو فردي في مقابل أسري. فيمزج هؤلاء الشباب في حياتهم اليومية بين القيم الغربية والشرقية، ليعتمدوا الاثنتين بشكل ممتاز. إنهم كوزموبوليتانيون من حيث الهويّة، سافروا كثيرًا، ورأوا مزايا كبيرة في اعتماد حكم القانون والمؤسسات. وهم لا يجدون تناقضًا في اعتماد الديمقراطية الليبرالية في بلد يتبنّى أيضًا قوانين الشريعة.

تختلف قيم الشباب العرب وهوياتهم عن تلك الخاصة بجيل الأهل - من اختيارهم الحر للزواج من الشخص الذي يحبون، إلى قبول دور الدين في المجتمع، إلى عدم اعتبار المثل والمؤسسات الغربية أمورًا غريبة وغير ملائمة للتقاليد والثقافة العربية - لذا سيكون لهؤلاء الشباب مسار مختلف في الحياة. وفي حين يرغب الشباب العرب في تقدم فوري على الجبهة الاقتصادية، فإنهم يدركون أيضًا أن الإصلاحات السياسية والاجتماعية تستغرق وقتًا أطول. ويبدو بوضوح، في الحديث إلى الشباب العرب، أنهم يتوقون إلى التغيير الاقتصادي، لكنهم واقعيون في شأن المأمول من التغييرات السياسية والاجتماعية التي يرغبون فيها، وسرعة وتيرتها. ويجب ألا نخطئ في الاستنتاج من ذلك أنه لمصلحة الوضع القائم، بل هم يرغبون في قيادة هذه التغييرات والإصلاحات بأنفسهم بدلًا من الاعتماد على القادة الموجودين. وتميل التوجهات الديموغرافية لمصلحتهم، ويمتلك الشباب العرب رؤية للمتغيرات السياسية والاجتماعية التي يريد أن يحدثها من الأسفل إلى الأعلى. ولا يمكن تجاهل تأثير الهويات الغربية في المنطقة العربية، وتأثير الهويتين العربية والإسلامية في المجتمعات الغربية

المتنوعة الثقافات، مع اختلاط الشباب العرب بهويات وشعوب في جميع أنحاء العالم. ويتناول الفصل التالي ازدياد الروابط العابرة الحدود الوطنية التي تربط العالمين العربي والغربي، وكيف أصبح الشباب العرب أبطال المساهمة والاستفادة معًا من هذه الحركة العالمية الدائرية للناس والأفكار.

الفصل الرابع
التنقّل الدائري

إذا وافقتم على طرحي بأن العالم العربي يتغيّر من الداخل بفضل شبابه الذي يدفعون نحو مجتمع أكثر قدرة على المنافسة والمساءلة والعالمية، فسيكون في مقدوركم أن تروا كيف أن ما يُسمى «صعود البقية» يشمل العالم العربي. وبما أن الكرة الأرضية تزداد ترابطًا في ما بينها عبر شبكات التواصل الاجتماعي الجديدة والتنقل السريع والوسائط الحديثة لتبادل الأفكار، فسيشارك الشباب العرب بذلك وسيستفيدون من هذا النظام العالمي الجديد بوسائل كثيرة وغير متوقعة في بعض الأحيان.

لم يعد ممكنًا مع تنامي مفهوم الهوية العابرة الأوطان تجاهل تأثيرات الغرب في المنطقة العربية، وتأثير الهويتين العربية والإسلامية في المجتمعات الغربية. ففي أي حال، أصبحت المنطقة العربية، كما رأينا، مصدرًا متناميًا للهجرة إلى الغرب. ما هو أهم، أن الطلاب العرب يتدفقون للدراسة في الجامعات الغربية، وكما سيظهر لاحقًا، يمثل ما يتعلمه هؤلاء الشباب هناك ويعودون به إلى بلدانهم جزءًا قيّمًا من عملية فهم المسار المستقبلي لمجتمعاتهم. يتزايد باستمرار عدد العرب الذين يحملون اليوم جنسيتين - والجنسية الثانية هي من الدول الغربية تحديدًا - وتزيد تاليًا روابط المجتمعات العربية في أوروبا والأميركتين بالمنطقة العربية. تمثّل هذه العوامل فرصًا لجهة الروابط الاقتصادية والثقافية، لكنها تمثّل أيضًا تحديات مع الحاجة إلى تطوير التفاهمات المتبادلة، ومع تأثّر صورة الغرب في ذهنية المجتمعات العربية بما يحدث وراء البحار، والسياسات التي يعتمدها الزعماء الغربيون في القيادة.

انتقل، من أصل 350 مليون عربي في العالم، ثلاثة عشر مليونًا للعيش في بلد آخر: 45 في المئة منهم هاجروا إلى بلدان عربية أخرى، بما فيها الخليج العربي، و38 في المئة إلى دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (خصوصًا

الولايات المتحدة وفرنسا)، و18 في المئة إلى باقي أنحاء العالم[1]. وتنتقل نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين وهي في عمر مبكر. تتخطى الهجرة العربية المعدلات العالمية؛ إذ يمثل المهاجرون العرب نسبة 4 في المئة من مجمل السكان العرب، في حين يمثل المهاجرون عمومًا نسبة 3.1 في المئة من سكان العالم[2]. وإذا نظرنا بشكل أشمل إلى المهاجرين العرب وذرياتهم، فسنرى أن عدد العرب في هذه المجتمعات سيصل إلى 37 مليونًا[3].

يوجد في أوروبا الغربية اليوم عدد من السكان العرب لا يستهان به، يرتفع إلى حدود 14 مليونًا، وتضم البرازيل 12 مليونًا، كثيرون منهم من أصل لبناني، في حين تضم الولايات المتحدة ثلاثة ملايين[4]. في الواقع، كثير من المهاجرين الجدد إلى الغرب اليوم من العرب من المرجح أنهم وُلدوا خارج أوروبا. فمثلًا، ينتمي 40 في المئة من مجموع سكان فرنسا من أصل أجنبي إلى الجوالي العربية؛ أما في إسبانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا والدانمارك، فوُلِدَ بين 11 و15 في المئة من سكانها في المنطقة العربية[5].

ما هو التأثير العالمي لوجود شباب عرب متعلّمين، ومطَّلِعين سياسيًا وكوزموبوليتانيين؟ يسلّط هذا الفصل الضوء على العدد الكبير من المهاجرين العرب من العمال وأصحاب المواهب والطلاب، بوصفهم رسلًا للتنقل الدائري، يمثّلون ما يسمى أيضًا «بنك الأدمغة»، ويمثلون التجربة الحيّة للعولمة[6]. أنا أحاج، من منظور إقليمي عربي، في أنه يجب ألا يُعتبر الشباب العرب العابرون الحدود استنزافًا للمجتمع العربي، بل أن ينظر إليهم من خلال قدرتهم على تقديم فائدة واضحة للمنطقة في عالم معولم بشكل متزايد. وأحاج

---

(1) Louise Cainkar, «Global Arab World Migrations and Diasporas,» *Arab Studies Journal*, vol. 21, no. 1 (Spring 2013).

(2) المصدر نفسه، ص 133.

(3) المصدر نفسه، ص 151.

(4) المصدر نفسه، ص 140.

(5) المصدر نفسه، ص 140.

(6) Ajay Agrawal [et al.], «Brain Drain or Brain Bank? The Impact of Skilled Emigration on Poor-Country Innovation,» *Journal of Urban Economics*, vol. 69, no. 1 (January 2011), pp. 43–55.

في أن الشباب العرب الذي يستفيد من التنقّل الدائري، سيحوّل إلى المنطقة العربية ليس المال فحسب، بل أيضًا الأفكار والقيم المهمة التي ستعيد صوغ المنطقة العربية، من أجل تحسين المنطقة بشكل شامل.

أولًا: من الهجرة إلى الهوية العابرة الأوطان

يعود تاريخ التفاعل العربي مع العالم، من خلال الباعة والتجار على وجه الخصوص، إلى بدايات ظاهرة توثيق التجارة العالمية. فكانت طريق الحرير، مثلًا، من الطرق التجارية الكثيرة التي استخدمها التجار العرب لبيع توابلهم وبضائعهم. ودُهشتُ، بعدما زُرتُ المحطة الشرقية النهائية لطريق الحرير في زيان (Xi'an)، الصين، من رؤية التأثيرات العربية في المأكولات المحلية والثقافة الخاصة بالأقلية المسلمة؛ من الضأن المتبّل إلى ملابس الأقلية المسلمة وأزيائها. وتركت الهجرة العربية في التاريخ الحديث إلى مدن مثل بوينس آيرس ومونتريال وأبيدجان ونيويورك وباريس، أثرها وبصمتها في الأحياء المحلية. وسجلت الروايات الأدبية والسرد الواقعي التاريخ الغني للجوالي العربية وذكرياتها عن الوطن وتحديات الاستقرار والاندماج والهويات المستمرة في التطور.

كان واقع الاستقرار في الغرب، حتى وقت قريب، رحلة باتجاه واحد بالنسبة إلى موجات المهاجرين العرب: كانت العودة إلى الوطن أو زيارة الأصدقاء والعائلة في «الوطن القديم» مكلفة جدًا وتستهلك وقتًا، ما منع رحلات العودة. مع ذلك، كانت حركة الانتقال من الوطن قوية، بفعل توافر الفرص الاقتصادية في البلدان الغربية[7]. وللتأكيد، كان الشباب العرب الذين سافروا من شمال أفريقيا إلى أوروبا، ومن الشرق إلى الأميركتين، وهلم جرًا، يبحثون عن الوظائف في الاقتصادات المتقدمة. وتميّزت رحلات العودة بالندرة، وكانت غالبًا لأسباب خاصة، أو حزينة.

(7) انظر: Tim Cresswell, «Towards a Politics of Mobility,» *Environ Plan D*, vol. 28, no. 1 (February 2010), p. 18.

كانت هجرة والدي إلى كندا في ستينيات القرن الماضي ذات اتجاه واحد، على الرغم من تفكيره بالعودة إلى الوطن بعد مدة من الزمن. وصل والدي فايز، وهو شاب في أوائل العشرينيات، إلى كندا بداية، في غمرة شتاء قارس. وتعهّد بالعودة إلى الوطن في أقرب فرصة، ليكتشف أن الرحلة الجوية المقبلة ستقوم في الفصل التالي. لكنه غيّر رأيه مع مجيء الربيع، بعدما تأقلم جسدًا وروحًا في الوطن الجديد. كانت زياراته القصيرة إلى الوطن نادرة: مرة للزواج من أمي، وأخرى لزيارة مريض من عائلته. وكانت علاقته «بالوطن الأم» ضعيفة، خلال الأعوام الثلاثين الأولى من إقامته في كندا. كان والدي يوفّر أجرة أسبوعين من العمل ليتصل هاتفيًا بالوطن، بعد تنسيق مسبق مع والديه وأشقائه ليحضروا إلى محطة البريد المحلية، لتلقي الاتصال. ولم يُجرِ والدي، بوصفه مهاجرًا جديدًا في كندا، اتصالات هاتفية بأهله إلا نادرًا، ولأن الرسائل بواسطة البريد كانت تستغرق شهورًا من الوقت (مع عدم وجود ضمانة لتسليمها)، كان اتصاله اليومي بالعائلة والأصدقاء الذين غادرهم قليلًا. احتاج إلى الاندماج في نسيج كندا الاجتماعي، مثل كثيرين من أبناء جيله الذين هاجروا من المنطقة العربية إلى الغرب، وخسر في نهاية المطاف أي اتصال بوطنه. كل ما احتفظ به من حياته السابقة كان ذكرى قرية متجمدة في داخل الوقت، حوالى عام 1960.

سيكون من الخطأ تعميم تجربة المهاجرين العرب الأوائل إلى الغرب في القرن الماضي، لكن من الإنصاف القول إنهم كانوا ناجحين نسبيًا، واندمجوا بشكل جيّد في أوطانهم الجديدة؛ إذ تمكن العرب الذين هاجروا إلى الأميركتين من تحقيق دخل يفوق المتوسّط، وبسبب الأوضاع والحظ على حد سواء، لم يواجهوا العنصرية التي واجهتها مجموعات أخرى مثل الآسيويين والأفارقة[8]. وكان كثير من المهاجرين الأوائل إلى الغرب من المسيحيين اللبنانيين، الذين ساعدهم لونهم وخلفيتهم الدينية في الحصول على استقبال أكثر دفئًا في مجتمع آخر أبيض ومسيحي بشكل أساس. أكثر من ذلك، كان المهاجرون العرب إلى

(8) Louise Cainkar, «The Social Construction of Difference and the Arab American Experience,» *Journal of American Ethnic History*, vol. 25, nos. 2-3 (Winter-Spring 2006), pp. 243-278.

كندا والولايات المتحدة أكثر تعليمًا نسبيًا من مجمل السكان المحليين. فمثلًا، كان 41 في المئة من المهاجرين العرب إلى الولايات المتحدة و30 في المئة من المهاجرين إلى كندا، يحملون شهادة جامعية، مقارنةً بـ 24 في المئة من الأميركيين و30 في المئة من الكنديين غير العرب(9).

ما عاد العرب الأميركيون يعيشون الأوضاع نفسها، بعد ثمانينيات القرن الماضي، كما المهاجرين السابقين؛ إذ يتعرض العرب الأميركيون اليوم للتمييز العنصري أكثر من الأوقات السابقة، مع تزايد المشاعر المناهضة للعرب بعد أزمات النفط في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، وبعد هجوم 11 أيلول/ سبتمبر 2001، والتدخّل الأميركي في العراق قبل 11 أيلول/ سبتمبر وبعده، إضافة إلى ارتفاع نسبة المهاجرين العرب المسلمين وهم تاليًا أكثر تميّزًا من خلال زيّهم الإسلامي. وعلى سبيل المثال، يأتي معظم العرب المهاجرين إلى أوروبا من شمال أفريقيا، وهم مسلمون بأكثريتهم، ذات بشرة داكنة أكثر من اللبنانيين والعرب المشرقيين. وواجه هؤلاء المهاجرون إلى أوروبا أشكالًا مكثفة وعلنية من العنصرية، وهم لا يحققون المستوى عينه من النجاح، كما يفعل الآخرون في الأميركتين.

تخلى العرب الذين يعيشون في الغربة، إبان معظم القرن العشرين، عن جوانب من هوياتهم العرقية للاندماج في مجتمعاتهم الجديدة. فتعدّلت الأسماء العربية في أميركا الشمالية لتلائم المجتمعات هناك. ودهشتُ خلال زيارتي إلى المتحف العربي - الأميركي في دربورن، ميشيغان، من مجسّمات الشخصيات العربية الأميركية المعروضة هناك، ومع ذلك كان يمكن تمييز القليل منهم كأصحاب أصول عربية خالصة ونقية، لأن كثيرًا منهم بدّل اسمه وجعله إنكليزيًا. فتحوّلت أسماء مثل خوري إلى كوري، وزايد إلى زد؛ فضعف

---

(9) انظر: Cainkar, «Global Arab», Original Sources: Angela Brittingham and G. Patricia de la Cruz, *We the People of Arab Ancestry in the United States*, Census 2000, Special Reports; CENSR-21 (Washington, DC: U.S. Census Bureau, 2005), and Colin Lindsay, *The Arab Community in Canada, 2001*, Profiles of Ethnic Communities in Canada, Analytical Paper; no. 9 (Ottawa: Statistics Canada, 2007), Available at: <http://www.statcan.gc.ca/pub/89-621-x/89-621-x2007009-eng.pdf>.

وعي معظم العرب الذين يعيشون في الغربة لهويتهم العرقية، بسبب ضعف إمكان العثور على ما يذكرهم بشكل منتظم «بالوطن الأم»، أو صعوبة الوصول إليه. ولم تقدم الحياة اليومية للمهاجرين العرب في الغرب، ما عدا في مناسبات وأعياد قليلة، إلا القليل من الفرص ليعيشوا تراثهم العرقي، على الرغم من أن مطبخهم حافظ على نكهته العربية.

لا ينطبق اليوم هذا الأنموذج من الهجرة ذات الاتجاه الواحد بدقة على ما كان عليه مع جيل والدي. فنحن نعيش اليوم في عالم يتميّز «بالهوية العابرة للأوطان»، حيث يرتبط الناس ويتواصلون في العالم الواقعي والافتراضي بوسائل تلغي الحدود وتعزز الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية[10]. فمن المفيد أن نعتبر عالمنا اليوم شبكة من العقد والمحاور المترابط بعضها ببعض[11]. وهذا يعني أن حركة انتقال الناس هذه، في أيامنا الحالية، فائدة مضافة للغرب وللعالم العربي معًا. والشباب العرب هم ناقلون ومستفيدون من الغرب وعبره. ويوجد اليوم عدد أكبر من الشباب العرب، بوصفهم نواقل للتنقل الدائري، يدرسون ويعملون في الغرب ويعززون روابطهم الاقتصادية والثقافية والسياسية بالمنطقة العربية، بغض النظر عن مكان إقامتهم.

تساعد اليوم تكنولوجيا نقل المعلومات وسهولة الانتقال والحركة، العرب في الحفاظ على الروابط العاطفية والمالية والثقافية بالوطن الأم. فتشعر ابنة عمي مها مثلًا، التي هاجرت حديثًا إلى تورونتو في كندا، بأنها في وطنها، وكأنها تعيش في أي مدينة عربية. فبإمكانها استخدام قنوات البث الفضائي لمشاهدة مسلسلاتها المفضلة وبرامج الطبخ والأخبار. وبإمكانها الشراء من محل للبقالة الشرق أوسطية قرب المنزل، الذي يقدم جميع البضائع التي تشتريها عادةً في منطقة الشرق الأوسط. وعندما تشتاق للتحدث إلى أشقائها، تطلبهم عبر الفايبر

---

(10) Steven Vertovec, «Conceiving and Researching Transnationalism,» *Ethnic and Racial Studies*, vol. 22, no. 2 (1999).

(11) Manuel Castells and Gustavo Cardoso, eds., *The Network Society: From Knowledge to Policy* (Washington, DC: Center for Transatlantic Relations, Paul H. Nitze School of Advanced International Studies, Johns Hopkins University, 2006).

أو التانغو، في مقابل تكلفة زهيدة، أو تطّلع على أخبار إخوتها وأبناء إخوتها من خلال الفيسبوك. وهكذا تحافظ على الروابط الثقافية والاجتماعية في المنطقة بشكل منتظم. كما تخطط لزيارة المنطقة بانتظام أيضًا. وتفكّر الآن في الاستثمار في أعمال إخوتها، وترسل المال بانتظام إلى والديها. فهي تبحث، بوصفها شابة محترفة تتكلّم العربية والإنكليزية بطلاقة، عن فرص عمل في العالم، خصوصًا في منطقة الخليج المزدهرة.

تهتم مها كثيرًا بالتطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المنطقة العربية، وهي تتابع أخبار وطنها الأم وتشارك فيها وتحللها بشغف يساوي ما تفعله حيال وطنها الجديد. لا يمكن مقارنة تفاعلها القوي وعلاقاتها بالوطن الأم في عام 2015، بالعزلة والوحدة والعزم على عدم العودة التي شعر بها والدي تجاه وطنه الأم في ستينيات القرن الماضي. وفي حين هاجر والدي إلى كندا، وجدت ابنة عمي - وهي مواطنة عربية عبر وطنية - «موطنًا» في الشرق الأوسط كما في كندا.

تشبه ابنة عمي كثيرين من الشباب العرب المهاجرين، أو الذين يدرسون في الغرب، ويحتفظون في الوقت نفسه بعلاقات قوية بالمنطقة. في عام 2013، وفي دراسة إحصائية وزعت على الشباب العرب - الكنديين في خلال ندوة عن التطوّر المهني، سألت حوالى مئة من المشاركين عن علاقتهم بالمنطقة العربية ووتيرة اتصالهم بها، وإذا شاركوا في الربيع العربي[12]. وجاءت إجاباتهم لتؤكد ما توقعه علماء الهوية العابرة الأوطان: يرتبط الشباب العرب ويهتمون ويتشاركون الأخبار السياسية والاجتماعية والثقافية لوطنهم الأم. ويرتبط الشباب العرب في كندا بوطنهم الأم، ويتصلون مثلًا مرة أسبوعيًا في

(12) أكمل اثنان وتسعون من المشاركين الدراسة الإحصائية، وانقسموا بشكل متساوٍ بين الجنسين. وكان متوسط أعمارهم حوالى أربعة وعشرين عامًا. وقُدِّمَ التحليل عبر استخدام الإحصاءات الوصفية والوسائل التجريبية وتحليل التباين ووسائل الانحدار الخطي. وحصلت الأهمية الإحصائية خارج 90 في المئة من فاصل الثقة، وحصلت الأهمية الموضوعية عندما كان تأثير العلاقة الإحصائية كبيرًا بما يكفي ليؤثر في التباين في السؤال؛ وأُخِذت قيم الـ R التربيعية المعدلة للنماذج، حيث كان بالإمكان تطبيقها.

الأقل بهذا الوطن. وكان الفيسبوك، وهذا غير مستغرب ربما، الوسيلة الأكثر شعبية التي يستخدمونها، ويتبعها الهواتف والرسائل النصيّة والسكايب.

يستهلك الشباب العرب بانتظام منتوجات ثقافية وإعلامية من المنطقة، إضافة إلى التحدث والتواصل مع الأصدقاء وأفراد العائلة في الوطن الأم. فيسمعون ويطالعون ويفكرون في أخبار منطقة الشرق الأوسط التي تُبث من المنطقة باهتمام كبير، حتى أكثر من استماعهم إلى الأخبار الكندية المحلية. ويتابع الشباب العرب مرة في الأسبوع البرامج العربية والفيديوات الموسيقية والأفلام على قنوات الأقمار الصناعية. وقد يكون بإمكانهم تشجيع نجمهم المفضّل في منافسات برنامج «محبوب العرب» (Arab Idol)، أو حتى متابعة برنامج «يلا نيويورك»، وهو برنامج لتلفزيون الواقع، يروي الحياة اليومية لشباب عرب يحاولون النجاح في نيويورك. والأكثر أهمية من ذلك كله، أن الشباب العرب منخرطون سياسيًا، وحتى إنهم ناشطون في ما يتعلق بقضايا تخص الشرق الأوسط. وأعلن كثير من الشباب العرب الذين يعيشون في الخارج أنهم شاركوا في ثورات الربيع العربي التي شهدتها المنطقة. وساهم حوالى 85 في المئة من المشاركين في الدراسة الاستطلاعية المذكورة سابقًا، بشكل أو بآخر، في الربيع العربي، من خلال توقيع اعتراضات على الإنترنت وتحميل فيديوات ومشاهد على الإنترنت والتغريد على تويتر والتدوين والمشاركة في الحركات المعارضة للحكومات العربية.

ما يفاجئ أن عددًا كبيرًا من الشباب العرب – 72 في المئة – سافر بهدف المشاركة في التظاهرات والاعتراضات إبان الربيع العربي. أكثر من ذلك، وانطلاقًا من أن معظم الشباب العرب أعلن أنه يسافر إلى المنطقة العربية بمعدل مرة كل سنتين، قام بعض الذين شاركوا في الاحتجاجات والتظاهرات دعمًا للربيع العربي، بذلك في المنطقة العربية. بالنسبة إلى الشباب العرب، تعد الروابط قوية بين حياتهم في الغرب والتجارب السياسية والثقافية في بلدانهم. وبالنسبة إلى معظم البلدان الغربية التي انفتحت في سياساتها على الهجرة، لا يهتم شبابها من الأصول العربية بمنطقتهم فحسب، بل يمكنهم المحاولة بنشاط أن يغيروها ويشاركوا فيها من الخارج.

ثانيًا: الطلاب العرب والأجانب في الغرب

سافر بحسب معهد التعليم الدولي حوالى 52648 طالبًا عربيًا إلى الخارج في السنة الدراسية 2011/ 2012، بينما سافر حوالى 65875 طالبًا في سنة 2012/ 2013[13]. وقد يوجد أكثر من ربع مليون طالب عربي في الخارج، في كل عام، يكملون تعليمهم في برامج تتطلّب سنوات عدة. وكي أعطيكم فكرة عن التأثير المحتمل لهذه الأعداد، يفوق عدد الطلاب العرب الذين يدرسون في الجامعات الغربية، تبعًا لنسبتهم من عدد سكان أوطانهم، عدد الطلاب الصينيين أو الهنود. يبلغ عدد سكان المنطقة العربية 350 مليونًا؛ ويمثل الشباب منهم 60 في المئة تقريبًا، أو 210 ملايين، بينما يفوق عدد السكان في الهند والصين المليار؛ فنسبة لعدد السكان، يوجد طلاب عرب في الجامعات الغربية أكثر بكثير من معظم العينات المعروفة عن الطلاب الصينيين والهنود[14].

في عام 2012، على سبيل المثال، أرسلت البلدان العربية للدراسة في الغرب طلابًا أكثر بنسبة 75 في المئة لكل مليون نسمة ممن أرسلتهم الصين، وأكثر بنسبة 478 في المئة ممن أرسلتهم الهند. تفيد بيانات اليونسكو في عام 2012 بأن عدد الطلاب الصينيين في الخارج بلغ 694365 طالبًا (ما يعادل نحو 514 طالبًا لكل مليون نسمة)، وعدد الهنود 189472 طالبًا (ما يعادل نحو 156 طالبًا لكل مليون نسمة)، وعدد العرب 321418 طالبًا (ما يعادل 901 طالبًا لكل مليون نسمة)[15]. من السهل أن تُستبعد المقارنة بالمجتمعات

---

(13) «Open Doors Data: International Students, All Places of Origin,» (Institute of International Education, 2014), Available at: <http://www.iie.org/Research-and-Publications/Open-Doors/Data/International-Students/All-Places-of-Origin>, and Caroline R. Nagel and Lynn A. Staeheli, «Citizenship, Identity and Transnational Migration: Arab Immigrants to the United States,» *Space and Polity*, vol. 8, no. 1 (2004), pp. 3-23.

(14) Antoine B. Zahlan, «Higher Education, R&D, Economic Development, Regional and Global Interface,» Paper Presented at: The 2nd Regional Research Seminar for Arab States on «The Impact of Globalization on Higher Education and Research in the Arab States,» (UNESCO Forum on Higher Education, Research and Knowledge, Rabat, 25-26 May 2007), Available at: <http://unesdoc.unesco.org/images/0015/001577/157791e.pdf>.

(15) United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization (UNESCO), Institute for Statistics, «International Student Mobility in Tertiary Education, 2014,» Available at: <http://data.uis.unesco.org/Index.aspx?queryid=170>.

الكبيرة، في معرض المقارنة بالصين أو الهند، لكن تدل هذه الأرقام إلى مدى الاهتمام العربي في ما يتعلق بهذا الموضوع، خصوصًا أن 320000 طالب عربي من أصل 350 مليون نسمة (عدد السكان العرب) يدرسون في الخارج، أي ما يعادل نصف عدد الطلاب الصينيين جميعهم في الخارج.

تزداد نسبة الطلاب العرب في الخارج أكثر من أي وقت مضى، حيث يستقرون هناك لتطوير مستوى تحصيلهم. وتعتبر الولايات المتحدة وجهتهم الأساس، تليها المملكة المتحدة، وكندا والبر الأوروبي وأستراليا. أما البلد العربي الذي يرسل العدد الأكبر من الطلاب فهو المملكة العربية السعودية، تليها الكويت والإمارات العربية المتحدة ومصر؛ إذ أرسلت السعودية، في عام 2012 وحده، حوالى 45000 طالب، ولديها الآن حوالى 160000 طالب في جميع أنحاء العالم، منهم 90000 في الولايات المتحدة. ويتابع كثير منهم دراسة الطب أو إدارة الأعمال، ويشكّل الذكور الأكثرية منهم (حوالى 75 في المئة في عام 2011). وتزداد حصة النساء السعوديات في هذا البرنامج كثيرًا؛ إذ يتوقع الرسميون أن تتساوى حصتهن من برنامج الملك عبد الله للمنح الدراسية بحصة الرجال في الأعوام المقبلة.

قدم بعض الحكومات العربية الخليجية، منذ أوائل القرن الحالي، منحًا دراسية كاملة في الجامعات الغربية. ويُعتبر الأكثر نجاحًا هو برنامج الملك عبد الله للمنح الدراسية الذي يقدم دعمًا تنافسيًا منذ عام 2005، ومن المتوقع أن يستمر حتى عام 2020 في أقل تقدير. ويرعى كثير من دول الخليج الطلاب للعيش والدراسة في الخارج، بعد اقتناعه بأن الدول المعتمدة في اقتصادها على النفط تحتاج إلى تنويع طاقاتها وبناء مهاراتها وقدراتها للمنافسة في الأسواق العالمية، لذا تغطي معظم النفقات التي يحتاجها طلابها مع أسرهم الصغيرة في معيشتهم.

تحدثت إلى موظّف طلب عدم ذكر اسمه، عن الحكومات في دول الخليج التي تساعد في إرسال الطلاب إلى الجامعات الغربية، وكنت فضولية لمعرفة رأيه في القيم التي يحملها معهم الطلاب الخليجيون إلى بلدانهم، بعد الدراسة في الغرب. وكان جوابه: «يتعرفون إلى المساواة وعدم التمييز، وبأن للجميع الحقوق والامتيازات نفسها؛ ولن يتعلموا هذه الأشياء لو عاشوا في

المجتمعات الخليجية الغنية التي تعتمد المحاباة»، لذا يكمن الأثر الثقافي والاجتماعي الحاسم لأولئك الطلاب العائدين في تأثيرهم في القيم السائدة في أوطانهم الأم، هذا التأثير الإيجابي بشكل عام، بحسب اعتقادي.

عندما يعودون إلى بلادهم، يحمل هؤلاء الطلاب العرب معهم - وهم بمئات الآلاف - أكثر من شهاداتهم الجامعية؛ القيم والأفكار التي تبنّوها حديثًا، والتي يسميها علماء الاجتماع «التحويلات الاجتماعية» (social remittances). حددت بيغي ليفيت انتشار العادات الثقافية والأفكار عبر المهاجرين في أوطانهم الأم. وتدور هذه التحويلات الاجتماعية، كما أطلقت عليها ليفيت، لتؤثر ليس في الأوطان الأم فحسب، بل في الأوطان المتبنّية أيضًا. ويرسل المغتربون إلى الوطن الأم ما يتجاوز المال: القيم والأفكار، أكان ذلك من خلال زيارة الوطن الأم، أم من خلال التواصل مع العائلة والأصدقاء في الوطن الأم[16].

رأيت كيف تُطبّق هذه التحويلات الاجتماعية على المهاجرين والطلاب الذين يدرسون في الخارج. أكثر من ذلك، يملك المهاجرون والطلاب الأجانب المزيد من وسائل التأثير الخارجية في القيم والأفكار في المجتمعات داخل الوطن الأم، مع ارتفاع أهمية وسائل التواصل الاجتماعي. وفي أي حال، أيًا كانت الطريقة التي يتواصلون من خلالها مع الناس ومع ما يحدث في أوطانهم الأم، يحمل الطلاب العرب والمهاجرون والعمال معهم، عند عودتهم إلى أوطانهم، القيم والأفكار الغربية والمفاهيم الثقافية السياسية الليبرالية. كان واضحًا، في خلال زياراتي المتكررة إلى المنطقة العربية، أثر مفهوم الهوية العابرة الأوطان في التحويلات الاجتماعية التي يحملها المهاجرون معهم إلى الوطن، كما جحافل الطلاب الذين درسوا في الغرب.

كانت لدي فرصة اللقاء والتكلّم مع عدد من الطلاب العرب الذين يدرسون في كندا والولايات المتحدة، الأمر الذي كشف لي نظرتهم إلى مجتمعاتهم، بعد أن عاشوا في الغرب والشرق معًا. التقيت أحمد، وهو طالب قطري سابق في أواخر العشرينيات من عمره، درس العلاقات الدولية في الولايات المتحدة،

(16) Peggy Levitt and Deepak Lamba-Nieves, «Social Remittances Revisited,» *Journal of Ethnic and Migration Studies*, vol. 37, no. 1 (2011), pp. 1-22.

وسألته عن تجربته الدراسية هناك. قال لي أحمد: «تعلمت الانفتاح على آراء الآخرين. وأصبحت مستقلًا أكثر، وتعلمت كيف أقوم بالأشياء بنفسي. وتعرّفت إلى الكثير من الثقافات، بعدما عشت مع طلاب صينيين، وهنود، وعرب. ما كان في استطاعتي التواصل مع جماعات ثقافية أخرى، والاطلاع على مجتمعاتها، لو بقيت في قطر. فنحن انطوائيون في قطر، ونتواصل ضمن طبقتنا الاجتماعية - الاقتصادية، وغالبًا ما ننظر بازدراء إلى المغتربين أو العمال الأجانب الذين يعيشون هناك. لقد التقيت أخيرًا ثقافات أخرى وتعرفت إليها، ورأيت كم نحن متشابهون. أرى الآن كيف يجب أن نغيّر الأشياء ونحسنها في قطر».

أردت أن أعرف، بصفتي أستاذة أيضًا للعلاقات الدولية، أفضل شيء حصل عليه أحمد من دراسته لهذا الاختصاص في الولايات المتحدة الأميركية، فقال: «لاحظت الفرق أخيرًا بين السياسة التي تمارسها الحكومات، وقيم الناس العاديين ومشاعرهم. فنحن نفترض في العالم العربي أن سياسات الحكومة هي انعكاس لشعبها، لكنني تعلمت بأن هذا الافتراض خاطئ، أو في الأقل قصير النظر من جهتي».

التقيت أيضًا مجموعة من الطلاب السوريين الذين غادروا سورية في بداية الصراع لمتابعة دراستهم في كندا. فبدأت الحديث بسؤالي إذا كانوا قد تعرضوا لصدمة ثقافية عند مجيئهم إلى كندا. فهزّوا رؤوسهم بالنفي، مؤكدين أنهم لم يواجهوا صعوبة في الانتقال إلى الحياة الغربية. واكتشفت، من خلال تنظيمي عددًا من حلقات المناقشة المركزة مع طلاب سعوديين في كندا، أن معظمهم تأقلم مع الحياة في مجتمعاته الجديدة، كما الطلاب السوريين الذين قابلتهم. فقال عمر، وهو طالب هندسة، ويبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا: «عرفت الكثير عن مدينة واترلو، قبل مغادرتي المملكة العربية السعودية. فشاهدت فيديوات على اليوتيوب عن طلاب وسكان في واترلو، لذلك كوّنت فكرة عما يحصل هنا. حتى إني استخدمت برنامج خرائط غوغل، لأتمكن من التنقل والتعرّف إلى الأماكن عندما أصل إلى المدينة».

وأضاف فهد، وهو طالب يدرس إدارة الأعمال ويبلغ من العمر تسعة عشر عامًا: «صحيح أننا لا نواجه أي مشكلات في العيش في الغرب، لكن الأصعب

بالنسبة إلي كان أنه علي أن أشتغل مع طالبات أو أتعاطى معهن في الصف نفسه. ففي السعودية كنا مفصولين بعضنا عن بعض، وكان عليّ أول مرة أن أعمل على مشروعات في مجموعات تضم طالبات».

للتأكيد، اعتبر كثير من الطلاب السعوديين الذكور أن الانتقال إلى الحياة في الغرب لم يكن صادمًا أو صعبًا كما توقعوا، على الرغم من حاجتهم إلى التأقلم مع القليل من الجوانب الأكثر تحديًا في الخارج، كما أظهرت تجربة فهد. بينما يبدو أنهم تعلموا الكثير من القيم والأفكار التي يريدون حملها معهم إلى وطنهم الأم.

سألت مجموعتي الطلاب، السورية والسعودية، عن السلوك والأفكار التي يودّون نقلها من الغرب إلى بلادهم، فأجاب كثيرون أن التعدّد الثقافي هو الدرس أو الفكرة الأهم التي على الغرب تقديمها إلى المنطقة العربية. وقال داود، وهو طالب هندسة في الخامسة والعشرين من العمر: «أشتاق إلى وطني بعد إقامتي في الغرب من دون عائلتي. أتمنى لو أنهم يستطيعون الانضمام إليّ خلال دراستي. زاروني في كندا، وفرحت بهم كثيرًا. أفكر الآن في العمال الباكستانيين في المملكة العربية السعودية الذين لا يُسمح لهم بانضمام عائلاتهم إليهم، وأرى ذلك ظلمًا. يجب أن نغيّر القوانين السعودية لنسمح للعمال الأجانب بإحضار عائلاتهم معهم».

إلى ذلك، أضاف عمر: «شاهدت في خلال زيارتي الأخيرة إلى المملكة العربية السعودية شرطيًا يميّز ويتعامل بوقاحة مع عامل باكستاني يدخل إلى البلد. بقيت صامتًا في تلك اللحظة، ولم أفكر في الأمر، لأنه من الطبيعي معاملة الأقليات التي تعمل في المملكة بازدراء. ثم أتيت إلى كندا، وراودني الشعور نفسه حين نظرت إلي شرطية الحدود، بلحيتي ولباسي السعودي، ولاحظت أنها تنظر إليّ باستعلاء، كما ننظر نحن السعوديون إلى العمال الباكستانيين. لم يكن سلوك هذه الشرطية مرحبًا بي، وكانت غير لطيفة في لهجتها وأسئلتها. أعرف الآن كيف يشعر العامل الباكستاني الذي يحاول الحصول على حياة أفضل. لن أسمح لهذا الأمر أن يحصل مرة أخرى. المرة المقبلة عندما أكون فيها في السعودية، وأرى هذا التمييز، سأتصدى لمصلحة هؤلاء العمال».

تحدّث كثير من الطلاب السعوديين الذين قابلتهم عن احترام المجتمعات الغربية للأقليات، واعتبر ذلك ممارسة إيجابية سيطبقونها عند عودتهم إلى الوطن. وكان الطلاب السوريون متحمسين في شأن قيمة التعدد الثقافي، ومفهوم المساواة أمام القانون. أشارت زينة، وهي طالبة هندسة في العشرين من عمرها، أرسلتها عائلتها للدراسة في كندا بمفردها، إلى تقديرها حقيقة عدم اهتمام الناس هنا بغنى الآخر أو فقره، أو بانتمائه إلى أقلية، أو من أي عائلة تحدر. ومن الأشياء التي تأثّر بها الطلاب السعوديون والسوريون، هو هذا الاحترام المتجدد للبيئة وتنفيذ القانون والمراكز المجتمعية والاستثمار في الأماكن العامة والنقل المشترك.

تحدث هؤلاء الطلاب أيضًا عن غياب احترام البيئة في العالم العربي، وارتفعت نبرة خطابهم بشكل خاص عندما تناولوا الشأن البيئي في المنطقة العربية واحترامه المفقود إلى حد بعيد في حين أنه شديد الإلحاح. وكما قال عبد الله، طالب علوم في التاسعة عشرة من عمره: «يجب أن نتغيّر في المملكة العربية السعودية، ونعلّم أولادنا من الصغر كيف نبقي وطننا جميلًا؛ لا أن نرمي القمامة في الشارع، وننتظر عامل النظافة أن يزيلها. الأشياء في الغرب مرتبة ومنظّمة ونظيفة. وبإمكاننا القيام بالشيء نفسه في المملكة العربية السعودية، إذا ركّزنا على المحافظة على وطننا نظيفًا».

أضاف هاشم، وهو طالب هندسة في الحادية والعشرين من العمر، أن عائلته عندما جاءت به إلى كندا كي يكمل تعليمه، كان أول عمل غير مألوف قاموا به هو استخدامهم حاويات القمامة في المطار. وسألت هذه المجموعات عن الشيء المختلف الذي سيقومون به عندما يعودون إلى أوطانهم، فأجابت زينة: «عندما أعود إلى سورية، لن أرمي القمامة في الشارع بعد الآن؛ هذا ما أريد القيام به فحسب. فالأمر بات عرفًا لدي». وهزّ الطلاب السوريون الآخرون في المجموعة رؤوسهم موافقين على ذلك. وعبّر الطلاب السعوديون عن آراء مماثلة، فبحسب فهد مثلًا: «أفضّل فصل القمامة إلى مواد قابلة للتدوير ومواد قابلة للتحلل الحيوي. هذا شيء رائع. وعندما أتزوّج سأعلم أولادي كيف يقومون بإعادة التدوير. أريد أن يعمل أولادي للمحافظة على بلد نظيف، حتى لو كانت عملية إعادة التدوير في المنزل مكلفة».

تحدث كثير من الطلاب بإعجاب عن وسائل النقل العام. فقال عمر: «ما زلت لا أستطيع أن أصدق أن حافلة مليئة بالركاب ستتوقف لتقلّني. أشعر بالحرج من إمكان توقف حافلة كاملة لشخص واحد. يستخدم الناس في المملكة العربية السعودية سياراتهم للتنقل، غير أن الحافلات العامة لا تؤدي إلى بيئة نظيفة فحسب، بل تبني مجتمعًا. أنظر حولي في الحافلة، وأرى بأننا كلنا من أعراق وأديان مختلفة. وأشعر فيها بأننا كلنا عائلة واحدة، ونعمل معًا».

بدا أفراد هذه المجموعات من الطلاب العرب اليافعين الذين يدرسون في الغرب، والذين تحدثت إليهم، متحمسين أيضًا لقيمة القوانين في الغرب، وينظرون إلى معنى أن يكون الجميع متساوين أمام القانون على أنه سمة ملازمة لوجود مجتمع حديث، في حين أن مخالفة ركن سيارة في غير المكان المحدد في سورية أو في المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال، يمكن إلغاؤها بمساعدة شبكة من العلاقات العائلية أو الروابط القبلية.

ذكر عمر مثالًا عن العجائب التي تحققها عملية تنفيذ القانون: «حُرر في حقي محضر مخالفة ركن سيارة منذ بضعة أيام، وفكّرت كم أن الأمر جيد. شعرت بأنّ هذا ما نحتاج إليه في المملكة العربية السعودية: تنفيذ القانون... لن أوقف السيارة في مكان غير مسموح به بعد الآن».

تحدث ملحم، في مجموعة المناقشة المركزة الخاصة به، عن احترام الغربيين الكبير للمشاة: «أحب واقع أن المشاة لهم الأولوية. لا أحصل على الأفضليّة كأحد المشاة في دمشق، وقد أتعرّض للصدم. أعتقد أيضًا أنه لأمر رائع أن لا أسمع هنا في المدينة ضجيجًا أو أصوات أبواق السيارات. يستخدم الناس في دمشق أبواق السيارات بلا سبب، ويقودون بشكل أهوج. أحب انتظام الأشياء هنا أكثر، وهذا ينبع من احترامنا للآخرين. فأقول هنا، على سبيل المثال، «شكرًا»، «وآسف»، أكثر مما قلتها في أيّ وقت مضى في منطقة الشرق الأوسط».

أراد معظم الطلاب العرب الذين تحدثت إليهم العودة إلى وطنه. فمن الواضح، بعد الاستماع إليهم، بأنهم سيحدثون تأثيرًا مهمًّا في مجتمعاتهم، بأساليب بسيطة، وقد تبدو بلا معنى في بعض الأحيان. في الواقع، وبالنظر

إلى التصعيد الحالي للنزاعات والعنف الطائفي بين المجتمعات الدينية والإثنية المختلفة في العالم العربي، يشكل وجود شباب عرب متعلمين، يدعمون التعدد الثقافي بعد عودتهم إلى بلدانهم - خصوصًا تجليه في التنوع والمساواة والتسامح - مساهمة قيّمة تؤمل استدامتها لمصلحة المنطقة العربية.

في أثناء حديثي إلى نساء سعوديات يدرسن في الخارج، لاحظت شعورًا كبيرًا بالفخر لديهن عند الإفصاح عن رغبتهن في العودة إلى الوطن، لاستخدام مهاراتهن التعليمية. تحدثن بإيجابية عن الكثير من القيم الاجتماعية والسياسية التي حصلن عليها في الغرب، لكنهن كنّ أيضًا مدركات للتحديات التي تنتظرهنّ بعد العودة. قابلت طالبة اسمها أمل، تدرس الطب النسائي في كندا، وسألتها إن كانت تريد العودة إلى الوطن. كانت صريحة ومباشرة: «استثمرت حكومتي الكثير من المال لتعليمي في كندا، وحصلت على أفضل تعليم، لكن قد يذهب كل شيء سُدى؛ إذ عندما سأعود إلى المملكة العربية السعودية، لن يكون لديّ المال الكافي لتوظيف سائق، وإذا لم يكن عندي سائق، لن أكون موجودة في الوقت الملائم للإشراف على الولادات! إن عدم قدرتي على قيادة السيارة تعني أنني طبيبة نسائية غير فاعلة! كنت أفضل البقاء في كندا، لكني ملتزمة بالعودة إلى المملكة العربية السعودية».

تحدثت صحيفة سعودية حكومية تصدر باللغة الإنكليزية، اسمها *The Saudi Gazette*، عن شابتين سعوديتين (رشا وسارة) كانتا قد عادتا إلى المملكة بعد أن درستا في الغرب، أنجزتا دراستهما في إنكلترا، وتحسرتا على سهولة الحركة والاستقلالية اللتين تمتعتا بهما في المملكة المتحدة. وقالت رشا التي درست الإعلام في جامعة ليستر: «تواجه المرأة مثلًا صعوبة كبيرة في دفع الفواتير، إلا إذا كانت برفقة حارس ذكر. رفضت منذ بضعة أيام شركة موبايلي (وهي شركة سعودية للاتصالات الخلوية) أن أقوم بدفع اشتراك الإنترنت بنفسي، إلا إذا حضر معي ولي أمر ذكر»[17].

Laura Bashraheel, «Scholarship Students: Big Dreams, Slow Change,» *Saudi Gazette*, (17) 11/3/2013, Available at: <http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method=home.regcon&contentid=20130311156300>.

أضافت سارة التي درست علم النفس في جامعة برمنغهام: «ما زلت أواجه صعوبة في إنجاز أنشطتي اليومية بشكل فاعل من دون الحاجة إلى سائق؛ إذ قد تنقلب أيامي عصيبة من دون سائق. ما كان عدم امتلاكي سيارة ليشكل أي مشكلة لي في المملكة المتحدة؛ فالنقل العام موجود في كل مكان وسهل الاستخدام»[18].

تتعرّض حرية الحركة لقيود كثيرة بالنسبة إلى معظم النساء السعوديات في المملكة العربية السعودية؛ إذ تعتمد كثيرات على ولي أمر ذكر للتحرّك من مكان إلى آخر بأمان، في حين تستخدم النساء الثريات سائقًا. انطباعي أن معظم النساء السعوديات اللواتي يعشن في الخارج يشعرن بأزمة حيال عودتهن إلى الوطن، ربما لأنهن جربن نظامًا قانونيًا يؤمن لهن حرية كاملة في الحركة.

التقيت شابة تدعى لجين، كانت الاستثناء لهؤلاء الطالبات السعوديات اللواتي لم يواجهن بشكل علني السياسات السعودية. لجين، هي الآن في الخامسة والعشرين من عمرها، تحدّت بقوّة حكومتها وسياساتها المتصلة بالنساء ومعاملتهن. أمضت لجين سنوات عدة وهي تدرس في الخارج، في فرنسا أولًا، ثم في كندا. ويعني العيش في الخارج بالنسبة إليها، وإلى كثير من النساء المسجلات في برنامج الملك عبد الله للمنح، تعرُّف الحرية البسيطة التي تُسهّل الحركة، وغير المتوافرة في الوطن. قامت لجين بأكثر من الاعتراض بصمت، فاستخدمت الإنترنت للتعبير عن اعتراضها. أصبحت لجين، وهي المرأة السعودية التي تنتمي إلى قبيلة كبيرة ومعروفة، تسجل وتفتح للمشاركة على الإنترنت نشاطًا تقوم به أكثرية النساء السعوديات اللواتي يدرسن في الغرب أو يزرنه: قيادة سيارتها الخاصة. حرّضت لجين النساء السعوديات في كل مكان على قيادة السيارة، بعد الضجة التي أحدثتها على الإنترنت بفعل تحديها العلني للقوانين والعادات السعودية، وظهرت أيضًا في الفيديو من دون حجاب. فكان أن حصل الفيديو على أكثر من ثلاثة ملايين مشاهدة. قبلت لجين تحدي الانتقادات التي قامت في وجهها بحجة أنها تمارس القيادة وهي في كندا،

(18) المصدر نفسه.

فيما هي تحث النساء على المخاطرة ليفعلن ذلك في السعودية، فعادت إلى السعودية لتسجّل موقفًا، ولتصوّر نفسها وهي تقود السيارة من المطار إلى بيت العائلة. وأثار فعل التحدي هذا المزيد من النقاش، وساعد في إطلاق حملات وطنية للتشجيع على قيادة السيارات من ناشطات سعوديات أخريات. وقالت لي لجين في أثناء مقابلتنا إنها «جلبت القليل من الأمل إلى المرأة السعودية». لكني أشك مع ذلك في أنها انتهت إلى إحداث أي تأثير في مجتمعها.

ما هو الأثر الذي ستحدثه هؤلاء النساء السعوديات المتعلمات في الغرب في الثقافة السعودية المحافظة؟ هناك شيء واحد يبدو أكيدًا: ستضغط عودة عشرات الآلاف من النساء السعوديات المتعلمات، اللواتي اختبرن الحياة في الغرب الأكثر ليبرالية، على الحكومات العربية لتخفيف القيود على حركة المرأة في المجتمع. وسيكون تغيير العقليات عن دور المرأة في المجتمع السعودي، من النتائج غير المحسوبة لبرنامج المنح السعودية.

ثالثًا: الحركة الدائرية لأدمغة الشباب العرب

بحسب **تقرير المعرفة العربية لعام 2009**: «تُعتبر المنطقة العربية الأكثر نشاطًا من حيث تصدير رأس المال البشري المؤهّل، والمزوّد بشهادات جامعية. في الواقع، يعد رأس المال البشري من بين أهم صادرات هذه المنطقة، ويعادل النفط والغاز من حيث القيمة»[19]. تذكرنا هذه العبارة، على الرغم من احتمال كونها مبالِغة، بأن العرب يشكلون جزءًا مهمًا من النقاش في شأن الهجرة والحركية والتنقل الدائري.

كان يُنظر إلى هجرة العمال العرب على أنها تكلفة صافية تتكبدها الدول العربية. واعتُبرت عملية «نزف الأدمغة» عبر هجرة الشباب العرب المؤهل بحثًا

(19) Mohammed bin Rashid Al Maktoum Foundation (MBRF) and United Nations Development Programme (UNDP), Regional Bureau for Arab States, *Arab Knowledge Report, 2009: Towards Productive Intercommunication for Knowledge* (Dubai: United Nations Development Programme, Regional Bureau for Arab States, 2009), Available at: <http://www.undp.org/content/dam/rbas/report/ahdr/AKR2009-Eng-Full-Report.pdf>.

عن عمل وفرص اقتصادية أفضل في الخارج، خسارة للمجتمعات العربية. فكان تدفق الناس والمال والمواهب من «باقي العالم إلى الغرب» (The rest to the west). وعانت دول، كمصر على وجه الخصوص، هجرة أفضل المهندسين والعلماء والشباب المتعلّمين إلى المجتمعات الغربية، لتبوّء مناصب صناعية وأكاديمية مهمة. علاوة على ذلك، كان المصريّان اللذان فازا بجائزة نوبل - أحمد حسن زويل في عام 1999 للكيمياء، ومحمد البرادعي في عام 2005 للسلام - من الشتات العربي المهاجر إلى الغرب في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته.

يُعتبر الشباب العرب الذين يهاجرون اليوم للعمل في الخارج والحصول على أجور أفضل - مثل ابنة عمي مها - أقوى ارتباطًا بأوطانهم الأصلية مما كان عليه الشباب العرب الذين هاجروا في ستينيات القرن الماضي، والذين اعتُبرت هجرتهم جزءًا من نزف الأدمغة في مجتمعاتهم. تسمح هذه الروابط المتينة بالوطن الأم للأفراد أن يحولوا «نزف الأدمغة» إلى «حركة دائرية للأدمغة». ويُحضر المهاجرون الدائمون أو الموقتون الذين يعودون إلى أوطانهم - زائرين أو للإقامة الدائمة - وقد استزادوا معرفة ورأس مال وخبرة وشبكات مهنية، غالبًا معهم المعرفة والخبرة لتستفيد منها أوطانهم الأصلية. ويُعتبر المهاجرون الهنود الذين عادوا إلى بنغالور بعد عملهم في سيليكون فالي، فطوّروا اقتصادها التكنولوجي والمعلوماتي المبهر، مثالًا واحدًا وليس وحيدًا، من حالات التنقل الدائري للأدمغة[20].

تظهر حالة مصر - التي تمتلك أعلى نسبة من الأفراد العاملين والمقيمين في الدول العربية، والتي ساهمت تحويلات العمال إليها بـ 6.4 مليارات دولار سنويًا بين عامي 2000 و2010، أو 4.4 في المئة من الناتج المحلي العام سنويًا[21] - بأن التحويلات المالية من الخارج تشكّل فائدة اقتصادية كبيرة.

---

(20) Anna Lee Saxenian, «From Brain Drain to Brain Circulation: Transnational Communities and Regional Upgrading in India and China,» *Studies in Comparative International Development*, vol. 40, no. 2 (Summer 2005), pp. 35-61.

(21) «The World DataBank: World Development Indicators,» (World Bank, 2015), Retrieved from: <http://databank.worldbank.org/data/views/variableselection/selectvariables.aspx?source=world-development-indicators>.

ولنقارن مثلًا قيمة التحويلات بالمدخول الذي تساهم فيه قناة السويس، والذي بلغ 4.2 مليارات دولار سنويًا في عام 2014، أو 2.9 في المئة من الناتج المحلي العام في السنة[22].

تشكّل التحويلات المالية للعمال المصدر الأعلى والأهم للعملات الأجنبية. يأتي القسم الأكبر من التحويلات من الولايات المتحدة الأميركية (34 في المئة في عام 2008) التي يوجد فيها العدد الأقل من المهاجرين المصريين، وهم متعلمون تعليمًا عاليًا ولديهم جنسيتان. بينما يأتي المصدر الثاني للتحويلات المالية من دول الخليج (22 في المئة في عام 2008)، حيث يعيش العدد الأكبر من العمال المصريين (83 في المئة في عام 2007) الذين يتميزون بتعليم أقل، ويعملون ضمن عقود عمل موقتة، خصوصًا في المملكة العربية السعودية[23]. وتتبع أنماط الهجرة هذه رغبات الشباب المصريين. وتبيّن في دراسة استطلاعية ضمت 15000 شاب مصري، تراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والتاسعة والعشرين، أن 29.7 في المئة من الشبان و6.7 في المئة من الشابات - أو بمعدّل 18.4 من الشباب - يريدون الهجرة[24]. ويفضّل معظم الذين يرغبون في الهجرة الذهاب إلى منطقة الخليج الغنية بالنفط، بينما فضّل عدد أقل الذهاب إلى الغرب. وتزيد نسبة الشباب الراغبين في الذهاب إلى الغرب في المناطق الحضرية مقارنةً بالمناطق الريفية[25]. ويدور حاليًا نقاش مهم في شأن كيفية استخدام البلدان لتحويلات المهاجرين المالية في التطوير المحلي، علمًا بأنه لا توجد تقديرات جامعة عبر البلدان والمناطق.

---

(22) «Brief Fiscal Year Statistical Report,» (Suez Canal Traffic Statistics, Government of Egypt), Available at: <http://www.suezcanal.gov.eg/TRstat.aspx?reportId=9>.

(23) Heba Nassar, «Recent Trends of Egyptian Migration,» (CARIM Analytic and Synthetic Notes; 2011/72, European University Institute, Badia Fiesolana, Italy, 2011), Available at: <http://cadmus.eui.eu/handle/1814/19878>.

(24) *Migration Aspirations and Experiences of Egyptian Youth* (Cairo: International Organization for Migration (IOM), 2011), p. 6.

(25) المصدر نفسه، ص 6-7.

في أي حال، ثمة اعتراف إقليمي وعالمي متزايد بأن تحويلات العمال المالية تُستخدم في أغراض استثمارية لدى البلدان المستقبلة، على الرغم من أن الدراسات الأولى للهجرة كانت قد قدّرت أن تحويلات العمال تُستخدم حصرًا لأغراض استهلاكية للعائلات أو الأفراد[26]. ويتم تحويل نسبة متزايدة من أموال المغتربين للاستثمار في التعليم والعقارات والمشروعات الصغيرة، على الرغم من استمرار تخصيص نسبة كبيرة من هذه التحويلات لسد النفقات المنزلية[27]. في حالة مصر، يدّخر العمال المصريون المال ويرسلونه إلى الوطن لتأسيس مشروعات أعمال جديدة. وعندما يعود هؤلاء المهاجرون إلى الوطن، يصبحون أكثر قدرة أو قابلية على التحوّل إلى رجال أعمال وكسب الأرباح مقارنة بالمصريين غير المهاجرين[28]. أظهرت الدراسات في الواقع بأنّ كثيرًا من العمال المصريين أصحاب المهارات العالية يعودون إلى الوطن لإقامة علاقات مهنية أو لإرسال التحويلات المالية إلى الوطن لمساعدة أعضاء في العائلة أو لمساعدة أنفسهم بالذات على البدء بأعمال ومشروعات جديدة[29]. ونشهد اليوم التأثير الإيجابي لظاهرة «الحركة الدائرية للأدمغة» بالنسبة إلى مصر، مع سهولة عملية تحويل المال، وسهولة التواصل بين المهاجرين وعائلاتهم، وشركائهم في الأعمال، ومعارفهم في مصر[30].

---

(26) انظر: المصدر نفسه، على الموقع الإلكتروني: <http://www.egypt.iom.int/Doc/IOM%20%282011%29%20Migration%20Aspirations%20of%20Egyptian%20Youth.pdf>.

(27) Barry McCormick and Jackline Wahba, «Return International Migration and Geographical Inequality: The Case of Egypt,» *Journal of African Economies*, vol. 12, no. 4 (2003), pp. 500-532.

(28) انظر: Jackline Wahba and Yves Zenou, «Out of Sight, Out of Mind: Migration, Entrepreneurship and Social Capital,» *Regional Science and Urban Economics*, vol. 42, no. 5 (2012), pp. 890–903, and Jackline Wahba, «Returns to Overseas Work Experience: The Case of Egypt,» in: Çağlar Özden and Maurice Schiff, eds., *International Migration, Economic Development and Policy*, Trade and Development Series (Washington, DC: World Bank; Basingstoke; New York: Palgrave Macmillan, 2007), pp. 235-258.

(29) Nadine Sika, «Highly-Skilled Migration Patterns and Development: The Case of Egypt,» (CARIM Analytic and Synthetic Notes; 2010/17, European University Institute, Badia Fiesolana, Italy, 2010), Available at: <http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/13454/CARIM_ASN_2010_17.pdf?sequence=1>.

(30) المصدر نفسه.

تأتي ثاني أكبر موجة من المهاجرين في المنطقة العربية من المغرب والجزائر وتونس. ويسافر معظم الأفراد من المغرب العربي إلى أوروبا للدراسة وللبحث عن أجور أعلى. وتُعتبر فرنسا وجهة هؤلاء المهاجرين الأولى، بما أنهم يتكلمون الفرنسية. أظهرت إحدى الدراسات الأكاديمية بأن حوالى 30 في المئة من المهاجرين العائدين إلى الجزائر، وحوالى 20 في المئة من المهاجرين العائدين إلى تونس والمغرب، يُصبحون من روّاد الأعمال والمشروعات[31]. وكان لديّ الفرصة للتحدث إلى عدد من الشباب المغربيين الموهوبين الذين قرروا العودة والعمل في المغرب، بعد أن أمضوا سنوات عدة في فرنسا يدرسون أو يعملون. فبنك المغرب (المصرف المغربي المركزي)، يعمد على سبيل المثال إلى التفتيش بنشاط خارج المغرب بحثًا عن اقتصاديين ومحللين ماليين موهوبين لتوظيفهم، من بين المهاجرين المغاربة. وينظّم المصرف، بالتعاون مع القطاع الخاص المغربي المزدهر والمتمثّل بشركات الخدمات المالية والاستشارات الإدارية، رحلات سنوية إلى المدن التي تضم مجتمعات كبيرة من المهاجرين المغربيين، مثل مونتريال وأمستردام وباريس، لتوظيف مهارات جديدة. وجذبت هذه المعارض الخاصة بالمهن، بالتنسيق مع الشركات التي تبحث عن الكفاءات والسفارات المغربية في الخارج، بعضًا من أفضل المغربيين الذين يعملون لمصلحة شركات أجنبية في الخارج، ودفعتهم للعودة إلى المغرب. التقيت محمد الذي درس في فرنسا، وعمل في مصرف فرنسي خاص لعقد من الزمان، قبل أن يُغرى بالعمل في بنك المغرب. وحقّق نجاحًا وتقدمًا أكبر في المغرب، بعد الأزمة المالية التي ضربت أوروبا في عام 2008. وستتاح أمام محمد وأمثاله فرص عمل جديدة في وطن التبني فرنسا، كما في الوطن الأم المغرب، مع تزايد حالة اللايقين الاقتصادية العالمية.

يشكّل الفلسطينيون والأردنيون والسوريون ثالث أكبر موجة من المهاجرين في المنطقة تجدر الإشارة إليها، وهم يهاجرون إلى الخليج العربي. ويبقى

(31) Flore Gubert and Christophe J. Nordman, «Return Migration and Small Enterprise Development in the Maghreb,» in: Sonia Plaza and Dilip Ratha, eds., *Diaspora for Development in Africa* (Washington, DC: World Bank, 2011), chap. 3, p. 119.

معظم المهاجرين هناك لعقود من الزمان، ثم يعود إلى وطنه الأم للتقاعد أو لإرسال أولاده إلى الجامعة. ويُعتبر الفلسطينيون من المهاجرين الأكثر هشاشة، لأنه من الصعب عودتهم إلى المناطق المحتلة. مع ذلك، عاد كثيرون منهم، أو يتوقعون العودة إلى الأردن في الأقل، لأن بعضهم يحمل الجنسية الأردنية. تسافر اليوم مجموعات كبيرة من الشباب العرب إلى الخليج العربي بحثًا عن عمل، مثل كثير من الشباب المتعلّمين على الصعيد العالمي، ويفضلون العمل في الإمارات العربية المتحدة المتميّزة بالدينامية. وكشفت دراسة أجرتها مؤسسة لينكدإن أن الهجرة الأنشط لذوي الخبرة المتعلمين في عشرين بلدًا تحصل باتجاه الإمارات العربية المتحدة، بحثًا عن عمل. فأحرزت الإمارات، نتيجة لذلك، ربحًا صافيًا من ذوي الخبرة أكثر من أي بلد آخر، خصوصًا في القطاعات الاقتصادية المربحة مثل الهندسة والعمارة[32]. ويسافر أيضًا كثير من الشباب العرب المحترفين والمتعلّمين من المشرق العربي إلى الإمارات العربية، لجني ثمار الازدهار الاقتصادي هناك.

التقيت خلال زياراتي إلى الإمارات العربية زوجين شابين، أحمد ومنال، كانا زميلي دراسة، وهاجرا للعمل والإقامة في أبو ظبي. قالا لي إن نصف دفعتهما من كلية الهندسة في جامعة الزرقاء هاجرت إلى الخليج للعمل. سألتهما عن أسباب السفر إلى الخليج، فأجابت منال التي تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا: «الحياة سهلة هنا، ومنظمة أكثر من الأردن. أحب وسائل الراحة الحديثة المتوافرة هنا، وواقع أننا متساوون أمام القانون. يحترم الناس القانون أكثر هنا، لأنّ الإماراتي لا يتحمل من الوافد أي سلوك سيّئ، ومن الممكن ترحيلنا ببساطة. وبالنسبة إلي، بوصفي مهندسة مع عائلة فتية، فالوضع هنا مثالي؛ إذ نتمتّع بالاستقرار، والرفاهية، والأمان. أحب المكان، لكنه ليس وطني».

سألت أحمد، زوج منال، وهو فلسطيني يبلغ من العمر سبعة وعشرين

---

(32) Lindsay Ahearne, «Careers That Will Move You: What It Takes to Work Around the World,» (Linkedin Official Blog, 20 May 2014), Available at: <http://blog.linkedin.com/2014/05/20/careers-that-will-move-you-what-it-takes-to-work-around-the-world/>.

عامًا، عن سبب اختياره الإمارات، وإذا ما شعر في هذا البلد بأنه ضعيف مع الحقوق الممنوحة له كأجنبي. أجاب: «لا نشعر، كفلسطينيين وأردنيين، بأننا نتمتّع بحقوق أكثر أو أقل في الإمارات، مقارنةً بالأردن من حيث أتيت على سبيل المثال. فأمورنا على خير ما يرام ما دمنا نحترم القانون. الرواتب أفضل، وفي إمكاننا إدخار المال للعودة إلى الأردن وبدء عمل جديد أو التقاعد بهدوء. لا نشعر أنّ أبو ظبي ستصبح وطننا، إذ يذكرنا الإماراتيون باستمرار بأننا عمّال ضيوف. ولا بأس في ذلك بالنسبة إلي، لأنّ وطني ليس هنا».

تشابهت آراء منال وأحمد مع آراء المهاجرين الأردنيين والسوريين والفلسطينيين الآخرين الذين تحدثت إليهم في الإمارات، وكانوا جميعًا تقريبًا ذوي خبرة ومتعلمين. وهذا لا يعني بأنه لا توجد قصة أُخرى ليتم إخبارها عن ملايين العمال من جنوب آسيا في الخليج، وعن العمال المصريين في المملكة العربية السعودية الذين يعمل معظمهم في وظائف لا تتطلّب مهارة، وواجهوا صعوبات كثيرة، إلى حد أن بعضهم اعتبر منتقدًا أنهم أرفع شأنًا بقليل من عمال السخرة[33]. مع ذلك، تعتبر تجربة العمل في الخليج بالنسبة إلى الشباب العرب المتعلّمين إيجابية عمومًا، لكن يبقى وضعهم بوصفهم أجانب هشًا هناك.

برزت خلال محادثاتي مع الشباب العرب المغتربين في الخليج نظرتهم إلى سياسات أوطانهم. وتحدث كثير منهم عن صرف الحكومات الخليجية الأموال على مجتمعاتها بسخاء. ويعود هذا الأمر من دون شك إلى العائدات التي تحققها حكومات الخليج من الصادرات والمنشآت النفطية، وهي تصرف بشكل أنموذجي بعضًا من هذه العائدات على مجتمعاتها الصغيرة نسبيًا (باستثناء المملكة العربية السعودية التي يرتفع عدد سكانها مقارنة بباقي دول الخليج)، في حين لا يملك الكثير من الدول غير الخليجية الموارد النفطية (ما عدا الجزائر وليبيا) لكنها تمتلك مجتمعات أكبر، ويجب إعالتها. وللتأكيد، انتقد كثيرون من الشباب العرب حكومات دولهم لعدم إنفاقها المال على

(33) Anisur Rahman, «Migration and Human Rights in the Gulf,» in: *Migration and the Gulf*, Middle East Institute Viewpoints (Washington, DC: Middle East Institute, 2010), pp. 16-19.

مجتمعاتها، كما تفعل حكومات الخليج عبر برامج الشباب والتعليم والبنية التحتية. واعتبر بعضهم، عن حق أو عن خطأ، أن هناك توزيعًا أكبر للثروة في الخليج مقارنةً بأوطانهم، ما يعزز تاليًا النمو الاقتصادي. وكان ثمة إدراك بأن الأمور المنجزة بسلاسة في الخليج، بسياق منظّم وعصري، هي إيجابية عمومًا، بينما كانت قناعتهم العامة أن حكوماتهم لا تبذل الجهد نفسه.

سندرك كيف يشعر الشباب العرب الذين يعيشون في الخليج، بعد الاستماع إلى المقابلة مع وائل غنيم، وهو المدير التنفيذي الشهير في شركة غوغل، الذي أسس حملة «كلنا خالد سعيد» على فيسبوك ليفضح وحشية الشرطة المصرية. تحدث وائل، في إحدى أهم مقابلاته على «قناة دريم» إبان ثورة 25 يناير، عن حياته في الخليج (كان يعمل كأي مصري في الإمارات العربية المتحدة في ذلك الوقت)، وعن شوقه للعودة إلى الوطن. وقال عن اللحظة التي نعته خلالها ضابط مصري، وهو في السجن، بالعميل: «نحن [الناشطون المسجونون] نحب مصر! لو كنت عميلًا لبقيت في منزلي في الإمارات بجانب بركة السباحة، لأستمتع بوقتي وحياتي، وأتقاضى أجرًا أعلى، يزيد باستمرار. ليس هناك من مشكلة. هل يجب أن أقول ما يقوله الآخرون؟ لتذهب [مصر] إلى الجحيم! هل مصر بلدنا؟ أو بلدهم؟ كنت لأقول ذلك لو كنت عميلًا. نحن لسنا عملاء. ومن الأشياء التي أفخر بها، والحمد لله، بأنني عدت إلى المنزل بعد أن أقنعت هؤلاء الناس بأننا لسنا عملاء. أنا أعرف ماذا أقول، وأعرف أنهم اقتنعوا أن دافعنا الوحيد [كمتظاهرين] هو حب مصر»[34].

يعبّر غنيم عن رغبته، كما كثير من المغتربين العرب، باستحضار أفضل ما تقدمه الحياة في الخليج إلى مصر. في الحقيقة، تتضمن التحويلات التي يرسلها الشباب العرب إلى أوطانهم، كما رأينا في هذا الفصل، أفكارًا في شأن فضائل القانون والنظام، ومزايا المجتمع المتعدد الثقافات والجدارة ودور الحكومات في خلق الفرص الاقتصادية.

---

(34) Wael Ghonim interview with Dream TV, 7 February 2011, Available at: <http://www.youtube.com/watch?v=yW59LZsjE_g>.

خلاصة

كان يُنظر أحيانًا إلى صورة العالم اليوم (وربما لأسباب مفهومة) من منظور طوباوي، بوصفه كتلة مترابطة بواسطة عقد ومحاور، يجوبه الناس من الخلفيات العرقية والثقافية والدينية المختلفة. مع ذلك، لا يمكن المرء أن يتجاهل حقيقة أن معظم المواطنين في العالم لا يملك الوسائل القانونية والاقتصادية لحزم الحقائب والانتقال إلى مجتمع آخر؛ إذ يعتمد السفر والانتقال في النهاية وإلى حد بعيد على ما يعتبره بعض الحكومات وأمن حدودها بأنه جواز السفر الملائم أو غير الملائم. فالحدود الغربية ليست مفتوحة للجميع، والبلدان الغربية ترحب بأشخاص من بلدان مختارة، ومن طبقات اجتماعية اقتصادية مختارة. وأرى نفسي في كثير من الأحيان، بوصفي أستاذة جامعية، ضمن دوائر اجتماعية مكونة من أُناس يتكلمون على السفر عبر العالم، ويتشاركون قصصًا عن أفضل المطاعم في هذه العاصمة أو تلك، ويقدمون نصائح عن تفادي الفنادق المرتفعة الأسعار في هذه المدينة أو تلك. فنحن نعيش من دون شك في عالم نخبوي، غير منفتح أو مرحب بالجميع، وتسافر عبره أقلية صغيرة.

مع ذلك لا يمكنني تجنب التفكير بحقيقة أن المدن العالمية أصبحت متنوعة ومتعددة الثقافات. وأظهر هذا الفصل، بغض النظر عن الطبيعة النخبوية والتمييزية للهجرة العالمية، بأن المنطقة العربية وشبابها يرتبطون بشكل متنام بالمجتمعات الأخرى، ما فتح آفاقًا جديدة لنشر أعراف وقيم جديدة في السياسة والاقتصاد والمجتمع، عبر الحدود. وإني أعتبر أن ذلك كله في مصلحة المنطقة العربية، وأراه مصدرًا لأمل وتفاؤل جديدين حيال أوضاعها.

كانت المنطقة العربية دائمًا نسيجًا من ثقافات وأديان وإثنيات مختلفة، وتعطيني رؤية الشباب العرب وهم ينقلون إلى أوطانهم مزايا وقيم التنوّع الثقافي الكثير من الأمل في ما خص الأقليات في المنطقة. مع ذلك، ما زالت المنطقة العربية تواجه مشكلات مهمة متعلّقة بالتعصّب.

سأناقش في خاتمة الكتاب ما الذي يجب فعله حيال ظاهرة العنف والتطرّف التي تمارسها أقلية، وهي المسألة التي تبقى من دون شك في أذهان

كثيرين عند التكلّم على المنطقة العربية. يجب تحسين المناخ السياسي في المنطقة، كي يستفيد العالم العربي بشكل كامل من هجرة الشباب إلى الخارج ودراستهم وعملهم. وتقدم الخاتمة أيضًا توصيات سياسية، مع التركيز على الدول الناجحة أو المتباطئة.

خاتمة

صيغت في هذه الخاتمة مجموعة من السياسات والمقترحات الملموسة لتعزيز عملية توظيف الشباب. إن التحديات السياسية التي تهدف إلى الاستفادة من «العائد الديموغرافي» للشباب العرب موجودة. فعلى الدول العربية، مثلًا، خلق 94 مليون وظيفة بحلول عام 2030 (أي خمسة ملايين وظيفة في السنة)، لتفادي المستويات العليا من البطالة. وتتوق الدول العربية إلى الاستثمار المالي والبشري، مع تمتعها بقاعدة استهلاكية متنامية من الشباب ذوي التعليم العالي، الذين يمثلون قوة عاملة رخيصة نسبيًا. لذا يجب على الحكومات العربية أن تبتكر، وتشجّع روح المبادرة، وتستثمر في القطاعات التي تتطلب كثافة عمالية. لاحظت في خلال سفري في المنطقة العربية هذه الرغبة المعلنة للحصول على وظائف منتجة ومهمة. ولم يكن من قبيل المصادفة أن يطالب الشباب العرب في ميدان التحرير بالخبز أولًا، وهي كلمة بسيطة تشير إلى الفرصة الاقتصادية. وستعرفون بعد قراءة هذا الكتاب، وبعد فهم أحلام الشباب وطموحاتهم، لمَ تعني الوظائف الاقتصادية المنتجة الكثير للشباب العرب.

تحمل لعنة البطالة التي تضرب الشباب العرب حاليًا عواقب كبيرة بالنسبة إلى مسار حياة هؤلاء الشباب. وكما ورد في كتاب **جيل في الانتظار** (*Generation in Waiting*) لديلون وآخرين، يبني الشباب الذين ينتقلون إلى مرحلة البلوغ حياتهم حول أربعة أعمدة: التعليم والوظيفة والزواج والسكن. لن يتمكن الشباب العرب من تحقيق المأمول من الزواج التقليدي من دون الحصول على وظيفة منتجة لتأمين حاجات العائلة، وبما أن تكلفة السكن تستمر في الارتفاع، يعلق كثير من الشباب داخل مرحلة الشباب، ولا يستطيعون الانتقال إلى مرحلة

البلوغ[1]. ويبقى معدل البطالة في المنطقة مرتفعًا على الرغم من أن الشباب العرب يتميّزون بمستوى تعليم عالٍ. ويواجه هؤلاء الشباب حاليًا قضايا ملحة مثل البطالة/ أو العمالة دون مستوى الكفاءة، والتي ستؤثر سلبًا في مستقبل المنطقة.

أولًا: ضرورة توفير فرص العمل

تقع مسؤولية توفير فرص العمل في المنطقة العربية بشكل واسع على الحكومات التي تؤدي أدوارًا محورية في الإدارة الاقتصادية؛ إذ تحتل الحكومات العربية موقعًا مهمًا في ما يتصل بخلق بيئة سياسية خلاقة للقطاعين العام والخاص، على الرغم من أن دور هذه الحكومات لا يختلف عن دور مثيلاتها في الدول النامية الأخرى. إنها مهمة ضخمة إنما ليست مستحيلة: فبإمكان الحكومات رعاية بيئة كهذه من خلال تثمين قيمة وجود قوة عاملة مؤلفة من شباب متعلّمين. لذا يجب أن تستمر الحكومات العربية بالاستثمار في تطوير المهارات، وإقرار مناهج تعليم تتلاءم وحاجات السوق، لمعالجة مشكلة البطالة عند الشباب. وبعد، ينبغي ألا تعتمد الحكومات في النجاح الاقتصادي على المؤشرات الاقتصادية الكلية فحسب، مثل نمو الناتج المحلي الاجمالي، بل أيضًا على القدرة الإنتاجية والتوظيف في مجتمعاتها، والمعروفة أيضًا بالنمو الشامل[2].

علاوة على ذلك، على الحكومات أن تلحظ في تشريعاتها حدًّا أدنى للأجور لحماية القطاعات الضعيفة، على الرغم من أن هذا التشريع لم يرد كتوصية سياسية من الخبراء الاقتصاديين التابعين للمنظمات الدولية.

---

(1) Navtej Dhillon, Paul Dyer and Tarik Yousef, «Generation in Waiting: An Overview of School to Work and Family Formation Transitions,» in: Navtej Dhillon and Tarik Yousef, eds., *Generation in Waiting: The Unfulfilled Promise of Young People in the Middle East* (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2009), pp. 34-35.

(2) Elena Ianchovichina and Susanna Lundstrom, «Inclusive Growth Analytics: Framework and Application,» (Policy Research Working Paper; 4851, World Bank, Economic Policy and Debt Department, Economic Policy Division, Washington, DC, March 2009), Available at: <http://library1.nida.ac.th/worldbankf/fulltext/wps04851.pdf>.

يوصي ديلون ودايز ويوسف في كتابهم **جيل في الانتظار**، بضرورة استمرار المنطقة في تطوير دور القطاع الخاص، لإبعاد الشباب عن طلب الوظائف الحكومية. ثانيًا، يجب على المنطقة تطوير العمالة الماهرة عبر الاستمرار بتحسين نوعية التعليم والانتساب إلى الجامعات والمبادرات التدريبية والتوجه خصوصًا إلى الفئات المهمشة من الشابات. ثالثًا، على الحكومات العمل لإشراك الشباب في عملية صنع القرار، وكذلك تحديد أولويات سياسات التحفيز المالي، لمساعدة الشباب في إيجاد الوظائف. ويضيف الكتّاب الثلاثة على هذه التوصيات ضرورة إصلاح آليات التوظيف في القطاع العام ورفع قيمة الوظائف غير الرسمية، من خلال الاستثمار في تطوير المهارات، وتحسين الاستثمارات في مجال التكنولوجيا، للحصول على معلومات ومشورة وظيفية أفضل. ويجب على الحكومات أن تعمل، على المدى الطويل، لتوفير الضمان الاجتماعي للعمال كافة[3].

تبدأ عملية السعي إلى تحسين العمالة والتوظيف، في كثير من البلدان، بالاستجابة لحاجات أرباب العمل في القطاع الخاص، عبر التركيز على تطوير المهارات الكتابية والتفكير النقدي وكيفية حلّ المشكلات. وحصل عدد من المبادرات مؤخرًا لإنشاء شراكات بين القطاعين العام والخاص، لتحسين نوعية التعليم وموقعه، لكن يجب أن يرتفع عدد هذه المبادرات لتكون أكثر فاعلية. فهناك مثلًا مبادرة على مستوى المنطقة تُسمى «إنجاز»، وهي «شراكة بين وزارات التعليم والقطاع الخاص، تدفع باتجاه قيام أصحاب العمل بتعليم المهارات التسويقية لطلاب المدارس والكليات، بما فيها مهارات الأعمال الأساسية والعمل الجماعي والمهارات القيادية وطريقة التفكير في مجال ريادة الأعمال»[4]. وينقل الشباب العرب، كما سأوضح لاحقًا في الكتاب، مهاراتهم وابتكاراتهم إلى عالم الإنترنت، لكن يجدر بالحكومة والمجتمع هنا ألا يكتفيا

---

(3) Dhillon, Dyer and Yousef, pp. 34-35.

(4) International Monetary Fund, Middle East and Central Asia Department, *Regional Economic Outlook, April 2011: Middle East and Central Asia*, World Economic and Financial Surveys (Washington, DC: International Monetary Fund, 2011), p. 42.

بتشجيع التفكير النقدي في أمكنة العمل فحسب، بل أيضًا في المجال العام. إن إعطاء الشباب فرصة اختيار شركة الهاتف الخلوي التي سيعتمدونها، أو حرية التصويت لنجمهم المفضل في برنامج «محبوب العرب» (Arab Idol)، لن يكون كافيًا لإرضائهم. يتعيّن على الحكومات أن تدرك أن سيكون للشباب العرب دور في السياسة والمساءلة والحقوق الاجتماعية يجب تقديره، وتحفيزه، بدلًا من إلحاقه أو تشويهه[5].

يجب على الحكومات في المنطقة العربية أن تقوم بعمل فاعل في إدارة مهمة توفير فرص العمل وتوجيهها؛ وفي أي حال، أصبح من الواضح أن القطاع العام لا يستطيع وحده تلبية حاجات الأعداد الكبيرة من المتخرجين الشباب. لا يفترض بالحكومات أن تتصدى للمهمة الشاقة في محاولة استيعاب الداخلين الجدد إلى سوق العمل، هكذا بكل بساطة؛ بل عليها أن تؤدي دورًا حاسمًا في خلق البيئة الاستثمارية الملائمة التي تجذب المستثمرين، والشركات التي تبحث عن عمالة. لا يزال جهد الاقتصادات العربية قاصرًا في جذب الاستثمارات الأجنبية، على الرغم من بعض الإصلاحات البنيويّة؛ إذ لا تشكل الاستثمارات الأجنبية في المنطقة العربية، في الواقع، أكثر من واحد في المئة من الاستثمارات الأجنبية على المستوى الدولي، واثنين في المئة من مجموع الاستثمارات الأجنبية في البلدان النامية[6]. ويشير ذلك إلى أنه لا تزال هناك فرص غير مستغلة من الحكومات العربية لجذب الاستثمار الأجنبي والمحافظة عليه. هذا الموضوع لا يهم كثيرًا دول الخليج المنتجة للنفط، حيث القدرة الاستيعابية لرأس المال الأجنبي أقل، وحيث المدخّرات الوطنية أو فائض رأس المال في الاقتصاد مرتفعة أصلًا بفضل صادرات النفط. وهناك أيضًا قصور أكبر في الكثير من الدول غير المنتجة للنفط التي لم تجذب ما يكفي من

(5) استُوحيت الفكرتان الأخيرتان من المصدر الآتي: Rami Khouri, «Beyond Sunnis and Shiites: Understanding the Turbulent Reconfiguration of Arab States and Citizens,» (Canadian Arab Institute, 29 October 2014), Available at: <http://www.canadianarabinstitute.org/events/pas/perspectives-changing-middle-east/khouri/>.

(6) International Monetary Fund, «Economic Transformation in MENA: Delivering on the Promise of Shared Prosperity,» (G-8 Summit, Deauville, France, 27 May 2011), Available at: <https://www.imf.org/external/np/g8/pdf/052711.pdf>.

الاستثمارات الأجنبية، في حين أن مدخراتها الوطنية منخفضة، والحاجة إلى ضخ رؤوس أموال أجنبية مرتفعة.

يجب على الحكومات العربية، خصوصًا خارج منطقة الخليج، أن تعمل على جذب الاستثمارات الخارجية، ليس لخلق فرص عمل فحسب، بل أيضًا لكسب الفوائد الإضافية المحتملة، مثل التحوّل إلى التكنولوجيا الجديدة، ومواكبة البحوث والتطورات الجديدة، والشبكات العالمية الجديدة من سلاسل التزويد والتوزيع، والإفادة - في حال تأمنت الشروط الصحيحة - من النمو الاقتصادي الإضافي. بعد كل هذا، لا تزال البيئة السياسية في بعض أجزاء العالم العربي، خصوصًا خارج منطقة الخليج، غير مساعدة على تسريع وتيرة الاستثمار الأجنبي، ويأتي هذا العجز للأسف من الفساد أولًا. ينبغي للحكومات العربية أن تدرك أن نظام الفساد المستشري، خصوصًا على مستويات النُخبة والحكومة، سيعوق تدفق الاستثمارات الأجنبية، ولا سيما تلك التي تتطلّب ضمانات معينة تمكّنها من تحقيق التزام ثابت وطويل الأمد تجاه أي بلد. كما ينبغي للحكومات العربية ألا تبتهج فحسب بشركات الاستثمار الأجنبية التي تأتي إلى المنطقة باستراتيجية قصيرة الأمد، مثل تجارة المناقلة (carry trade) أو شراء سندات الخزينة؛ فهي في النهاية عمليات شراء أصول قابلة للاستبدال، ولا تعكس ثقة المستثمر. أيضًا، لدى الاستثمار الأجنبي مسؤولية حيال منع استمرار الفساد الحكومي، وانتهاكات حقوق الإنسان، والتدهور البيئي. فكثيرًا ما استعملت الحكومات الاستثمارات الأجنبية على أنها ختم عالمي بالموافقة على نظامها السيئ في إدارة الحكم. لن يكون ثمة مجال لتستمر هذه الممارسات في عالم يستطيع الشباب العرب فيه الوصول إلى المعلومات، وإلى الشبكات التي ينشرون عبرها التقارير، صحيحة أكانت أم غير صحيحة. إن تعزيز الشفافية أمام الشعب، عبر نشر البيانات العلنية عن الأمور المالية والإنفاق والاستثمار العام، سيكون له دور كبير في المساعدة على كبح الفساد، سواء أكان متوقعًا أم حقيقيًا. وللمنظمات الدولية هنا دور إيجابي تؤديه. فعلى سبيل المثال، أقرّت موظفة في مصرف مركزي في أثناء اجتماعي إليها، بأن من فوائد الاتفاقات التي عقدها بلدها مع صندوق النقد الدولي، إجبار الدوائر البيروقراطية الداخلية على

إظهار أرقام الموازنة بشكل صحيح، وتسليط الضوء على أوجه القصور في إدارتها، والمساعدة في كشف الفساد الداخلي.

قد يكون الاندماج المتزايد في الأسواق العالمية المفتاح الأساس في إطلاق العنان لعملية الإنتاج وللطلب على العمالة، بالتزامن مع ارتفاع الاستثمار الأجنبي في المنطقة العربية. ويبدو أن الوقائع تفيد بأن دفع انفتاح الدول العربية إلى حدود مستوى دول آسيا الناشئة سيزيد الناتج المحلي الإجمالي السنوي للفرد بنقطة مئوية كاملة[7]. وفي النهاية، سيكون تعزيز الليبرالية مصيريًا بالنسبة إلى الدول العربية، إذا أرادت تنويع تجارتها مع الأسواق الناشئة بسرعة. ويجب على الدول العربية أن تنسج علاقات أوثق بآسيا وأفريقيا، حيث يستمر النمو الاقتصادي، وحيث هناك نوع من التكامل الاقتصادي، في الوقت الذي يتباطأ فيه الاقتصاد الأوروبي بفعل هرم السكان.

يعاني بعض الدول العربية نقصًا في القدرة على خلق وظائف جيّدة ومنتجة، لكن ثمة تحدٍّ آخر يُعزى إلى التوفيق بين المهارات المكتسبة والحاجات الراهنة للاقتصادين المحلي والإقليمي. وتُعتبر هجرة الشباب العرب نحو اقتصادات المنطقة والغرب، أداة قطع وصل مفيدة للمنطقة العربية، لكنها لا تُغني عن ضرورة اعتماد سياسات أفضل تقلص فجوة الحاجة إلى المهارات. أكثر من ذلك، على الحكومات العربية تحسين القدرة والحوافز لجذب التحويلات المالية للعمال المهاجرين، إضافة إلى استثمارات الشتات. بالنسبة إلى كثير من جماعات المهاجرين في الغرب، مثلًا، تؤدي المتطلبات البيروقراطية الكثيرة والمعقدة للبدء بأعمال استثمارية في الوطن الأم، إلى صرف النظر عن تحويل أموالهم. لذا يجب على الحكومات العربية استخدام سفاراتها في الخارج لجذب المهاجرين والشتات للاستثمار في الوطن الأم، وتحويلها إلى مكتب للخدمات المتعددة للمستثمرين المهتمين، وتزويدهم أيضًا بالآليات القانونية والشفافة، لطمأنة مستثمري الشتات.

---

(7) المصدر نفسه.

يجب على الدول الغنيّة بالعمالة، مثل مصر والسعودية والمغرب، أن تركّز على تنمية قطاعها الزراعي عبر المزيد من الاستثمارات الحكومية، وتنمية الأعمال غير الزراعية في المناطق الريفية، عبر التركيز على استراتيجيات التنمية التي تسمح بازدهار الأعمال. وكثيرًا ما تُهمل السياسات الحكومية المناطق الريفية. وتُعتبر سياسة إهمال القيمة الإنتاجية للمناطق الريفية استراتيجية قصيرة النظر، لأنها تخلق أحزمة بؤس في المدن. وبإمكان مصر والمغرب استخدام فائض العمالة لديهما وموقعهما الجغرافي الفريد لدعم الشركات الصناعية وجذبها، وطبّقت المغرب هذه الخطوة بفاعلية، بفضل اتفاقية التجارة الحرة التي عقدتها مع الولايات المتحدة الأميركية. ويشكّل نجاح المغرب في تصدير النسيج للسيارات استثناء بالنسبة إلى معظم المنطقة، ويمكن مصر استخلاص الدروس المفيدة من هذا النجاح. أما تونس التي تتميّز بقلة عدد سكانها نسبيًا، فنجحت في تطوير قطاع الصناعات النسيجية لديها، عبر توسيعه ليتعدى الإنتاج، وليتضمّن الموضة والتصميم وتطوير صناعة الغزل والنسيج[8]. ولم تعد القطاعات الصناعية التي تتطلّب مهارة متدنية خيارًا يمكن باقي المنطقة العربية اعتماده، بعدما استحوذت على هذا القطاع نمور شرق آسيا والصين وأجزاء من أميركا اللاتينية. ويعود هذا الأمر جزئيًا إلى الحمائية المتنامية التي تُصعّب على الصناعيين الجُدد والمجتمعات الصغيرة الموجودة في باقي المنطقة عملية دخول هذه القطاعات. فضلًا عن ذلك، أصبح الشباب العرب يبحثون عن الوظائف التي تتطلّب مهارة عالية، بدلًا من الوظائف التي تتطلّب مهارة متدنية، مع ارتفاع مستوى التعليم لدى هؤلاء الشباب (أي ارتفاع عدد الحاصلين على الشهادات الجامعية).

ثانيًا: مقترحات في السياسة العامة لخلق فرص عمل منتجة

من بين أكثر القطاعات الواعدة في المنطقة العربية - أي القطاعات التي يُمكن أن تستخدم مهارات الشباب العرب المتعلّمين، التي تُعتبر قطاعات مهمة

(8) World Bank, *Transforming Arab Economies: Traveling the Knowledge and Innovation Road* (Washington, DC: World Bank, 2013), p. 113.

وهي في الوقت ذاته قطاعات ضرورية للنمو في المنطقة - هناك القطاع المالي والمصرفي والبنية التحتية والاتصالات والهندسة والنفط والغاز والفندقي والسياحي. هذه اللائحة ليست شاملة، لكن تبقى المنافع المضافة والمحتملة للمزيد من الاستثمار في هذه القطاعات، وما يعنيه ذلك للشباب العرب، مهمة جدًا.

بداية، أصبحت أسواق البورصة العربية «الحدود الجديدة» للاستثمار والاستكشاف الاقتصادي، كما عنونت على سبيل المثال صحيفة وال ستريت جورنال[9]. وبالتأكيد، فإن أسواق البورصة في العالم العربي غير متطورة على الإطلاق، لكنها مع ذلك تستطيع تأمين محافظ استثمارية متنوّعة وفرص للتحسين جذابة، قد تشير بدورها إلى قطاعات نمو واعدة[10]. وجذب عدد من أسواق البورصة في المنطقة العربية اهتمام المستثمرين الأجانب، مع تطبيق التغييرات التنظيمية، كقيام مؤشر سوق واحدة بترقية الإمارات العربية وقطر من وضعية الحدود إلى وضعية اقتصاد السوق النامي[11]. وهناك تطور آخر تمثّل في تحرير البورصة السعودية وتطويرها، الأمر الذي سمح للمستثمرين الأجانب بدخول الأسواق السعودية المربحة. وتحاول دول أخرى، مثل تونس، فتح البورصة لديها للمؤسسات الاستثمارية مثل شركات التأمين، فضلًا عن الأفراد[12]. مرة أخرى، تشير هذه التطورات كلها في أسواق البورصة الإقليمية إلى أنَّ هذا القطاع، والمصالح المتعلقة به والشركات، ستقدم فرص عمل

---

(9) Joanna Slater, «The New Frontier: Mideast,» *Wall Street Journal*, 4/4/2007, Available at: <http://www.wsj.com/articles/SB117564935782959161>.

(10) Gholamreza Mansourfar, Shamsher Mohamad and Taufiq Hassan, «The Behavior of MENA Oil and Non-Oil Producing Countries in International Portfolio Optimization,» *Quarterly Review of Economics and Finance*, vol. 50, no. 4 (2010), pp. 415-423.

(11) Simeon Kerr, «Equities Soar as Confidence Returns to Arab Stock Markets,» *Financial Times*, 8/10/2014, Available at: <http://www.ft.com/cms/s/0/437e141c-3fe8-11e4-936b00144feabdc0.html#ixzz3KN9niio3>.

(12) Presentation by Chedly Ayari at: «Building the Future: Jobs, Growth, and Fairness in the Arab World,» (Government of Jordan, Arab Fund for Economic and Social Development, International Monetary Fund, Amman, 11-12 May 2014), Day 2, Panel 1, Available at: <http://www.imf.org/external/np/seminars/eng/2014/act/>.

جديدة لجذب الكفاءات العربية واستيعابها. وأصبح وسطاء البورصة وبيوتات الاستثمار واختصاصيو الأمن ومديرو الأصول واختصاصيو إدارة الثروات والمحاسبون والاقتصاديون ومحللو السوق، كلها وظائف يزداد الطلب عليها في كل المنطقة، بفضل هذا القطاع الاقتصادي المزدهر.

تبرز حاجة ماسة إلى تطوير واسع في القطاع المصرفي، للاستمرار في تطوير البورصة في المنطقة العربية. ويكمن جزء من التحدي المطروح في عملية تطوير القطاع المصرفي في تغيير السلوك القائم. تحتاج الحكومات إلى إدخال الإصلاحات في سياسات الاقتصاد الكلي، وفي القوانين الناظمة للمؤسسات المالية، لتشجيع الأفراد على الادخار والاستثمار، ولخلق منافسة صحيّة في القطاع المصرفي. بدأ القطاع المصرفي التقليدي في المنطقة يشهد تحسنًا بطيئًا، لكن تبقى المنافسة ضعيفة، ولا يوجد ترحيب بالمصارف الأجنبية، كما أنه يوجد نقص في القوانين الخاصة بالإفلاس التي تمنع المخاطرة في القطاع الخاص. وتواجه الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم أي الناشئة صعوبات للحصول على تمويل خارج منطقة الخليج[13]. وأشار صندوق النقد الدولي إلى وجود رأسمال ضخم في المنطقة، لكن المصارف لا تُقرض بسهولة، بسبب نقص المنافسة، وبسبب قواعد الإقراض القاسية التي تُفضّل الشركات الكبيرة[14]. وسمح انتشار المصارف الإسلامية في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته بتطوير ما كان سوقًا متخصصة إلى قطاع أساسي في الاقتصادات النامية في المنطقة العربية. ويُقدّر بأن هذا القطاع يدير مليارات الدولارات، مع وجود أكثر من ثلاثمئة مصرف إسلامي وبيوتات استثمار في أكثر من خمسة وسبعين بلدًا، ويمكن أن تصل هذه القيمة إلى أكثر من أربعة تريليونات في عام 2015[15]. وازداد النمو في هذا القطاع بسرعة - حوالى 20 في المئة منذ

(13) *Toward New Horizons: Arab Economic Transformation Amid Political Transitions*, Prepared by a Staff Team Led by Harald Finger and Daniela Gressani; Comprising Khaled Abdelkader [et al.] (Washington, DC: International Monetary Fund, 2014), pp. 47-50.

(14) المصدر نفسه، ص 41.

(15) انظر: Vali Nasr, «Point of View,» *Finance and Development* (March 2013), Available at: <http://www.imf.org/external/pubs/ft/fandd/2013/03/pdf/nasr.pdf>.

الأزمة المالية العالمية - وسيستمر على هذه الوتيرة، بحسب إرنست ويونغ[16] (Ernst and Young)، حتى عام 2018[17].

تُعتبر المصارف الإسلامية، وبالنظر إلى حاجة العالم العربي إلى المؤسسات المالية الحديثة، أقل عرضة للتقلبات في النظام المالي العالمي، لأنها تخضع لقوانين الشريعة التي لا تتعامل بالفائدة. لا تخوض المصارف الإسلامية في الأصول والأدوات المالية التي تتعرّض للمضاربة، أو تلك التي لا تعتمد على أصول مادية صلبة، ولاقى هذا النظام ترحيبًا؛ إذ اعتُبر حلًا مبتكرًا يكمّل المصارف التقليدية التي تعمل بالفائدة في المنطقة العربية. وظهر في دراسة لصندوق النقد الدولي بأنّ «تطوير المصارف الإسلامية سيحفّز النمو في البلدان العربية، وسيشكّل جزءًا من الحل لمشكلة النمو البطيء، في ظل معاناة الشعوب المسلمة تخلفًا مصرفيًا [بنية تحتية مصرفية غير متطوّرة]، ومع الحاجة الكبيرة إلى مشروعات البنية التحتية، مثل الطرق والإسكان في العالم الإسلامي»[18]. وفي إمكان المصارف الإسلامية تلبية الحاجات الإقليمية والعالمية للأصول والاستثمارات المتنوّعة، وهذا يعني أن الشباب العرب يحتلون موقعًا جيدًا لشغل وظائف في الخدمات المصرفية والاستشارية والمحاسبية والمالية والقانونية والمفاوضات الدولية.

قد تكون البنية التحتية أيضًا مصدرًا جيدًا للوظائف في البلدان العربية. وتراوح حالة البنية التحتية العامة بين المتطوّرة والحديثة في بعض البلدان، كدول الخليج، والمتخلفة في بلدان أخرى، كالسودان واليمن. وسيؤدي تحسين البنية التحتية إلى تحسين الكفاءات في سوق العمل. لا تشارك النساء بفاعلية، في كثير من الأحيان، في سوق العمل، والسبب عدم قدرتهن على استخدام

---

(16) Adnan Ahmad Youssef, «Islamic Banking on the Rise,» (Al-Monitor, 30 October 2014), Available at: <http://www.al-monitor.com/pulse/business/2014/10/islamic-bank-sector-arab-west.html##ixzz3KTFrGdnk>.

(17) المصدر نفسه.

(18) Patrick Imam and Kangni Kpodar, «Islamic Banking: How Has it Diffused?,» (IMF Working Paper; WP/10/195, International Monetary Fund, Washington, DC, August 2010), p. 20, Available at: <http//www.imf.org/external/pubs/ft/wp/2010/wp10195.pdf>.

وسائل نقل آمنة وموثوقة. وقد تحصل النساء في المناطق الريفية بشكل خاص، ممن يتمتّعن بمستوى علمي رفيع، فرص جيّدة للعمل في المدينة، لكن البيئات المحافظة تمنعهنّ من العيش لوحدهن في المدن، أو من استخدام وسائل النقل العامة المكتظة وغير العملية. وتشكل وسائل النقل مصدر القلق الأبرز لكثير من النساء الشابات والمتعلمات اللواتي تحدثت إليهنّ في المنطقة العربية. وفي أي حال، تحتاج المنطقة بأكملها إلى مجموعة من المشروعات الإنشائية، سواء في مجال تحلية المياه وإدارتها أم النقل الجماعي أم الكهرباء أم سكة الحديد أو تحديث الموانئ والخدمات اللوجستية أم الإسكان أم التعليم أم الصحة.

رأى خبير اقتصادي من صندوق النقد الدولي، على سبيل المثال، أن في إمكان مصر خلق 87000 وظيفة إضافية، وتونس 18000 وظيفة إضافية، عبر إنفاق واحد في المئة إضافي من الناتج المحلي الإجمالي على البنية التحتية[19]. لا تستطيع جميع الحكومات الاستثمار في هذه المرافق العامة، لكن هذه القطاعات نفسها مطابقة للشراكة بين القطاعين العام والخاص، وفي استطاعة ذلك التخفيف من الأعباء المالية لهذه المشروعات الضخمة التي لم تأخذها بعض الحكومات على عاتقها[20]. وبإمكان هذه المشروعات ضخ الأموال الضرورية في الاقتصادات المحلية، وتلبية حاجات الناس عند تطبيقها ضمن الأُطر المؤسساتية الملائمة في مجالات مثل استقطاب التمويل المحلي، وضمان المناقصات وعمليات التقويم المفتوحة والشفافة وتأمين إطار قانوني وتنظيمي قوي وتعزيز المشاركة الشعبية في التخطيط واتخاذ القرارات، بل أيضًا توظيف الشباب العرب المؤهلين في عدد من فئات الوظائف، مثل الهندسة والإدارة والهندسة المعمارية والتخطيط المدني والإحصاء أو المسح والخدمات القانونية، على سبيل المثال لا الحصر.

تكثر الأمثلة عن نجاح العرب في تطوير البنية التحتية، مثل هيئة المياه

---

(19) انظر: Yasser Abdih, «Closing the Jobs Gap,» *Finance and Development*, vol. 48, no. 2 (June 2011), p. 38.

(20) «Prospects for PPPs in the Middle East,» (International Financing Review, 2011), Available at: <http://www.ifre.com/prospects-for-ppps-in-the-middle-east/1611517.fullarticle>.

والطاقة في أبو ظبي، ومرفق الطاقة والمياه في عُمان. وفي استطاعة المنطقة الاستفادة أكثر من هذا النوع من مشروعات الشراكة الاستثمارية بين القطاعين العام والخاص. ففي النهاية، ستشهد المنطقة العربية، مع تزايد عدد سكانها، طلبًا متزايدًا على الخدمات العامة، مثل الطاقة والمياه والنقل. وستستفيد الدول التي تتميّز بفائض مالي، مثل الدول المصدرة للنفط في الخليج، إذا استثمرت في باقي المنطقة العربية، لدعم وتمويل مشروعات كبيرة في البنية التحتية. وقد تكون هذه الاستراتيجية مربحة على الصعيد الدبلوماسي والسياسي بالنسبة إلى المستثمرين الخليجيين؛ إذ ثمة حاجة إلى هذه المشروعات التي تقدم الخدمات العامة، بينما لا تشكّل كثرة مراكز التسوق والأبراج والقرى السياحية والإنشاءات الفخمة الأخرى التي يمولها الخليجيون في كثير من الأحيان في باقي المنطقة العربية، استراتيجية طويلة المدى للتنمية يمكنها أن تخدم الشباب. والمقصود هنا، بالفعل، هو وجود حاجة إلى حلول اقتصادية وسياسية بالتوازي لضمان نجاح تطوير البنى التحتية.

تعدّ المنطقة العربية أيضًا خزانًا لبعض أهم الاحتياطيات العالمية للنفط والغاز الطبيعي، وتقدم عمليات التكرير والتنقيب عن المصادر، في الواقع، فرص عمل مفيدة للشباب العرب. ويجب أن تستمر دول الخليج في تنمية قيمة نفطها من خلال تطوير المنتوجات البتروكيماوية. ومهما كانت هذه الاحتياطيات عظيمة، يمثل اكتشاف مصادر للطاقة «الخضراء» أو المستدامة هو أيضًا صناعات منافسة تحوي إمكانات للتطوير كبيرة. فقد تُصبح الطاقة الشمسية طاقة مربحة في المنطقة العربية التي تسطع فيها الشمس معظم أيام السنة، وكذلك الطاقة الهوائية في الكثير من البلدان الساحلية. وبدأ عدد من الحكومات العربية بوضع أهداف طموحة لاستخدام المزيد من الطاقة المتجددة، مثل المغرب، مع مخطط طموح لجعل الطاقة المتجددة تشكّل 40 في المئة من مجمل الطاقة المستخدمة بحلول عام 2020. ووُضعت أهداف شبيهة للوصول إلى 20 في المئة من الطاقة المتجددة في مصر، و10 في المئة في الأردن. ويحتل الكثير من بلدان شمال أفريقيا موقعًا جيدًا لتصدير الطاقة الشمسية والطاقة المتجددة إلى القارة الأوروبيّة. أما الحكومات في الإمارات

العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والكويت فقامت بتأسيس مصانع للطاقة المتجددة على نطاق واسع. والمثال الذي يفوق كل ذلك أهمية هو مدينة «المصدر» في الإمارات العربية المتحدة، وهي خليط من المباني السكنية والشركات والمباني التجارية التي تعمل على الطاقة الشمسية، مع وسائل نقل للمشاة ودراجات صديقة للبيئة. إن توسيع استخدام الطاقات المتجددة في المنطقة العربية ضروري لتلبية حاجات العائد الديموغرافي. فلدعم قطاع الطاقة الواعد، في الإمكان توظيف الشباب كمهندسين وتقنيين وكهربائيين ومديري مشروعات وجيولوجيين.

يُعتبر قطاع الاتصالات في المنطقة العربية قطاعًا مربحًا من الناحية المالية، ومن ناحية توفير فرص العمل. وتقترب البنية التحتية لهذا القطاع من مرحلة النضوج في معظم البلدان العربية، ويقترب اختراق الهاتف الخلوي في المنطقة من حدود الإشباع. وتبيّن في دراسة لبوز وشركاه (Booz & Company) أن اكتمال قطاع الاتصالات سيفتح آفاقًا جديدة من المتطلبات التي تعتمد على قطاع الخلوي[21]. وثمة طلب قوي في المنطقة العربية على الخدمات المتميزة والمنتوجات التي يقدمها هذا القطاع. وأصبح من الممكن جدًا، مع الانتشار السريع لتكنولوجيا الهواتف الذكية بين الشباب العرب، الاستفادة منها في صورة الخدمات المصرفية المتنقلة (mobile banking)، وفي تطوير المحتوى وتحسين واجهة المستخدم، وفي التجارة الإلكترونية أيضًا. بالتأكيد، ما زال على المنطقة العربية أن تطوّر إمكان التسديد المالي عبر الهاتف الجوال والتعامل المصرفي عبر الهاتف الجوال (الهواتف الذكية). في أي حال، وبعد متابعة مسار الأسواق الأخرى، من المتوقع أن تكسب هذه السوق تدريجًا المزيد من الجاذبية، مع نمو الثقة في السلامة والأمن على الإنترنت. يوجد طلب قوي في المنطقة العربية على المحتوى الرقمي باللغة العربية، بحسب لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (ESCWA). وستكون

(21) «Building the Digital Middle East: 2011 ICT Leaders' Event, Conference Insights,» (Booz and Company, Published in Association with the World Economic Forum, 2011), Available at: <http://www.insead.edu/facultyresearch/centres/elab/events/documents/BuildingtheDigitalMiddleEast_V6.pdf>.

هناك حاجة إلى آلاف الوظائف لملء هذه السوق غير المستغلة، مع ارتفاع عدد مستخدمي الإنترنت العرب[22].

بدأت سوق المحتوى الرقمي باللغة العربية، في الواقع، تكتسب مزيدًا من الزخم، وتحمل إمكانات كبيرة لخدمات متزايدة باللغة العربية في الاتصالات والأخبار والإعلام والترفيه والكتب الإلكترونية والتجارة الإلكترونية... إلخ. وجاء الدعم الذي أعطاه المحتوى الرقمي في اللغة العربية للتعليم الإلكتروني بوصفه أهم التطورات في هذا المجال، خصوصًا الدورات الدراسية على الإنترنت (MOOCs)، التي تقدم تعليمًا مجانيًا على الإنترنت لأي شخص يستطيع استخدامه. بدأت الشركات الناشئة التي تقدم دورات تعليمية على الإنترنت، مثل «نفهم» و«إدراك» و«تحرير أكاديمي»، و«SkillAcademy» بتلبية الحاجة إلى ظهور مواهب في التفكير النقدي بين الشباب العرب الحاصلين على التعليم الرسمي. وبدأت الأردن، على سبيل المثال، بتصدير المحتوى الرقمي في اللغة العربية الخاص بها، مثل واجهات مستخدم تعليمية باللغة العربية، وسلسلة رسوم متحركة باللغة العربية، وبرامج حاسوبية متخصصة بالعربية أيضًا. وظفت الأردن في عام 2011 أكثر من 11000 موظف في هذا القطاع الوليد الذي تبلغ قيمته 500 مليون دولار أميركي، ومن المتوقع أن ينمو ليضم 35000 موظف إضافي، مع ارتفاع عدد مستخدمي الإنترنت والهاتف الخلوي[23]. وسيستفيد الشباب العرب الخبيرون بالإنترنت من الوظائف التي يقدمها هذا القطاع، بما فيها (على سبيل المثال لا الحصر) المبيعات وتصميم المواقع الإلكترونية والتسويق والصحافة وتطوير البرامج وتطوير المحتوى.

لا يمكن أخيرًا تجاهل أهمية قطاع السياحة والفنادق في منطقة الشرق الأوسط، مع التنوّع الثقافي والتاريخي والطبيعي الذي تحتضنه المنطقة. وبإمكان

---

(22) United Nations, Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA), *Status of Digital Arabic Content Industry in the Arab Region* (New York: United Nations, 2012), Available at: <http://www.escwa.un.org/information/publications/edit/upload/e_escwa_ictd_12_tp-4_e.pdf>.

(23) Government of Jordan, «Jordan National Information and Communications Technology Strategy (2013-2017),» Available at: <http://www.intaj.net/sites/default/files/jordan_nis_june_2013.pdf>.

السياحة في العالم العربي الاستفادة من المسافرين غير الغربيين إلى المنطقة، مع نمو ثروة العالم غير الغربي. وتبيّن بأن الاستثمار في السياحة والفنادق هو من الاستراتجيات المربحة للتطوّر والتنوّع الاقتصادي[24]. تُعتبر السياحة الطبية أيضًا مجال خدمات ناشئًا، يمكن تطويره لجذب المسافرين، ودفعهم إلى زيارة أجزاء من المنطقة. وبدأت الأردن والإمارات العربية المتحدة بجذب الاهتمام الإقليمي والعالمي لخدماتهما الصحية. وأظهرت الدراسات بأنّ قطاع الفنادق والسياحة يقدم فرص توظيف مهمة للشباب، كمرشدين سياحيين وأمناء متاحف ومترجمين ومعلمين وحافظين ومسوقين وفنانين... إلخ، إضافة إلى ضخ العملة الصعبة في الاقتصادات المحلية ودعم تطوير البنية التحتية.

واحد من القطاعات الذي تطور بشكل كبير، بفضل الاستثمارات المتجددة من عدد من شركات النقل الخليجية، هو بروز خطوط جوية عربية كمنافسة جديّة على المستوى العالمي. فنقلت مثلًا شركة طيران الإمارات في دبي 255000 مسافر عندما بدأت العمل في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، أما في عام 2014 فنقلت هذه الشركة أربعة وعشرين مليون مسافر، ومن المتوقع أن يزداد هذا العدد في السنوات المقبلة مع اعتماد مسارات وطائرات جديدة. وتبيّن لي في خلال رحلاتي إلى المطارات الضخمة في الإمارات العربية أن هذا البلد أصبح المحور الأهم للمسافرين من أنحاء العالم المختلفة[25]. وتظهر بوضوح عملية البناء والتطوير في المطارات العربية، ليتمكّن مطار دبي الدولي قريبًا من استقبال مئة مليون مسافر كل عام. وسيتمتّع مطار المكتوم الدولي بقدرة أعلى، ليستقبل بين 160 مليون و220 مليون مسافر في عام 2030[26]. ويثير هذا الأمر الإعجاب، خصوصًا أن شركات الطيران الناجحة تساعد في تحسين صورة المنطقة في العالم، وتقرّب المسافرين من سكان المنطقة ومجتمعاتها.

---

(24) M. I. Kalesar, «Developing Arab-Islamic tourism in the Middle East: An Economic Benefit or a Cultural Seclusion?,» *International Politics*, vol. 3, no. 5 (2010), pp. 106-136.

(25) Saj Ahmad, «No Signs of Slowing for Emirates,» *Khaleej Times*, 18/11/2014, Available at: <http://www.khaleejtimes.com/biz/inside.asp?xfile=/data/opinionanalysis/2014/November/opinionanalysis_November22.xml&section=opinionanalysis>.

(26) المصدر نفسه.

ثالثًا: الأولوية السياسية لتوفير فرص العمل

يتمتّع الشباب العرب اليوم بروح ريادية وتقدمية وكوزموبوليتانية تميّزهم من جيل آبائهم. وعلى الرغم من أن هذه الميزة لا تفاجئ أولئك الذين يدرسون حالة الشباب في باقي أنحاء العالم خارج دول الغرب، لكن يظهر افتراض مضمر عندما يصل الموضوع إلى المنطقة العربية، بأن الأمور تتجه نحو الأسوأ. آمل أن يبدد كتابي هذا الافتراض. ولا أحاول تقديم الأعذار في هذا الكتاب في ما يتصل بفشل الحكومات العربية أو تخفيف التحديات، بل على العكس؛ فجل ما آمل في هذا الكتاب أن يساعد في تشجيع صانعي السياسة الإقليميين والعالميين على الاستفادة القصوى من قدرات الشباب العرب.

مثل الربيع العربي عملية إيقاظ قاسية للحكام الذين اعتقدوا أن الوضع القائم كافٍ لضمان رضا المجتمع العربي. وعلى الرغم من بعض الوعود بتغيير ديمقراطي ونمو الحوارات المدنية وازدياد الحراك عبر المنطقة، كان القمع يفوق التصوّر في دول مثل مصر وليبيا واليمن والعراق، وطبعًا سورية. لكن بما أن الحكومات العربية كانت غير مستقرة في عام 2010، فقد استمرت ضعيفة أمام الاحتجاج اللاحق والتظاهرات الداعية إلى تغيير جوهري. وسيبقى الشباب العرب القوة الدافعة للتغيير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في مجتمعاته.

يجب أن تتغيّر العلاقات الدبلوماسية بين الغرب والعالم العربي، مع ممارسة الشباب العرب مزيدًا من الأدوار القيادية في أنظمتهم السياسية. فلمدة طويلة جدًا، تم ترتيب زواج مصلحة بين الحكومات الغربية وأنظمة عربية مستبدة بسبب النفط أو بسبب مواقع جيوستراتيجية مهمة، سواءً مع الزعيم الليبي معمر القذافي أو الرئيس المصري حسني مبارك، ما سبب استياءً لدى كثير من العرب. في هذا الكتاب، يصلح الشباب العرب مثالًا عن إمكان رفع القدرة الإنتاجية للعالم العربي. وتتوفر فرصة كبيرة جدًا، إذا تأمنت الاستثمارات الصحيحة للنمو والازدهار الاقتصادي، بوجود قوة عاملة متعلمة ومليئة بالحماسة في العالم العربي. والتحدي سيكون في التأكد من

أن الشركات الغربية لا تبدو وكأنها شريكة في الامتيازات السياسية وانعدام الكفاءة في البيروقراطيات العربية، أو وكأنها تتملّق الرأسماليين في المنطقة. وعلى الشركات الغربية، هنا، أن تعمل في بيئة استثمارية مفتوحة، وأن تعلن عن تعاملاتها مع الحكومات العربية. وقبل أي شيء آخر، على الطرفين أن يعملا ضمن نظام سياسي مسؤول وشفاف.

يجب ألا ينسى أصحاب الأعمال الغربيين بأن الجماهير العربية تراقب حكوماتها، ومع عودة الموجة الديمقراطية إلى المنطقة، فهي ستعاقب الشركات والحكومات الغربية التي تتعامل مع الأنظمة الفاسدة. وبإمكان الشركات الغربية زيادة استثماراتها في المنطقة العربية، لكن من خلال تلبية حاجات الشعب العربي. فإذا قامت بهذا الأمر، ستجلب العائدات الإيجابية المالية، والسياسية والدبلوماسية إلى المنطقة العربية.

سُردت، على مدى الكتاب، القصص التي رواها كثير من الشباب. وفي حين أن رغباتهم وآمالهم وأحلامهم كانت مركز الاهتمام لهذا الكتاب، فهم أيضًا كانوا معنيين كثيرًا بالتأكيد بتصاعد العنف والطائفية والحرب الأهلية في العالم العربي. وتعوق الكثير من التحديات الجيوسياسية في المنطقة التغييرات التي يريدها الشباب العرب. واعتبر كثير منهم، في خلال محادثاتي معهم، أن الحكومات العربية تستخدم بشكل متكرر هذه التحديات لتعويق الإصلاحات الضرورية لمستقبل أفضل.

رابعًا: الطائفية والعنف والشباب العرب

ربما تكون القضية الأكثر بروزًا في العناوين اليوم هي المتعلقة بالتوترات الطائفية بين المسلمين السنّة والشيعة، وبين الأقباط والمسلمين السنّة، وغيرها الكثير من التحديات الصعبة التي تواجه الأقليات الدينية في المنطقة العربية. استحوذ العنف المتواصل والحروب الأهلية الجديدة أيضًا على الاهتمام العالمي، خصوصًا مع ظهور مجموعات إرهابية جديدة مثل الدولة الإسلامية (داعش). وأريد أن أوضح أولًا، ومن دون أن يكون ذلك للتقليل من التحديات

الحقيقية التي يفرضها ذلك على المنطقة بأسرها، أنه من المهم تظهير واقع أن هذه التوترات والعنف لا تعم في الواقع المنطقة كلها.

تُعتبر بلدان مثل العراق وسورية ولبنان واليمن من دون شك الأكثر عرضة للنزاعات الطائفية من بين الدول العربية الثماني عشرة الأخرى التي تمت مقاربتها في هذا الكتاب. وتُعتبر الدول الثلاث الأولى الأكثر تنوعًا من الناحية العرقية والدينية في المنطقة العربية. إن انعكاس الثورة السورية التي تحوّلت إلى حرب أهلية، على لبنان والعراق هو أمر مؤسف بقدر ما هو حقيقي: تعززت بقوة الطائفية والعنف الطائفي في هذه البلدان، ولا أرغب مطلقًا في التقليل من تأثير هذه العوامل في هذا الجيل من الشباب.

أذكر لقائي بملحم من سورية، الذي يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، وسؤالي له: «ماذا يظن عن التصعيد المذهبي في وطنه»، فأجاب: «وكأننا نشاهد مباراة في كرة القدم لم تكن لتعرض على شاشة التلفزيون من قبل، ويطلب منا الآن أن نختار فريقًا لتشجيعه. لم يكن لديّ أي فريق لتشجيعه منذ خمس سنوات، وأتمنى بعد خمس سنوات أُخرى ألا نهتم بهذه اللعبة المريعة».

المنطقة العربية في حالة تغيّر جيوسياسي، وعلى الرغم من الجروح العميقة التي قد تكون سبَّبتها الصراعات الفئوية في بعض البلدان، لكن دعونا لا نفترض بأن هذه الجروح لن تكون قابلة للشفاء. ولإعطاء سبب للأمل، استخدم مؤخرًا كل من الأستاذة أماني جمال من جامعة برنستون والأستاذ مايكل هوفمان من جامعة جورجتاون، بيانات إحصاء عربية للتأكيد أن الأغلبية العظمى من العرب تتقبّل المسيحيين والأقليات الدينية في أوطانها، بما في ذلك المناطق المضطربة مثل مصر والعراق[27]. هذا لا يصرف النظر عن تزايد العنف الذي تمارسه المنظمات المتشددة ضد الأقليات الدينية، لكن يتبيّن من

(27) انظر: Michael Hoffman, «Attitudes towards Religious Minorities in the Arab World,» (Georgetown University, Religious Freedom Project (RFP), Berkley Center for Religion, Peace and World Affairs, 27 August 2014), Available at: <http://berkleycenter.georgetown.edu/cornerstone/global-christian-persecution/responses/attitudes-towards-religious-minorities-in-the-arab-world>.

هذا الأمر أن الجماهير العربية لا تدعم أو تشارك الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة في تكتيكاتهما.

يشكّل تزايد التطرّف والعنف والإرهاب في أجزاء من ليبيا والعراق ومصر وسورية ولبنان إحباطًا من دون شك. لكن ما يريح هنا أن معظم العرب يملك آراء سلبية عن مجموعات مثل القاعدة وحزب الله وحماس[28]. في الواقع، وصل الخوف من التطرّف إلى مستويات غير مسبوقة في المنطقة، وترتفع صرخة المجتمعات ضد هذه المجموعات والحركات التي تستعمل العنف لتحقيق أهداف سياسية، كلما اقتربت العمليات الإرهابية من المنازل[29]. وأظهرت دراسة استطلاعية قام بها المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في آذار/ مارس 2015، أن «الأغلبية العظمى من المشاركين - 86 في المئة - يرون الدولة الإسلامية (داعش) منظمة راديكالية، ولا تمثل الإسلام الحقيقي»[30]. وعندما سُئلوا عن محاربة الدولة الإسلامية (داعش)، دعم معظم الذين شاركوا بالدراسة الاستطلاعية الضربات الجويّة ضد هذا التنظيم، لكنه عبّر عن مخاوف من أضرار جانبية، مثل مقتل المدنيين، وقلق من توسيع هذه الحملة[31].

يوجد نوع من الشك بين الشباب العرب، في البلدان التي لم تتأثّر أو تُصاب بداء النزاع الطائفي، في أن هذا العنف يحدث في المنطقة. وإني متأكدة، بصفتي باحثة متنقلة في المنطقة، أن كثيرين في موقعي سمعوا الرأي المتحدث عن توجيه خارجي للعنف في المنطقة العربية. وينتشر الرأي القائل أيضًا إن الطائفية

(28) «Concerns about Islamic Extremism on the Rise in Middle East,» (Pew Research Center, 1 July 2014), Available at: <http://www.pewglobal.org/2014/07/01/concerns-about-islamic-extremism-on-the-rise-in-middle-east/>.

(29) انظر: المصدر نفسه.

(30) «Palestinian Public Opinion Poll No (55) Press Release,» (Palestinian Center for Policy and Survey Research, 24 March 2015), Available at: <http://pcpsr.org/en/node/603>.

(31) «The Military Campaign against the Islamic State in Iraq and the Levant: Arab Public Opinion,» (Arab Center for Research and Policy Studies, 11 November 2014), Available at: <http://english.dohainstitute.org/file/Get/40ebdf12-8960-4d18-8088-7c8a077e522e>.

وصعود الدولة الإسلامية (داعش) هما جزء من مشروع غربي يهدف إلى تدمير المنطقة. فاعتبرت أن هذا النوع من التفكير، في ردة فعلي كأكاديمية، ناتج من الجهل في الحقائق، قبل أن أرى فيه آلية للتأقلم في مواجهة واقع رهيب.

أسمع في مرات لا تحصى، العبارات القائلة إن «الإسلام لا يدعم هذا العنف ضد الأقليات، ولا يقوم به مسلمون حقيقيون»، أو «لم نعانِ من الطائفية حتى احتلت الولايات المتحدة العراق»، أو «جاءت الدولة الإسلامية (داعش) من حيث لا ندري. ولا يقاتل المسلمون الحقيقيون مع الدولة الإسلامية (داعش)». هذه الآراء ليست صحيحة بالطبع، لكنني أعتقد أن أي شخص يفكر منطقيًا سيُفضّل هذه الإجابات على الاعتراف (مهما كان هذا الاعتراف غير صحيح) بأن العنف الطائفي والطائفية والإرهاب قد تسللوا إلى القيم العربية. ويحدوني الأمل عندما أرى الأغلبية العظمى من العرب ترفض علنًا وبشدة التطرّف في القيم الثقافية والاجتماعية. وهناك حاجة كبيرة إلى معالجة الجروح التي تسببت بها الطائفية والعنف، كما هناك حاجة إلى القيام بنوع من البحث الروحي، لفهم كيف وصلت المنطقة إلى هذا الوضع اليوم، ولماذا.

تقع مسؤولية القيام بهذا البحث الروحي أولًا على الحكومات العربية. فيجب عليها ألا تستخدم مطلقًا الورقة الطائفية، ويجب أن تتوقف عن لوم الحكومات الأجنبية على إخفاقها، خصوصًا عندما يكون هناك تواطؤ في الإخفاقات المحلية. وعلى هذه الحكومات أخيرًا شرح كيف تخطط للاشتراك في الحرب ضد المنظمات الإرهابية، ولماذا؛ إذ إن نقص الشفافية في المنطقة العربية عزز سوء الفهم المجتمعي ونظريات المؤامرة والمعايير الإعلامية الضعيفة في التغطية. ويجب على الحكومات العربية ألا تساوي بين الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة - وقتلت هاتان المنظمتان من المسلمين أكثر من غير المسلمين - وانتشار الإسلام السياسي. إن الحكومات العربية التي استطاعت إيجاد مساحة للمنظمات الإسلامية غير العنفية تمكنت من تحقيق الازدهار السياسي والاقتصادي، كما في تونس والمغرب والأردن (ولو بشكل متقطّع). مع ذلك، فإن الوقوع في تجربة تعميم النظرة إلى جميع الإسلاميين

من دون التمييز في ما بينهم سيرتد سلبًا في السياسة على الحكومات العربية. وعلى الرغم من نقص الإيمان العقائدي لدى جيل الشباب، إلا أنه يبقى عمومًا مؤمنًا روحيًا، وسيؤدي أي تغييب للمسلمين الذين لا يعتمدون العنف إلى عزل هذا الجيل أكثر.

أخيرًا، ما يحيي الأمل في نفسي هو حقيقة أنه في مدينة مثل بغداد، الواقعة في وسط الصراع الطائفي في العراق، لا يزال 30 في المئة من سكانها مختلطين مذهبيًا بين السنّة والشيعة، حيث غالبًا ما يكون والدا الفرد من الطائفتين المذكورتين. وفي أوج الخلافات المذهبية في الحكومة العراقية في عام 2014، انطلقت حملة على التويتر لأشخاص يعرّفون عن أنفسهم بأنهم سنة وشيعة، واستخدموا الهاشتاغ «سوشي» (#sushi) للتواصل في ما بينهم. وتذكرني حركة سوشي بأن مستقبل الشباب العرب ستحدده الفرص السياسية والاقتصادية بدلًا من الانقسامات الدينية التي عفا عليها الزمن. إن الشباب العرب محبطون من الطبيعة المفككة للأنظمة الاجتماعية العربية، القائمة على الانقسامات والخلافات. وستكون رؤية هؤلاء الشباب في مراكز القيادة والقوة السياسية سببًا للاحتفال.

يجب على الحكومات العربية أن تعطي مواطنيها وشبابها سببًا للأمل والتفاؤل للقضاء على العنف. ويُعتبر توفير فرص العمل الجيدة، والشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تسمح للناس بالنجاح وتعطيهم دورًا في استقرار وطنهم وازدهاره، وسيلة أساسية للقضاء على الإرهاب والعنف. تعززت المذهبية في البلدان التي تتسم بحوكمة سيئة، حيث تجزي الأنظمة السياسية الأحزاب التي تركّز على الانقسامات بدلًا من القواسم المشتركة. وعلى الأحزاب أن تبتعد بخطاباتها عن البرامج المعتمدة على الهويات العرقية والدينية. ويجب أن يحصل هذا الأمر في لبنان والعراق، حيث لا تزال هناك انقسامات طائفية عميقة. إن الزعماء السياسيين الذين يلعبون الورقة الطائفية، يغذون نار النزاعات الطائفية، وهذا ما يجب أن يتوقف. يستحق الشباب العرب مستقبلًا أفضل، وعلى الحكومات العربية أن تجهد لتأمين هذا المستقبل.

أفكار أخيرة

قد يوافق كثيرون على أن المنطقة العربية على عتبة التغيير. لكن لا يزال هناك نقاش في شأن ماهية هذا التغيير، وإذا كان في اتجاه الأفضل أو الأسوأ. يحاول هذا الكتاب إظهار اختلاف جيل اليوم من الشباب العرب عن الأجيال السابقة، وأن الأمل في يدهم. يأخذ أستاذ التاريخ خوان كول في كتابه **العرب الجدد** (*The New Arabs*) القراء بعيدًا داخل تاريخ العالم الثوري، ليظهر ويثبت أن الشباب العرب سيقودون المنطقة نحو مستقبل سياسي أفضل[32]. ويرى مروان المعشر في كتابه **الصحوة العربية الثانية** (*The Second Arab Awakening*) أن الربيع العربي صرخة للتعددية والتسامح، لم يتخلَّ عنها بعد الشباب العرب[33]. وإني مقتنعة، كما كول والمعشر، بأن الربيع العربي هو البداية، وعلى المرء اعتماد نظرة تاريخية أبعد مدى لرؤية نتائج هذه الثورات التي أطاحت مستبدين آسنين.

يواجه الشباب العرب في المنطقة تحديات كبيرة، لكني أذكّر بالحقيقة البسيطة القائلة إن هذا الجيل سيقود المنطقة بعد عشرين سنة أو أكثر، وستنتهي صلاحية الأنظمة الاستبدادية القديمة. ينتشر الكثير من الآراء النمطية عن المنطقة العربية التي لا تتطابق مع الواقع. نعم توجد أجزاء متخلفة في المنطقة، يُمكن تمزيقها من صفحات كتاب **ألف ليلة وليلة**. نعم توجد دعاية سياسية في المنطقة تذكرنا بكتاب **مزرعة الحيوان** لجورج أورويل (George Orwell). نعم يوجد أناس يحملون معتقدات دينية تعود إلى العصور الوسطى، لكنهم لا يمثلون المنطقة العربية كلها. ينتقد الشباب العرب، ويسخرون ويرفضون بشكل متزايد القوى التي تمنعهم من دخول المجتمع الحديث الذي يطمحون إليه. وإني أومن بأن الشباب العرب سينتصرون على هذه القوى، على أمل أن يحصل ذلك بعد أن يقرأوا هذا الكتاب، كما ستنتصر أنت أيضًا.

---

(32) Juan Cole, *The New Arabs: How the Millennial Generation Is Changing the Middle East* (New York: Simon and Schuster, 2014).

(33) Marwan Muasher, *The Second Arab Awakening: And the Battle for Pluralism* (New Haven, CT: Yale University Press, 2014).

الجدول (الخاتمة – 1)

مجموع إعلانات التوظيف في العالم العربي بحسب البلد من عينة n = 4976

المنطقة	مجموع إعلانات التوظيف	النسبة المئوية
الإمارات العربية المتحدة	2765	٪ 56
قطر	896	٪ 18
المملكة العربية السعودية	741	٪ 15
الكويت	198	٪ 4
عُمان	153	٪ 3
مصر	72	٪ 1
البحرين	62	٪ 1
العراق	51	٪ 1
بلدان أخرى(*)	42	٪ 1
المجموع	4976	٪ 100

(*) وتتضمن لبنان، الأردن، المغرب، السودان، تونس، ليبيا، الجزائر واليمن.

المصدر: «Gulf Jobs and Salaries Set to Grow Faster in 2014,» (Gulf Talent, 17 March 2014), Available at: <https://www.gulftalent.com/resources/employment-news/gulf-jobs-and-salaries-set-to-grow-faster-in-2014-53>.

الجدول (الخاتمة – 2)

النمو الاقتصادي بحسب القطاع في الإمارات العربية المتحدة (2000–2012)

القطاع الاقتصادي	النمو 2000 – 2012	معدل النمو السنوي
المناجم والمحاجر	٪ 112.82	٪ 8.68
النفط الخام والغاز الطبيعي	٪ 113.31	٪ 8.72
المحاجر	٪ 43.38	٪ 3.34
الصناعات التحويلية	٪ 10.85 –	٪ 0.83 –

يتبع

تابع

الكهرباء، والغاز، والماء	٪ 81.26	٪ 6.25
البناء	٪ 23.44	٪ 1.80
تجارة الجملة وخدمات التصليح	- ٪ 21.36	- ٪ 1.64
المطاعم والفنادق	٪ 4.79	٪ 0.37
النقل، والتخزين، والاتصالات	٪ 37.87	٪ 2.91
العقارات وخدمات الأعمال	٪ 15.14	٪ 1.16
الخدمات الاجتماعية والشخصية	٪ 49.37	٪ 3.80
الشركات المالية	٪ 53.65	٪ 4.13

المصدر: الإمارات العربية المتحدة، مديرية الإحصاء، 2014.

الجدول (الخاتمة - 3)

النمو الاقتصادي بحسب القطاع في الأردن (2012 - 2013)

القطاع الاقتصادي	نمو في 2012-2013	القطاع الاقتصادي	نمو في 2012-2013
الزراعة، الصيد، الغابات، وصيد السمك	- ٪ 3.52	المطاعم والفنادق	٪ 2.99
المناجم والمحاجر	- ٪ 10.96	النقل والتخزين والاتصالات	٪ 3.95
التصنيع	٪ 1.93	المال والتأمين والعقارات وخدمات الأعمال	٪ 3.97
الكهرباء والماء	٪ 0.79	خدمات مالية وتأمينية	٪ 5.88
البناء	٪ 8.67	العقارات	٪ 2.21
تجارة الجملة والتجزئة، والمطاعم، والفنادق	٪ 3.18	خدمات اجتماعية وشخصية	٪ 5.69
تجارة الجملة والتجزئة	٪ 3.20		

المصدر: الأردن، دائرة الإحصاء، 2014.

الشكل (الخاتمة – 1)
توزع الوظائف في إعلانات التوظيف في العالم العربي من عينة n = 4976
(بالنسبة المئوية)

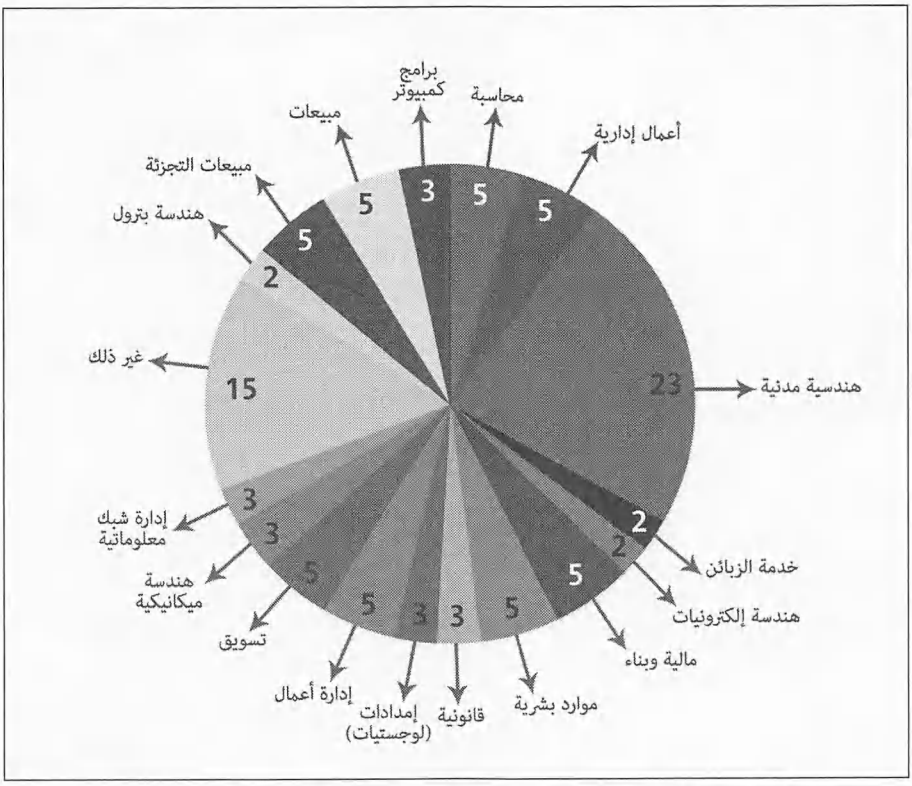

ملاحظة: تتضمن كلمة «غير ذلك» الهندسة المعمارية، الهندسة الكيميائية، المطاعم، هندسة الطاقة، الشراء، الصحة، التصميم، الخدمات الأكاديمية، السلامة، البيئة، التمريض، البحث والتطوير، المبيعات عبر الهاتف، الطب، الاستثمار، الأمن، الصحافة، الترجمة وغيرها.

المصدر: «Gulf Jobs and Salaries Set to Grow Faster in 2014».

المراجع

Books

Aguirre, DeAnne [et al.]. *Empowering the Third Billion: Women and the World of Work in 2012.* [San Francisco]: Booz and Co., 2012. Available at: <http://www.strategyand.pwc.com/global/home/what-we-think/reports-white-papers/article-display/empowering-third-billion-women-world>.

Albright, Madeleine K. and Vin Weber (co-chairs). *In Support of Arab Democracy: Why and How, Report of an Independent Task Force.* Project Director Steven A. Cook. New York: Council on Foreign Relations, 2005. (Independent Task Force Report; no. 54)

Amin, Magdi [et al.]. *After the Spring: Economic Transitions in the Arab World.* Oxford; New York: Oxford University Press, 2012.

ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2010/11 (Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2011), Available at: <http://arabyouthsurvey.com/wp-content/themes/arabyouth-english/downloads/2010-2011/ays-whitepaper-2010.pdf>.

ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2013: Our Best Days Are Ahead of Us. Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2013.

ASDA'A Burson-Marsteller: Arab Youth Survey, 2014: We Want to Embrace Modern Values. Dubai: ASDA'A Burson-Marsteller, 2014. Available at: <http://arabyouthsurvey.com/wp-content/themes/arabyouth-english/downloads/AYS-Whitepaper-en.pdf>.

Beidas-Strom, Samya [et al.]. *Gulf Cooperation Council Countries: Enhancing Economic Outcomes in an Uncertain Global Economy.* Washington, DC: International Monetary Fund, 2011. Available at: <https://www.imf.org/external/pubs/ft/dp/2011/1101mcd.pdf>.

Brittingham, Angela and G. Patricia de la Cruz. *We the People of Arab Ancestry in the United States*. Washington, DC: U. S. Census Bureau, 2005. (Census 2000, Special Reports; CENSR-21)

Brownlee, Jason. *Authoritarianism in an Age of Democratization*. Cambridge, England; New York: Cambridge University Press, 2007.

Brynen, Rex [et al.]. *Beyond the Arab Spring: Authoritarianism and Democratization in the Arab World*. Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2012.

Cammett, Melani and Ishac Diwan. *The Political Economy of the Arab Uprisings*. Boulder, CO: Westview Press, 2013. (Westview Press Spotlight)

Castells, Manuel and Gustavo Cardoso (eds.). *The Network Society: From Knowledge to Policy*. Washington, DC: Center for Transatlantic Relations, Paul H. Nitze School of Advanced International Studies, Johns Hopkins University, 2006.

Clark, Janine A. *Islam, Charity, and Activism: Middle-Class Networks and Social Welfare in Egypt, Jordan, and Yemen*. Bloomington, Ind.: Indiana University Press, 2004. (Indiana Series in Middle East Studies)

Cole, Juan. *The New Arabs: How the Millennial Generation Is Changing the Middle East*. New York: Simon and Schuster, 2014.

Dabrowski, Marek. *Macroeconomic and Fiscal Challenges Faced by the Southern and Eastern Mediterranean Region*. Warsaw: Center for Social and Economic Research (CASE), 2014. (CASE Network Studies and Analyses; 471)

Deloitte. *Arab States Mobile Observatory, 2013*. London: Groupe Speciale Mobile Association (GSMA), 2013.

Dhillon, Navtej and Tarik Yousef (eds.). *Generation in Waiting: The Unfulfilled Promise of Young People in the Middle East*. Washington, DC: Brookings Institution Press, 2009.

Drotner, Kirsten and Sonia Livingstone (eds.). *The International Handbook of Children, Media and Culture*. Los Angeles: SAGE, 2008.

Education for All by 2015: Will We Make It?. Paris: UNESCO Publishing; Oxford; New York: Oxford University Press, 2008. (EFA Global Monitoring Report; 2008)

Edwards, Brian T. (ed.). *On the Ground: New Directions in Middle East Studies*. Doha: Northwestern University in Qatar, 2014.

Etling, Bruce [et al.]. *Mapping the Arabic Blogosphere: Politics, Culture, and Dissent.* Cambridge, MA: Internet and Democracy Project, Berkman Center for Internet and Society, 2009. (Internet and Democracy Case Study Series, Berkman Center Research Publication; no. 2009-06)

Florida, Richard. *The Rise of the Creative Class: And How It's Transforming Work, Leisure, Community and Everyday Life.* New York: Basic Books, 2002.

A Generation on the Move: Insights into the Conditions, Aspirations, and Activism of Arab Youth. Beirut: American University of Beirut, Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs, 2011.

Grand, Stephen R. *Understanding Tahrir Square: What Transitions Elsewhere Can Teach Us about the Prospects for Arab Democracy.* Washington, DC: Brookings Institution Press, 2014.

Gurr, Ted R. *Why Men Rebel.* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1970.

Hamid, Shadi. *Temptations of Power: Islamists and Illiberal Democracy in a New Middle East.* Oxford; New York: Oxford University Press, 2014.

Hattab, Hala. *Global Entrepreneurship Monitor: GEM Egypt Report, 2012.* London: Global Entrepreneurship Monitor, 2012.

Huntington, Samuel P. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order.* New York: Simon and Schuster, 1996.

International Financial Corporation (IFC) and Islamic Development Bank (IDB). *Education and Employment: Realizing Arab Youth Potential.* Washington, DC: IFC; Jeddah, Saudi Arabia: IDB, 2011. Available at: <http://www.e4earabyouth.com/pdf/MGLPDF136022536640.pdf>.

International Monetary Fund, Middle East and Central Asia Department. *Regional Economic Outlook, April 2011: Middle East and Central Asia.* Washington, DC: International Monetary Fund, 2011. (World Economic and Financial Surveys)

Jebnoun, Noureddine, Mehrdad Kia and Mimi Kirk (eds.). *Modern Middle East Authoritarianism: Roots, Ramifications, and Crisis.* London; New York: Routledge, Taylor and Francis Group, 2014. (Routledge Studies in Middle East Authoritarianism)

Kassem, May. *In the Guise of Democracy: Governance in Contemporary Egypt.* Reading, MA: Ithaca Press, 1999.

Kew, Jacqui [et al.]. *Generation Entrepreneur?: The State of Global Youth Entrepreneurship, Understanding the Entrepreneurial Attitudes, Aspirations and Activities of Young People.* Washington, DC: Global Entrepreneurship Monitor (GEM); London: Youth Business International (YBI), 2013.

Kymlicka, will and Eva Pföstl (eds.). *Multiculturalism and Minority Rights in the Arab World.* Oxford, UK: Oxford University Press, 2014.

Lamine, Bechir (ed.). *Towards an Arab Higher Education Space: International Challenges and Societal Responsibilities.* Beirut: UNESCO Regional Bureau for Education in the Arab States, 2010.

Lindsay, Colin. *The Arab Community in Canada, 2001.* Ottawa: Statistics Canada, 2007. (Profiles of Ethnic Communities in Canada, Analytical Paper; no. 9). Available at: <http://www.statcan.gc.ca/pub/89-621-x/89-621-x2007009-eng.pdf>.

Lynch, Marc. *The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East.* New York: PublicAffairs, 2013.

Mabokela, R. O. (ed.). *Soaring Beyond Boundaries: Women Breaking Educational Barriers in Traditional Societies.* Rotterdam: Sense Publishers, 2007.

Mahajan, Vijay. *The Arab World Unbound: Tapping into the Power of 350 Million Consumers.* San Francisco: Jossey-Bass, 2012.

Makiya, Kanan. *Republic of Fear: The Politics of Modern Iraq.* Updated Ed. with New Introd. Berkeley: University of California Press, 1998.

Mazzucato, Mariana. *The Entrepreneurial State: Debunking Public vs. Private Sector Myths.* Revised Edition. London; New York: Anthem Press, 2014. (Anthem Frontiers of Global Political Economy. Anthem Other Canon Economics)

Migration and the Gulf. Washington, DC: Middle East Institute, 2010. (Middle East Institute Viewpoints)

Migration Aspirations and Experiences of Egyptian Youth. Cairo: International Organization for Migration (IOM), 2011.

Mohammed bin Rashid Al Maktoum Foundation (MBRF) and United Nations Development Programme (UNDP), Regional Bureau for Arab States. *Arab Knowledge Report, 2009: Towards Productive Intercommunication for Knowledge.* Dubai: United Nations Development Programme, Regional Bureau for Arab States, 2009. Available at: <http://www.undp.org/content/dam/rbas/report/ahdr/AKR2009-Eng-Full-Report.pdf>.

Muasher, Marwan. *The Second Arab Awakening: And the Battle for Pluralism.* New Haven, CT: Yale University Press, 2014.

Noland, Marcus and Howard Pack. *The Arab Economies in a Changing World.* 2nd ed. Washington, DC: Peterson Institute for International Economics, 2011.

Özden, Çağlar and Maurice Schiff (eds.). *International Migration, Economic Development and Policy.* Washington, DC: World Bank; Basingstoke; New York: Palgrave Macmillan, 2007. (Trade and Development Series)

Plaza, Sonia and Dilip Ratha (eds.). *Diaspora for Development in Africa.* Washington, DC: World Bank, 2011.

Population Council. *Survey of Young People in Egypt: Final Report Population Council West Asia and North Africa Office.* Cairo: Population Council West Asia and North Africa, 2011. Available at: <http://www.popcouncil.org/uploads/pdfs/2010PGY_SYPEFinalReport.pdf>.

Pratt, Nicola. *Democracy and Authoritarianism in the Arab World.* Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2007.

Pripstein-Posusney, Marsha and Michele Penner Angrist (eds.). *Authoritarianism in the Middle East: Regimes and Resistance.* Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishers, 2005.

Rheingold, Howard. *Smart Mobs: The Next Social Revolution: Transforming Cultures and Communities in the Age of Instant Access.* Reading, MA: Basic Books, 2007.

Sabbagh, Karim [et al.]. *Understanding the Arab Digital Generation.* Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012.

Sadiki, Larbi. *Rethinking Arab Democratization: Elections without Democracy.* Oxford; New York: Oxford University Press, 2009. (Oxford Studies in Democratization)

Salem, Fadi and Racha Mourtada. *Social Media, Employment and Entrepreneurship: New Frontiers for the Economic Empowerment of Arab Youth?.* Dubai: Dubai School of Government, 2012.

Schroeder, Christopher M. *Startup Rising: The Entrepreneurial Revolution Remaking the Middle East.* Foreword by Marc Andreessen. New York: Palgrave Macmillan, 2013.

Shediac, Richard, Samer Bohsali and Hatem Samman. *The Bedrock of Society: Understanding and Growing the MENA Region's Middle Class.* Abu Dhabi, UAE: Booz and Co., 2012.

Shediac, Richard [et al.]. *Generations A: Differences and Similarities Across the Arab Generations*. New York: Booz and Co., 2013. Available at: <http://www.strategyand.pwc.com/global/home/what-we-think/reports-white-papers/article-display/arab-generations>.

Tickner, Arlene B. and David L. Blaney (eds.). *Thinking International Relations Differently*. New York: Routledge, 2012. (Worlding Beyond the West; 2)

Toward New Horizons: Arab Economic Transformation Amid Political Transitions. Prepared by a Staff Team Led by Harald Finger and Daniela Gressani; Comprising Khaled Abdelkader [et al.]. Washington, DC: International Monetary Fund, 2014.

United Arab Emirates, Ministry of Education. *Annual Report on Schools in the Emirate of Ras Al Khaimah*. Ras Al Khaimah, UAE: Sheikh Saud bin Saqr Al Qasimi Foundation, 2008.

United Nations Development Programme (UNDP). *Arab Development Challenges Report 2011: Towards the Developmental State in the Arab Region*. Cairo: UNDP, Regional Centre for Arab States, 2011.

United Nations, Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA). *Status of Digital Arabic Content Industry in the Arab Region*. New York: United Nations, 2012. Available at: <http://www.escwa.un.org/information/publications/edit/upload/e_escwa_ictd_12_tp-4_e.pdf>.

United Nations Human Settlements Programme. *The State of Arab Cities 2012: Challenges of Urban Transition*. Nairobi, Kenya: United Nations Human Settlements Programme, 2012.

World Bank. *Free to Prosper, Jobs in the Middle East and North Africa*. Washington, DC: World Bank, 2013.

_____. *Transforming Arab Economies: Traveling the Knowledge and Innovation Road*. Washington, DC: World Bank, 2013.

The World's Muslims: Religion, Politics and Society. Washington, DC: Pew Research Center's Forum on Religion and Public Life, 2013.

Zogby, James. *Attitudes of Arabs, 2005: An In-Depth Look at Social and Political Concerns of Arabs*. [Washington, DC]: Arab American Institute, 2005. Available at: <http://www.aaiusa.org/reports/attitudes-of-arabs-2005>.

Periodicals

Abdih, Yasser. «Closing the Jobs Gap.» *Finance and Development*: vol. 48, no. 2, June 2011.

Agrawal, Ajay [et al.]. «Brain Drain or Brain Bank? The Impact of Skilled Emigration on Poor-Country Innovation.» *Journal of Urban Economics*: vol. 69, no. 1, January 2011.

Baumrind, Diana. «Effects of Authoritative Parental Control on Child Behavior.» *Child Development*: vol. 37, no. 4, 1966.

Bellin, Eva R. «The Robustness of Authoritarianism in the Middle East: Exceptionalism in Comparative Perspective.» *Comparative Politics*: vol. 36, no. 2, 2004.

Brumberg, Daniel. «Democratization in the Arab World? The Trap of Liberalized Autocracy.» *Journal of Democracy*: vol. 13, no. 4, October 2002.

Cainkar, Louise. «Global Arab World Migrations and Diasporas.» *Arab Studies Journal*: vol. 21, no. 1, Spring 2013.

_____. «The Social Construction of Difference and the Arab American Experience.» *Journal of American Ethnic History*: vol. 25, nos. 2-3, Winter-Spring 2006.

Cresswell, Tim. «Towards a Politics of Mobility.» *Environ Plan D*: vol. 28, no. 1, February 2010.

De Jong, Julie and Mansoor Moaddel. «Trends in Values among Saudi Youth: Findings from Values Surveys.» *Journal of the History of Childhood and Youth*: vol. 6, no. 1, Winter 2013.

Diamond, Larry. «Why Are There No Arab Democracies.» *Journal of Democracy*: vol. 21, no. 1, January 2010.

Jamal, Amaney and Mark Tessler. «The Democracy Barometers: Attitudes in the Arab World.» *Journal of Democracy*: vol. 19, no. 2, January 2008.

Kalesar, M. I. «Developing Arab-Islamic tourism in the Middle East: An Economic Benefit or a Cultural Seclusion?.» *International Politics*: vol. 3, no. 5, 2010.

Levitt, Peggy and Deepak Lamba-Nieves. «Social Remittances Revisited.» *Journal of Ethnic and Migration Studies*: vol. 37, no. 1, 2011.

Lynch, Marc. «Blogging the New Arab Public.» *Arab Media and Society*: no. 1, Spring 2007. Available at: <http://www.arabmediasociety.com/topics/index.php?t_article=32>.

Mansourfar, Gholamreza, Shamsher Mohamad and Taufiq Hassan. «The Behavior of MENA Oil and Non-Oil Producing Countries in International Portfolio Optimization.» *Quarterly Review of Economics and Finance*: vol. 50, no. 4, 2010.

McCormick, Barry and Jackline Wahba. «Return International Migration and Geographical Inequality: The Case of Egypt.» *Journal of African Economies*: vol. 12, no. 4, 2003.

Nagel, Caroline R. and Lynn A. Staeheli. «Citizenship, Identity and Transnational Migration: Arab Immigrants to the United States.» *Space and Polity*: vol. 8, no. 1, 2004.

Nasr, Vali. «Point of View.» *Finance and Development*: March 2013. Available at: <http://www.imf.org/external/pubs/ft/fandd/2013/03/pdf/nasr.pdf>.

Peck, Jamie. «Struggling with the Creative Class.» *International Journal of Urban and Regional Research*: vol. 29, no. 4, December 2005.

Saxenian, Anna Lee. «From Brain Drain to Brain Circulation: Transnational Communities and Regional Upgrading in India and China.» *Studies in Comparative International Development*: vol. 40, no. 2, Summer 2005.

Schwedler, Jillian. «Amman Cosmopolitan: Spaces and Practices of Aspiration and Consumption.» *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*: vol. 30, no. 3, 2010.

Tessler, Mark. «Popular Views about Islam and Politics in the Arab World.» *II Journal* (International Institute Journal): vol. 1, no. 1, Fall 2011.

Useem, Ruth Hill and Richard D. Downie. «Third-Culture Kids.» *Today's Education*: vol. 65, no. 3, September-October 1976.

Vertovec, Steven. «Conceiving and Researching Transnationalism.» *Ethnic and Racial Studies*: vol. 22, no. 2, 1999.

Vohra, Monita, Gagan Bhalla and Aurobindo Chowdhury. «Understanding the Islamic Consumer.» *Research World*: February 2009.

Wahba, Jackline and Yves Zenou. «Out of Sight, Out of Mind: Migration, Entrepreneurship and Social Capital.» *Regional Science and Urban Economics*: vol. 42, no. 5, 2012.

Wiktorowicz, Quintan. «The Limits of Democracy in the Middle East: The Case of Jordan.» *Middle East Journal*: vol. 53, no. 4, Autumn 1999.

Conferences

The 2nd Regional Research Seminar for Arab States on «The Impact of Globalization on Higher Education and Research in the Arab States.» (UNESCO Forum on Higher Education, Research and Knowledge, Rabat, 25-

26 May 2007). Available at: «Building the Future: Jobs, Growth, and Fairness in the Arab World.» (Government of Jordan, Arab Fund for Economic and Social Development, International Monetary Fund, Amman, 11-12 May 2014). Available at: <http://www.imf.org/external/np/seminars/eng/2014/act/>.

«Building the Future: Jobs, Growth, and Fairness in the Arab World.» (Government of Jordan, Arab Fund for Economic and Social Development, International Monetary Fund, Amman, 11-12 May 2014). Available at: <http://www.imf.org/external/np/seminars/eng/2014/act/>.

Documents

Al-Misnad, Sheikha Abdulla. «The Dearth of Qatari Men in Higher Education: Reasons and Implications.» (Middle East Institute (MEI), 20 June 2012). Available at: <http://www.mei.edu/content/dearth-qatari-men-higher-education-reasons-and-implications>.

Aoun, Bassem. «Entrepreneurship for Growth – Starting Small not a Bad Idea.» (Your Middle East, 23 August 2013). On the Web: <http://www.yourmiddleeast.com/business/entrepreneurship-for-growth-starting-small-not-a-bad-idea_17312>.

«The Arab Spring: Results of The Arab Youth Opinion Poll.» (Report, Al Jazeera Centre for Studies, 30 July 2013). Available at: <http://studies.aljazeera.net/en/reports/2013/07/20137296337455953.htm>.

«BRICS and Emerging Economies Rankings, 2014.» On the Web: <http://www.timeshighereducation.co.uk/world-university-rankings/2014/brics-and-emerging-economies>.

«Brief Fiscal Year Statistical Report.» (Suez Canal Traffic Statistics, Government of Egypt). Available at: <http://www.suezcanal.gov.eg/TRstat.aspx?reportId=9>.

«Building the Digital Middle East: 2011 ICT Leaders' Event, Conference Insights.» (Booz and Company, Published in Association with the World Economic Forum, 2011). Available at: <http://www.insead.edu/facultyresearch/centres/elab/events/documents/BuildingtheDigitalMiddleEast_V6.pdf>.

Cacciotti, Gabriella and James C. Hayton. «Fear of Failure and Entrepreneurship: A Review and Direction for Future Research.» (Research Paper; no. 24, Enterprise Research Centre, Warwick, UK, August 2014).

«Concerns about Islamic Extremism on the Rise in Middle East.» (Pew Research Center, 1 July 2014). Available at: <http://www.pewglobal.org/2014/07/01/concerns-about-islamic-extremism-on-the-rise-in-middle-east/>.

Diwan, Kristin. «Breaking Taboos: Youth Activism in the Gulf States.» (Issue Brief, Atlantic Council, Washington, DC, March 2014).

Dubai School of Government. «The Arab World Online: Trends in Internet Usage in the Arab Region.» (The Arab Social Media Report Series, Governance and Innovation Program, Dubai, UAE, 2012). Available at: <http://www.arabsocialmediareport.com/News/description.aspx?NewsID=11>.

Faris, Robert [et al.]. «Online Security in the Middle East and North Africa: A Survey of Perceptions, Knowledge, and Practice.» (Berkman Center for Internet and Society Report, August 2011). Available at: <http://cyber.law.harvard.edu/sites/cyber.law.harvard.edu/files/OnlineSecurityintheMiddleEastandNorthAfrica_August2011.pdf>.

«Gender Inequality and Entrepreneurship in the Middle East and North Africa: A Statistical Portrait.» (OECD-MENA Investment Programme, December 2013). Available at: <http://www.oecd.org/mena/investment/Statistical%20Portrait.pdf>.

«General Government Final Consumption Expenditure (% of GDP).» (World Bank, 2014). Available at: <http://data.worldbank.org/indicator/NE.CON.GOVT.ZS>.

Government of Jordan. «Jordan National Information and Communications Technology Strategy (2013-2017).» Available at: <http://www.intaj.net/sites/default/files/jordan_nis_june_2013.pdf>.

«Gulf Jobs and Salaries Set to Grow Faster in 2014.» (Gulf Talent, 17 March 2014). Available at: <https://www.gulftalent.com/resources/employment-news/gulf-jobs-and-salaries-set-to-grow-faster-in-2014-53>.

Hoffman, Michael. «Attitudes towards Religious Minorities in the Arab World.» (Georgetown University, Religious Freedom Project (RFP), Berkley Center for Religion, Peace and World Affairs, 27 August 2014). On the Web: <http://berkleycenter.georgetown.edu/cornerstone/global-christian-persecution/responses/attitudes-towards-religious-minorities-in-the-arab-world>.

«How a Slap Sparked Tunisia's Revolution.» (CBS News, 60 Minutes, 22/2/2011). On the Web: <http://www.cbsnews.com/news/how-a-slap-sparked-tunisias-revolution-22-02-2011>.

Ianchovichina, Elena and Susanna Lundstrom. «Inclusive Growth Analytics: Framework and Application.» (Policy Research Working Paper; 4851, World Bank, Economic Policy and Debt Department, Economic Policy Division, Washington, DC, March 2009). Available at: <http://library1.nida.ac.th/worldbankf/fulltext/wps04851.pdf>.

Imam, Patrick and Kangni Kpodar. «Islamic Banking: How Has it Diffused?.» (IMF Working Paper; WP/10/195, International Monetary Fund, Washington, DC, August 2010). Available at: <http//www.imf.org/external/pubs/ft/wp/2010/wp10195.pdf>.

International Monetary Fund. «Economic Transformation in MENA: Delivering on the Promise of Shared Prosperity.» (G-8 Summit, Deauville, France, 27 May 2011). Available at: <https://www.imf.org/external/np/g8/pdf/052711.pdf>.

«Internet Usage in the Middle East: Statistics and Trends.» (Go-Gulf, 2 August 2013). On the Web: <http://www.go-gulf.ae/blog/internet-usage-middle-east/>.

Khouri, Rami. «Beyond Sunnis and Shiites: Understanding the Turbulent Reconfiguration of Arab States and Citizens.» (Canadian Arab Institute, 29 October 2014). Available at: <http://www.canadianarabinstitute.org/events/pas/perspectives-changing-middle-east/khouri/>.

Lesch, David W. «Will Syria War Mean End of Sykes-Picot?.» (Al-Monitor, 12 August 2013). Available at: <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/08/syria-sykes-picot-ottoman-borders-breakup-levant-mandates.html#>.

«A Majority of FTA Satellite Channels Catering to the Arab World Are Privately Owned.» (Arab Advisors Group, 19 August 2013). Available at: <http://www.arabadvisors.com/Pressers/presser-190813.htm>.

«The Military Campaign against the Islamic State in Iraq and the Levant: Arab Public Opinion.» (Arab Center for Research and Policy Studies, 11 November 2014). Available at: <http://english.dohainstitute.org/file/Get/40ebdf12-8960-4d18-8088-7c8a077e522e>.

Nassar, Heba. «Recent Trends of Egyptian Migration.» (CARIM Analytic and Synthetic Notes; 2011/72, European University Institute, Badia Fiesolana, Italy, 2011). Available at: <http://cadmus.eui.eu/handle/1814/19878>.

«Open Doors Data: International Students, All Places of Origin.» (Institute of International Education, 2014). Available at: <http://www.iie.org/Research-and-Publications/Open-Doors/Data/International-Students/All-Places-of-Origin>.

«Palestinian Public Opinion Poll No (55) Press Release.» (Palestinian Center for Policy and Survey Research, 24 March 2015). Available at: <http://pcpsr.org/en/node/603>.

«Prospects for PPPs in the Middle East.» (International Financing Review, 2011). Available at: <http://www.ifre.com/prospects-for-ppps-in-the-middle-east/1611517.fullarticle>.

Rabinovich, Itamar. «The End of Sykes-Picot? Reflections on the Prospects of the Arab State System.» (Middle East Memo; no. 32, Brookings Institution, Washington, DC, February 2014).

Rayburn, Joel. «The Coming War in the Middle East.» (Defining Ideas, Hoover Institution, 6 February 2013). Available at: <http://www.hoover.org/research/coming-war-middle-east>.

Redvers, Louise. «Keys to The Kingdom: The Slow Rise of Saudi Women.» (BBC, 9 April 2015). Available at: <http://www.bbc.com/capital/story/20150408-slow-gains-for-saudi-women>.

Rijkers, Bob, Caroline Freund and Antonio Nucifora. «All in the Family: State Capture in Tunisia.» (Policy Research Working Papers; 6810, World Bank Group, 2014). Available at: <http://wwwwds.worldbank.org/external/default/WDSContentServer/WDSP/IB/2014/03/25/000158349_20140325092905/Rendered/PDF/WPS6810.pdf>.

Robbins, Michael and Amaney Jamal. «Social Justice and the Arab Uprisings: Evidence from the Arab Barometer.» (Arab Barometer Working Paper; no. 1, Arab Barometer, March 2015). Available at: <http://www.arabbarometer.org/sites/default/files/working_papers/Robbins%20Jamal%20-%20Social%20Justice%20and%20the%20Arab%20Spring.pdf>.

Romani, Vincent. «The Politics of Higher Education in the Middle East: Problems and Prospects.» (Middle East Brief; no. 36, Brandeis University, Crown Centre for Middle East Studies, May 2009).

Seelye, Kate. «After the Spring, Arab Art Blossoms.» (Middle East Institute, 31 March 2014). Available at: <http://www.mei.edu/content/after-spring-arab-art-blossoms>.

Sika, Nadine. «Highly-Skilled Migration Patterns and Development: The Case of Egypt.» (CARIM Analytic and Synthetic Notes; 2010/17, European University Institute, Badia Fiesolana, Italy, 2010). Available at: <http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/13454/CARIM_ASN_2010_17.pdf?sequence=1>.

«Smartphone Usage in the Middle East: Statistics and Trends.» (Go-Gulf, 2 October 2013). Available at: <http://www.go-gulf.ae/blog/smartphone-middle-east/>.

Tessler, Mark. «Islam and the Struggle for a Political Formula: Findings from the 2010-2011, Arab Barometer.» Available at: <http://www.arabbarometer.org/reports-presentation-abwave/arab-barometer-ii>.

United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization (UNESCO), Institute for Statistics. «International Student Mobility in Tertiary Education, 2014.» Available at: <http://data.uis.unesco.org/Index.aspx?queryid=170>.

Vishwanath, Tara. «Opening Doors: Gender Equality in the Middle East and North Africa.» (MENA Knowledge and Learning, Quick Notes Series; no. 60, World Bank, Washington, DC, March 2012).

«The World DataBank: World Development Indicators.» (World Bank, 2015). Retrieved from: <http://databank.worldbank.org/data/views/variableselection/selectvariables.aspx?source=world-development-indicators>.

Youssef, Adnan Ahmad. «Islamic Banking on the Rise.» (Al-Monitor, 30 October 2014). Available at: <http://www.al-monitor.com/pulse/business/2014/10/islamic-bank-sector-arab-west.html##ixzz3KTFrGdnk>.

فهرس عام

-أ-

آسيا: 50، 71، 86، 176
ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: 62
أبو الخير، وليد: 95
أبو ظبي: 165-166، 182
أبيدجان (مدينة، ساحل العاج): 145
اتفاقية التجارة الحرة بين المغرب والولايات المتحدة (2004): 177
اتفاقية سايكس - بيكو (1916): 77
الأجهزة الأمنية (سورية): 80
الأجهزة الأمنية العربية: 73، 78
أجهزة هواتف «الآيفون»: 19، 26
الأجور: 35-36، 94، 172
أجور القطاع الخاص: 57
أجور القطاع العام: 57
الاحتلال الأميركي للعراق (2003): 147
أحزاب الديمقراطية المسيحية (أوروبا): 22
الأحزاب السياسية: 73، 103-105
الأحزاب السياسية الإسلامية: 22
إحصاءات السكان: 20، 62
إدارة جورج بوش (2001-2009): 20
الأراضي الفلسطينية: 71، 124
أرباب العمل: 173
إربد (مدينة، الأردن): 53، 120
الأردن: 11، 29، 44-45، 51، 67، 99-100، 120، 124، 128، 165-166، 184-185، 190
الأرمن: 14
الإرهاب: 9، 189-191
الأزمة المالية العالمية (2008): 33، 49، 164، 180
أزمة النفط العربي (1973): 147
إسبانيا: 144
الاستبداد السياسي: 22، 68، 73
الاستثمار الأجنبي (العالم العربي): 33-34، 38، 174-176
الاستثمار البشري: 171
الاستثمار الحكومي: 177
الاستثمار السياحي: 185
استثمار الشتات: 176
الاستثمار العقاري (العالم العربي): 38، 163
الاستثمار في الاتصالات: 88
الاستثمار في التكنولوجيا: 173
الاستثمار المالي 171
الاستثناء العربي (مفهوم): 23، 72
الاستخبارات العربية: 73، 78
أستراليا: 152
الاستقرار السياسي: 17
الأسد، بشار: 21
الأسد، حافظ: 81-75
الأسر العربية: 59، 81، 114
إسرائيل: 14
أسعار الطاقة: 33
أسعار الغذاء العالمية: 33
الإسكندرية: 93

الإسلام: 13، 22-23، 63، 109-114، 116، 119، 121، 126، 137، 189-190
الإسلام السياسي: 17، 22-23، 190
الأسلمة: 118
الأسواق السعودية: 178
الأسواق العالمية: 152، 176
الأسواق النامية: 27، 178
الاشتراكية: 13
الإصلاح: 21، 68
الإصلاح الاجتماعي: 97، 105، 139
الإصلاح الاقتصادي: 34، 105
الإصلاح السياسي: 105، 139
الأصولية الإسلامية (العالم العربي): 17
أطفال الشوارع: 16
الاعتراضات السياسية (الجزائر، 1992): 17
الأعراف الاجتماعية: 25، 86، 132
الأعراف الاقتصادية : 25
الأعراف السياسية: 25
الأعراف العالمية: 26
الإعلام الغربي: 121
الاغتراب الاجتماعي: 121
الاغتراب السياسي: 121
أفريقيا: 15، 49، 55، 59، 176
الأقباط: 120، 187
الاقتصاد الإقليمي: 176
الاقتصاد الأوروبي: 176
اقتصاد السوق الحرة: 33
الاقتصاد العالمي: 15، 25، 61، 64-66
الاقتصاد القومي (تونس): 98
الاقتصاد الكلّي: 48-50، 53، 179
اقتصادات الأسواق الناشئة: 63
الاقتصادات العربية: 174، 176
الاقتصادات المحلية: 38، 185
الاقتصادات النامية: 179
الأقليات: 120-121، 155-156، 168
الأقليات الإثنية (العالم العربي): 14
الأقليات الثقافية (العالم العربي): 14
الأقليات الدينية (العالم العربي): 13، 113، 120، 187-188
الأقليات العربية (الشرق الأوسط): 14
الأقليات غير العربية (العالم العربي): 77
الأقلية المسلمة (الصين): 145
الأكراد: 14، 77
الإمارات العربية المتحدة: 11، 18، 43، 45، 55، 66، 88، 93، 111، 136، 152، 165-166-167، 178، 183، 185
الأمان الوظيفي: 130
أمستردام (مدينة، هولندا): 26، 164
أمن الحدود (البلدان الغربية): 9
أمن الدولة (مصر): 94
أميركا الجنوبية: 28، 143، 145-146
أميركا الشمالية: 28، 59، 143، 145-147
أميركا اللاتينية: 13، 49-50، 64، 71، 177
الإنترنت: 25، 61-62، 67-68، 74، 79، 81، 83-85، 87-90، 93-96، 99، 105، 117، 131-132، 138، 150، 158-159، 173، 183-184
الانتفاخ الشبابي (مصطلح): 16-17
الانتفاضات العربية: 90، 92، 102
الانتهاكات الأمنية (مصر): 94
انتهاكات حقوق الإنسان: 175
إندونيسيا: 26
الأنظمة الاجتماعية العربية: 191
الأنظمة السياسية العربية: 13،17، 19، 71-72، 75-74، 192
الأنظمة الملكية العربية: 71
الإنفاق الحكومي: 41، 58
الإنفاق العام: 36، 175
الانقسامات الاجتماعية: 23-25
الانقسامات الاقتصادية: 25
الانقسامات السياسية: 25
الانقلابات العسكرية: 13
الإهمال الحكومي: 37
أوباما، باراك: 16

أوروبا: 13، 28، 59، 97، 143-145، 147، 164
أوروبا الغربية: 144
أورويل، جورج: 192
أونتاريو (مدينة، كندا): 134
أونيل، جيم: 26
إيران: 14
إيسترلي، وليام: 15
إيطاليا: 75، 144

-ب-

باتاي، رافائيل: 20
باربر، بنجامين: 111
البارومتر العربي: 101، 124، 126
باريس: 145، 164
البحبوحة الاقتصادية: 34
البحرين: 43، 111
البدون: 77
البرادعي، محمد: 161
البرازيل: 26، 61، 144
البرامج التلفزيونية
- برنامج «خواطر»: 136-137
- برنامج «كلام نواعم»: 132
- برنامج «محبوب العرب»: 150، 174
- برنامج «يلا نيويورك»: 150
البربر: 14، 77
برنامج الملك عبد الله للمنح الدراسية (السعودية): 152، 159-160
بريطانيا: 75
البطالة: 19، 48، 51، 53، 58-59، 94، 171-172
بغداد: 44، 111-112، 191
بلجيكا: 144
البلدان الأوروبية: 54، 129
بلدان الشرق الأوسط: 9
بلدان شمال أفريقيا: 9، 182
البلدان الصناعية: 41، 44
البلدان العربية: 33-35، 41، 49-50، 65، 71، 75، 91، 96-98، 111، 115، 124-125، 132، 137، 151، 160-161، 171، 176، 180، 183، 188
البلدان الغربية: 33-34، 120، 122، 143، 145، 150، 168
البلدان غير النفطية: 103، 174
البلدان المتطورة: 45، 59
البلدان النامية: 16، 36، 47، 54، 172، 174
البلدان النفطية: 103، 174، 182
بن علي، زين العابدين: 98
بن قنة، خديجة: 113
بنغالور (مدينة، الهند): 161
بنك الأدمغة: 144
البنك الدولي: 33، 36
بنك المغرب: 164
البورصة التونسية: 178
البورصة السعودية: 178
البورصة العربية: 178-179
بورما: 65
البوعزيزي، محمد: 42-43، 93
بوينس آيرس (مدينة، الأرجنتين): 145
بيروت: 35، 66
البيروقراطية: 57، 175-176، 187

-ت-

التأثير الثقافي للغرب (العالم العربي): 28
التجار العرب: 145
التجارة الإلكترونية: 183-184
تجارة التجزئة: 37-38
التجارة الحرة: 34
التجارة العالمية: 34، 145
تجارة المناقلة: 175
التحرش الجنسي: 115
تحرير الاقتصاد: 36-37، 41، 43، 48
التحضر: 12، 23
التحول الديمقراطي: 72
التحويلات الاجتماعية: 153

التحويلات المالية للمهاجرين: 161-163، 167، 176
التحيز الاجتماعي: 119
التحيز الجنسي: 19
التديّن: 22، 113، 121، 126
تركيا: 14، 26
الترويكا الرئاسية (لبنان): 24
التزاوج الداخلي: 24
التسوق: 38-39
التسوق على الإنترنت: 68
التسويق: 61، 63-64، 122، 124، 184
التسويق الرقمي: 67
تصنيف «التايمز» للتعليم العالي: 47
التصنيفات الجامعية العالمية: 47
التضخم السكاني (مصر): 41
التضخم المالي: 35
التطرف الديني: 9، 22، 168، 189
التطهير العرقي: 13
التطور الاقتصادي الأفريقي: 15
التظاهرات الشعبية: 150، 186
التظاهرات الشعبية في سورية: 80
التظاهرات الشعبية في مصر: 94
تعدد الأديان: 13
تعدد الثقافات: 13، 155-156، 158
تعدد اللغات: 13
التعددية: 192
التعصب: 9
التعصب الديني: 28
التعليم الإلكتروني: 184
التعليم الثانوي العربي: 43
التعليم العالي العربي: 43-45، 47، 56، 68، 171
التعليم العربي: 17، 36-37، 43، 45-48، 65، 68، 74، 123، 130، 173
التعليم على الإنترنت: 58
التعليم (قطر): 44
التغيير الاجتماعي: 72، 138-139، 186
التغيير الاقتصادي: 72، 139، 186
التغيير الثقافي: 138
التغيير السياسي: 72، 139، 186
التفاوت في الدخل: 50
تقرير المعرفة العربية (2009): 160
تكنولوجيا الجيل الثالث (3G): 86
تكنولوجيا الجيل الرابع (4G): 86
التكنولوجيا الرقمية: 68
التكنولوجيا الصديقة للبيئة: 58
التلفزيون السوري: 77
التمدن: 23
التمييز ضد الأقليات الدينية: 120
التمييز ضد اللاأدريين: 120
التمييز ضد الملحدين: 120
التمييز ضد النساء: 95
التمييز على أساس الجنس: 9
التمييز العنصري: 147
تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش): 22، 187، 189-190
تنظيم القاعدة: 22، 189-190
التنمية الاقتصادية: 38
التنمية الحضرية: 38
تورونتو (مدينة، كندا): 148
التوعية الديمقراطية: 16
تونس: 29، 48، 66، 98، 101، 111، 124-125، 164، 177-178، 190

-ث-

الثقافة الثالثة: 134، 136
الثقافة الشبابية: 104
الثقافة الشرقية: 134
الثقافة العربية: 72، 137، 139
الثقافة الغربية: 39-40، 134-136
الثورات العربية: 21، 23، 48، 53، 66
ثورة 25 يناير 2011 (مصر): 18، 58، 82، 86، 93-94، 98، 167
الثورة الإسلامية في إيران (1979): 17
الثورة التونسية (2011): 93
الثورة السورية (2011-): 79-80، 188
الثورة الصناعية: 64

-ج-

الجالية السورية المنتشرة في العالم: 79
الجامعات الأجنبية (العالم العربي): 43-44
الجامعات الأميركية: 43
- الجامعة الأمريكية في القاهرة: 115-116، 119
- جامعة براندیس: 43
- جامعة برنستون: 188
- جامعة جورج تاون: 43، 188
- جامعة كورنيل: 43
- جامعة نيويورك: 43
- جامعة هارفارد: 91، 119
الجامعات الخاصة (العالم العربي): 43، 52
الجامعات الرسمية (الأردن): 120
الجامعات العربية: 19، 43، 47، 52
- الجامعات التونسية: 115
- جامعة الأردن: 114-115
- الجامعة الأردنية - الألمانية: 39، 120
- جامعة الزرقاء (الأردن): 165
- جامعة العين (الإمارات العربية المتحدة): 45
- جامعة عين شمس (القاهرة): 130
- جامعة القاهرة: 119
- جامعة اليرموك (الأردن): 39، 44-45، 52، 120، 130
الجامعات الغربية: 19، 143، 151-152
- جامعة برمنغهام (بريطانيا): 159
- جامعة ليستر (بريطانيا): 158
جامعة الدول العربية: 13-14
جائزة نوبل: 161
الجزائر: 35، 101، 124، 164، 166
جزر القمر: 14
الجغرافيا السياسية: 21
الجماعات الراديكالية: 23
الجماعات السياسية الإسلامية: 22
الجماعات المتشددة: 23
الجماعات المسلحة: 13
جماعة الأخوان المسلمين (مصر): 22، 37، 79، 119
جمال، أماني: 188
جمهورية جنوب أفريقيا: 26، 61
جمهورية الخوف (مصطلح): 75
الجنسية الأردنية: 165
جنوب شرق آسيا: 64
الجوالي العربية: 145
الجوالي العربية (أوروبا): 144
جيبوتي: 14
الجيش السوري: 79
الجيش المصري: 83

-ح-

الحجاب: 79، 111-116، 118-120، 122، 126، 159
الحداثة: 17، 23، 63، 109، 123
الحراك السياسي: 24
الحرب الباردة: 71
الحركات الاجتماعية: 23، 37
الحركات الدينية: 112
الحركات الراديكالية: 121
الحركات السياسية: 37
حركة 6 أبريل (مصر): 94
حركة حماس: 189
الحركة الدائرية للأدمغة: 161، 163
الحرمان النسبي (مفهوم): 50-51
الحروب الأهلية: 13، 15، 187
الحرية: 95-96، 101، 109
حرية التعبير: 73، 84-85، 121
الحرية السياسية: 68، 73، 80
حرية العبادة: 137
الحرية الفردية: 109
حرية المرأة: 138
حزب الله (لبنان): 189
حسني، مصطفى: 117-118
حسين، صدام: 75
حظر القيادة للمرأة (السعودية): 138، 159
حق المرأة في العمل (السعودية): 128
الحقوق الاجتماعية: 174

حقوق الأقليات: 122، 125
حقوق الإنسان: 72، 91، 93، 105، 115، 119
حقوق العمال: 94
الحكم الاستبدادي العربي: 34
الحكم الديمقراطي الليبرالي: 71
حكم القانون: 137
حكم القبضة الحديدية: 71
حكومات الخليج العربي: 112، 166-167
الحكومات العربية: 18، 21-22، 34، 42، 49، 71، 73-74، 82-84، 89-90، 92، 97-98، 101، 110-111، 114، 121، 150، 152، 160، 171-176، 179، 181-182، 186-187، 190-191
الحكومات العلمانية: 112-113
الحكومات الغربية: 186-187
الحكومة الإماراتية: 182
الحكومة الأميركية: 102
الحكومة التونسية: 98
الحكومة السعودية: 95-96، 158
الحكومة السورية: 80
الحكومة العراقية: 191
الحكومة القطرية: 44
الحكومة المصرية: 83، 93
حلب (مدينة، سورية): 79، 135
حماة (مدينة، سورية): 78-79
حملة «كلنا خالد سعيد» (مصر): 93، 167
حوادث 11 أيلول/ سبتمبر 2001 (الولايات المتحدة الأميركية): 147

-خ-

الخدمات الحكومية: 34-35، 74
الخدمات الخاصة: 37
خدمات الرعاية الصحية: 37، 59
الخدمات العامة: 37، 41-42، 182
الخدمات المصرفية: 183
الخدمة المدنية الدولية: 12
الخصخصة: 36
الخطاب الديني: 119
الخطاب السياسي: 73، 92، 106، 121
الخطب الحكومية: 139
الخطب الحماسية: 21
الخطب الطائفية: 29
الخطيب، حمزة: 80-81
الخلافات الطائفية: 13
الخليج العربي: 14، 43، 56-57، 77، 85، 99-100، 103، 112، 115، 118، 120، 135، 143، 164-165، 167، 175

-د-

دار الأوبرا (سورية): 21
الدار البيضاء: 66
الدانمارك: 144
داير، بول: 173
دبي: 38، 66، 122، 135
الدخل الفردي العربي: 49
درعا (مدينة، سورية): 80
الدروز: 120
الدستور اللبناني: 24
الدعاية السياسية: 192
دمشق: 21، 35، 44، 79-80، 112، 133، 157
الدوحة (مدينة، قطر): 66
الدوسري، عبد العزيز: 94-95
دول الخليج العربية: 29، 44، 49، 97، 111-112، 128، 152، 162، 166، 180، 182
دول شرق آسيا: 49
الدول المكتظة سكانيًا: 29
الدولة القومية: 76
الدولة المدنية: 125
ديلون، نافتج: 171، 173
الديمقراطية: 12، 17، 42، 71، 72، 102-104، 106، 109، 125-126، 187

الديمقراطية العلمانية: 125
الديمقراطية الليبرالية: 74، 84، 121، 125، 136، 139
ديوان، كريستين: 104

-ر-

رأس المال البشري: 19
الرأسمالية: 13
الرأي العام العربي: 91
الرباط: 39، 122
الربيع العربي: 10، 17، 21، 23، 29، 33، 42، 48، 50-51، 59، 64، 71، 73-75، 80، 82-83، 86، 96، 101-103، 111، 149-150، 186، 192
رجال الدين: 22
الرسم على الجدران (غرافيتي): 24
الرشاوى: 98
الرعاية الصحية: 37
الرفاه الاجتماعي: 41-42
الرقابة المصرية: 83
روسيا: 26، 61
رينغولد، هاورد: 86

-ز-

الزعيم الأوحد: 75
زكريا، فؤاد: 25
الزواج المدني: 24
زويل، أحمد حسن: 161

-س-

ستارباكس (سلسلة مقاهٍ عالمية): 39
ستيوارت، جون: 82
سجن أبو غريب (العراق): 20
السعودية: 11-12، 18، 46، 71، 85، 88، 92، 96، 111، 118، 124، 127-128، 130، 133، 138، 152، 154-160، 177، 183
سعيد، خالد: 93
السلطة الاقتصادية العالمية: 26
السلطة السياسية: 25، 89، 97
السلطة الفلسطينية: 29
السلم الاجتماعي: 134
سندات الخزينة: 175
السودان: 97، 124، 180
سورية: 18، 35، 48، 76، 78، 80، 97-99، 120-121، 135، 154، 156-157، 186، 188-189
السوق الحرة: 34
سوق العمل: 174
السياسة الخارجية القطرية: 82
السياسة الدولية: 9

-ش-

الشخصية العربية: 62، 73
الشرطة المصرية: 58، 93، 167
شرق آسيا: 61، 177
شرق أوروبا: 71
الشرق الأوسط: 9-11، 13-15، 22، 28، 33، 37-38، 41، 47، 52-53، 60-62، 68، 71-72-73، 75، 77، 84-85، 86، 99، 103، 105، 117، 126، 130-131، 135، 148-150، 157، 184
الشركات الأجنبية: 34، 58
شركات التأمين: 178
شركات التسويق: 60
الشركات الصغيرة: 34
الشركات الصناعية: 177
شركات الطيران: 185
الشركات العالمية: 61، 64
الشركات عبر الوطنية: 26
الشركات الغربية: 187
الشركات متعددة الجنسية: 26
الشركات الوطنية: 34
شركة آبل (Apple): 26
شركة إرنست ويونغ للمحاسبة القانونية: 180
شركة بوز وشركاه: 183
شركة سوني: 62

شركة سيمانور: 62
شركة طيران الإمارات: 185
شركة غوغل: 93، 154، 167
شركة ماتل (Mattel): 62
شركة موبايلي للاتصالات: 158
شركة نيو بوي ديزاين (New Boy Design): 62
الشريعة الإسلامية: 115، 124-125
الشعارات: 101، 111
- شعار «الخبز، الحرية، العدالة»: 18
- شعار «الشعب يريد إسقاط النظام»: 18
- شعار «قم بالبناء وهم سيأتون»: 38
- شعار «نطالب بالاحترام»: 18
الشعبوية الاقتصادية: 13
الشعوب الهرمة: 60
الشقيري، أحمد: 136-137
شمال أفريقيا: 10، 13-15، 77، 85، 145، 147
شويلدر، جيليان: 40

-ص-

الصادرات النفطية: 174
صالح، إبراهيم: 138
صحراء سيناء: 121
الصحراء الغربية: 77
الصحراء الكبرى: 55
الصحوة الدينية: 115-116، 120
الصحوة العربية: 73، 80
صحيفة الدايلي ستار: 24، 84
صحيفة الدستور: 84
صحيفة كايرو تايمز: 83
صحيفة المصري اليوم: 84
صحيفة النيويوركر: 20
صحيفة وال ستريت جورنال: 178
صحيفة *The National*: 84
صحيفة *The Saudi Gazette*: 158
صدام الحضارات: 16، 109
الصراع العربي - الإسرائيلي: 103
صناع القرار العرب: 12، 28، 34
صناع القرار الغربيين: 28
الصناعات التكنولوجية: 64
صندوق النقد الدولي: 33، 175، 179-180، 181
الصومال: 14
الصين: 19، 26-27، 59، 61، 65، 145، 152، 177

-ض-

الضرائب: 41، 60
ضرائب الدخل: 42
الضمان الاجتماعي: 59

-ط-

الطاقة الخضراء: 182
الطاقة الشمسية: 182-183
الطاقة المتجددة: 182-183
الطاقة الهوائية: 182
الطائفية: 187-190
الطائفية السياسية (لبنان): 24
الطبقة الاجتماعية الدنيا: 41، 129-130
الطبقة الاجتماعية العليا: 39، 112، 114، 123
الطبقة الاجتماعية الوسطى: 36-40، 45، 50، 115، 123، 127
الطبقة المبدعة: 18-19، 64-66
طرابلسي، ليلى: 98
طريق الحرير: 145
الطفرة النفطية: 38
طوكيو: 137

-ع-

العادات الاجتماعية: 25، 133
العادات السعودية: 159
العاملات الأجنبيات (الخليج العربي): 46
عائدات النفط: 94-95، 166
عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (ملك السعودية): 71
عجمي، فؤاد: 17
العدالة الاجتماعية: 12، 110-111، 113، 118، 121، 137، 139

العراق: 35، 71، 120-121، 124، 186، 188-191
العشيرة: 24
العقد الاجتماعي: 41، 71، 78، 90
العقد الاستبدادي: 42
العقل العربي: 20
العلاقات الدبلوماسية (الشرق الأوسط): 10
العلاقات الدولية الاقتصادية: 28
العلاقات الدولية الثقافية: 28
العلاقات الدولية الجيوسياسية: 28
العلمانية: 113، 121
العلمنة: 111، 139
العلويون: 120
العمال الآسيويون (الخليج العربي): 166
العمال الباكستانيون (السعودية): 155
عمال السخرة: 166
العمال المصريون (الخليج العربي): 162-163،
العمال المصريون (السعودية): 166
العمالة: 176-177
العمالة العربية: 50، 172-173
العمالة غير الماهرة: 64-65
العمالة الماهرة: 173
عُمان (سلطنة): 111، 182
عمّان: 35، 38، 66، 68، 122
العنصرية: 9، 146-147
العنف: 9-10، 16، 22، 28-29، 78، 121، 168-191
العنف ضد الأقليات: 190
العنف الطائفي: 158، 188، 190
العولمة: 12، 25، 27، 65، 74، 109، 111، 144

-غ-

الغاز: 182
غنيم، وائل: 58، 93، 167
غور، تيد: 50
غولدستون، جاك: 17

-ف-

فاس (مدينة، المغرب): 44
فرص العمل: 172
فرغسون، نايال: 25
فرنسا: 66، 75، 143-144، 159، 164
فريدمان، توماس: 25، 111
الفساد: 12، 41، 48، 51، 73، 82، 97-98، 101-102، 110-111، 175-176
الفساد الاقتصادي: 68
الفساد الحكومي: 68، 94، 97، 175
الفقر: 50
فقيه، هشام: 138
فلسطين: 43، 124
فلوريدا، ريتشارد: 18، 64
الفوضى الاقتصادية: 13
فيتنام: 26، 65

-ق-

القاهرة: 44، 53-54، 66-68، 111-112، 114، 118، 122، 129
القبيلة: 24، 66
القذافي، معمر: 71، 75، 186
القروض الدولية: 33
القروض الصغيرة: 57
القرى السياحية: 38، 182
قطاع الاتصالات: 183
القطاع الخاص (أفريقيا): 15،
القطاع الخاص العربي: 20، 35، 56-58، 88، 129-130، 172-173، 179، 181-182
القطاع الخاص (المغرب): 164
قطاع السياحة والفنادق: 184
القطاع الصناعي: 177
القطاع العام (الخليج العربي): 99
القطاع العام العربي 33، 37، 56-57، 67، 130-131، 172-174، 181-182
القطاع العسكري: 36
القطاع العسكري (مصر): 41

القطاع المالي العربي: 178
القطاع المصرفي العربي: 178-179
قطر: 18، 43، 111، 154، 178
القمع السياسي: 22، 68، 73، 186
قناة السويس: 162
القنوات الفضائية: 119-117، 132، 148
- قناة إقرأ: 117
- قناة الجزيرة: 82، 113
- قناة دريم: 167
- قناة الرسالة: 117
- قناة العالم: 82
- قناة العربية: 82
- قناة فور شباب (4Shabab): 117
- قناة المجد: 117
- قناة المستقبل: 82
- قناة المنار: 82
- قناة ABC: 132
- قناة BBC: 82
- قناة CNBC: 82
- قناة DW: 82
- قناة Euronews: 82
- قناة France 24: 82
- قناة MBC: 136
- قناة Sky Tv: 82
القوانين السعودية: 159
القوة الأفلة: 27
القوة الاقتصادية: 27
القوة الثقافية: 27
القوة السياسية: 26-27
القوة العالمية: 25
القوة العاملة: 51، 63، 127
القوة العاملة الشابة: 66
القوة العاملة الكوزموبوليتانية: 66
القوة العاملة المعولمة: 26
القوى الانفصالية: 121
القيم الاجتماعية: 15، 124، 158، 190
القيم الإسلامية: 61، 109، 136
القيم الثقافية: 190
القيم السياسية: 158
القيم الشرقية: 122، 139
القيم العربية: 111، 190
القيم الغربية: 109، 122، 136، 139
القيود الاجتماعية: 133

-ك-

كارفور (سلسلة مراكز تجارية عالمية): 35
كاليفورنيا (ولاية، الولايات المتحدة الأميركية): 26
الكتلة السكانية النامية (العالم العربي): 25
الكتلة السكانية الهرمة (أوروبا): 25
الكرامة الاقتصادية: 18، 42
كروغمان، بول: 11
الكفاءات العربية: 179
كلية دبي للإدارة الحكومية: 92-93
كندا: 11، 19، 46، 79، 115، 133، 135، 146-147، 149، 152-156، 158-159
كوريا الشمالية: 75
الكوزموبوليتانية: 23، 40، 134، 186
كول، خوان: 192
كولومبيا: 26
كوليير، بول: 15
الكويت: 92، 96، 111، 152، 183
كينيدي، بول: 25

-ل-

لبنان: 11-12، 19، 24، 29، 43، 71، 96، 120، 124، 127، 188-189، 191
لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (ESCWA): 183
اللغة العربية: 13-14، 62، 114، 118، 134، 149، 183-184
لندن: 26
الليبرالية: 25، 42، 84، 176
الليبرالية الاقتصادية: 33-35، 40-42، 50، 109
الليبرالية السياسية:84

ليبيا: 18-19، 48، 71، 96-98، 121، 166، 186، 189
ليفيت، بيغي: 153
لينش، مارك: 89-90

-م-

ماتزوكاتو، ماريانا: 58
ماكدونالدز (سلسلة مطاعم عالمية): 35
المال العام: 74
المبادرات الإقليمية للشباب العرب: 55
- «إنجاز»: 55
- «جرامين - جميل»: 55
- «صِلتَك»: 55
مبارك، حسني: 41، 83، 93، 98، 101، 112
المتحف العربي - الأميركي (دربورن، ميشيغان): 147
المجاعات (أفريقيا): 15
المجتمع الدولي: 21
المجتمع الزراعي: 52
المجتمع السعودي: 138، 160
المجتمع العلماني: 112، 114
المجتمع المدني: 37، 56، 72، 104
مجتمع النخبة: 114
المجتمعات الإثنية: 13، 158
المجتمعات الثقافية: 13
المجتمعات الخليجية: 153
المجتمعات الدينية: 13، 158
المجتمعات العربية: 15، 111، 113، 119، 129، 137، 143-144، 161، 186
المجتمعات الغربية: 28، 120-121، 137-139، 143، 156، 161
المجتمعات الفتية: 60
المجتمعات الفقيرة: 11، 52
المجتمعات اللغوية: 13
المجتمعات الليبرالية: 133
المجتمعات المحافظة: 133
المجتمعات المحرومة: 53
المجتمعات الهرمة: 60
مجزرة حماة (1982): 80
مجلة *The Economist*: 15
مجلة *Newsweek*: 15
مجلة *Time*: 15
المجموعات الإرهابية: 187
مجموعة دول البريكس (BRICKS): 26، 61
مجموعة دول السيفتس (CIVETS): 26
مجموعة دول الميست (MIST): 26
مجموعة العشرين (G 20): 26
مجموعة غولدمان ساكس (Goldman Sachs): 26
محاربة الإرهاب: 29
محاربة الفساد: 21
المحاسبة السياسية: 68
المحافظون الجدد: 20
المحسوبيات: 20-22، 41، 48، 51، 73، 94، 100-102، 106، 111
محفوظ، أسماء: 93-94
محمد السادس (ملك المغرب): 71
محو الأمية (العالم العربي): 17
المحيط الهادئ: 86
المدن العربية: 35، 37-38، 65-66، 112، 120، 122
مدونات الإنترنت: 91-93، 150
- Arabist (مصر): 91
- Baghdad Burning (العراق): 91
- Black Iris (الأردن): 91
- Sandmonkey (مصر): 91
- Tunisian Girl (تونس): 91
المدينة التعليمية (قطر): 44
مدينة دبي الأكاديمية العالمية (الإمارات العربية المتحدة): 44
مدينة الملك عبد الله الجامعية (السعودية): 44
المراكز التجارية (العالم العربي): 39-40
مراكز التسوق (الشرق الأوسط): 38، 182
مراكز التسوق (العالم العربي): 38-39
- City Mall (عمّان): 38
- City Stars (القاهرة): 38

- Dubai Mall (الإمارات العربية المتحدة): 38-39
- Festival City (القاهرة): 38-39
- Mecca Mall (عمّان): 38، 122
- Taj Mall (عمّان): 38
مراكش: 112
مرسي، محمد: 21، 101
مركز بيو الاستطلاعي للأبحاث (واشنطن): 103، 124-125
المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسيحية: 189
المساءلة السياسية: 12، 21
المساواة: 111، 152، 156، 158
المساواة الاقتصادية الاجتماعية: 40
مسلمو العصر الحديث: 123-124
المسلمون السنّة: 187، 191
المسلمون الشيعة: 120، 187، 191
المسيحيون العرب: 113، 120، 124، 188
المسيحيون اللبنانيون: 146
المشرق العربي: 14، 165
المصارف الأجنبية: 179
المصارف الإسلامية: 179-180
مصر: 11، 26، 29، 35، 37، 41، 48، 53، 58، 65، 83، 87-88، 91-92، 96-98، 100، 116، 124-125، 128، 152، 161، 163، 167، 177، 181-182، 186، 188-189
مطار آل المكتوم الدولي (دبي): 185
مطار دبي الدولي: 185
مطار القاهرة: 98
مطار هيثرو (بريطانيا): 9
المطارات العربية: 185
المطواعية الاستبدادية (مفهوم): 72
المعارضة السياسية: 75، 78-79، 150
مُعامل جيني (Gini coefficient) (أداة قياس اقتصادية): 49
معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية (1979): 83
المعشر، مروان: 192
معهد بروكينغز (واشنطن): 105
معهد عمّان (الأردن): 38
المغتربون العرب: 153، 167
المغرب: 11، 29، 39، 55، 71، 96، 100، 127، 164، 177، 182، 190
المغرب العربي: 14، 164
مكة المكرمة: 122
المكسيك: 26
المملكة المتحدة: 152، 158-159
المناطق الحضرية: 66-67، 112، 118، 162
المناطق الريفية: 11، 44، 67، 112، 116، 130، 133، 162، 177، 181
المناطق الغنية: 52
المناطق الفقيرة: 37
المناطق النامية: 48-50، 129
المنتدى الاقتصادي العالمي: 34
المنظمات الإرهابية: 190
المنظمات الإسلامية غير العنفية: 190
المنظمات الدولية: 175
المنظمات السياسية: 106
المنظمات غير الحكومية: 104
المنظمات المتشددة: 188
منظمات المجتمع المدني: 73، 96، 103
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو): 151
منظمة التجارة العالمية: 34
منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD): 143
مهاجان، فيجاي: 60-61
المهاجرون الأردنيون: 166
المهاجرون السوريون: 166
المهاجرون العرب: 28، 144-149، 153، 163-165، 176
المهاجرون الفلسطينيون: 166
المهاجرون المصريون: 162
المهاجرون المغاربة: 164
المهاجرون الهنود: 161

المواطنة: 111، 136
موريتانيا: 14
المؤسسات المالية الدولية: 33
مؤسسة الإمارات لتنمية الشباب: 56
مؤسسة قطر: 56
المؤشر الدولي للشفافية: 97
مونتريال (مدينة، كندا): 145، 164
مويو، داميزا: 15
ميدان التحرير (مصر): 17، 68، 93، 101، 171
المينونايتس (مذهب مسيحي قديم): 109

-ن-

الناتج القومي التونسي: 98
الناتج المحلي العربي: 41، 48، 161، 172
النخبة الحضرية: 38، 41، 114
النخبة العربية: 41
النخبة الليبرالية: 91
النزاعات الطائفية: 188-189، 191
نزف الأدمغة: 160
النساء الإماراتيات: 46
النساء الخليجيات: 46
النساء السعوديات: 95، 127، 138، 152، 158-160
النساء العربيات: 19، 45، 47، 56، 115، 123، 126-128، 131-132
النساء المسلمات: 112
النساء المصريات: 131
النظام الأبوي: 115، 130
النظام الاجتماعي العربي: 19
النظام الاجتماعي (لبنان): 24
النظام الاقتصادي العربي: 31
النظام التعليمي العربي: 52
النظام الديمقراطي: 102
النظام السوري: 80
النظام العالمي الجديد: 143
النظام المالي العالمي: 180
النظام المصري: 93-94، 101
نعيم، موسى: 27
النفاذية الإقليمية (مفهوم): 72
النفط: 29، 49، 103، 152، 160، 162، 178، 182، 186
النفوذ السياسي: 53
نمط الحياة الغربي: 39-40
النمو الاجتماعي: 28
النمو الاقتصادي: 25-26، 28-29، 50، 60، 63، 71، 167، 175-176
النمو السكاني: 29
النمو السياسي: 28، 71
النهضة الدينية: 121
نوادي دراجات هارلي دايفدسون: 23
نوادي النساء: 23
النيوليبرالية: 33
نيويورك: 26، 145، 150

-هـ-

هابرماس، يورغن: 90
هارادا، كاتوشيرو: 62
هاشتاغ «سوشي»: 191
هاشتاغ «المعاش لا يكفي»: 95
هجرة الأقليات: 13
الهجرة العالمية: 168
الهجرة العربية: 12، 143-145، 148، 160، 162، 169، 176
هجرة العمال العرب: 144، 160
الهذلول، لُجين: 95-96
هتنغتون، صموئيل: 16-17، 109
الهند: 26، 61، 152
الهواتف الذكية: 86-87، 183
هويز، توماس: 78
هوفمان، مايكل: 188
هولندا: 144
هونغ كونغ: 19
الهوية الإسلامية: 23، 28، 139، 143
الهوية البدائية: 24
الهوية الثقافية: 22

الهوية الدينية: 23، 110-111، 118، 191
الهوية الشرقية: 122
الهوية العابرة الأوطان: 143، 145، 148-149، 153
الهوية العربية: 28، 120، 139، 143
الهوية العرقية: 22، 191
الهوية الغربية: 122، 139
الهوية القبلية: 23
الهوية الكوزموبوليتانية: 22-24، 109
الهوية المناطقية: 23
الهوية الوطنية: 111
هيرش، سيمون: 20

-و-

واترلو (مدينة، كندا): 154
واشنطن: 20، 102
الوحدة العربية: 103
وزارة التعليم الأردنية: 131
وزارة العمل السعودية: 127
وسائل الاتصال: 74
وسائل الإعلام الرقمي: 73
وسائل الإعلام العالمية: 81، 84
وسائل الإعلام العربية: 81، 83، 92
وسائل الإعلام الغربية: 23
وسائل الإعلام غير المهنية: 83
وسائل التواصل الاجتماعي: 16، 20، 26، 53، 68، 81، 88، 90، 95-96، 143، 153
- إنستاغرام: 95
- التويتر: 88، 92، 95، 150، 191
- الفيسبوك: 56، 88، 92-95، 149-150، 167
- اللينكد إن: 88، 165
- اليوتيوب: 85، 88-89، 92-94، 136، 138
وسط المدن العربية: 39
- جبل عمر (مكة المكرمة): 39
- سوليدير (بيروت): 39
- العبدلي (عمّان): 39
الوظائف الحكومية: 34، 173
الوظائف غير الرسمية: 173
الولايات المتحدة الأميركية: 46، 66، 89، 102، 137، 144، 147، 152-154، 162، 177، 190

-ي-

اليابان: 59، 137
اليأس الاقتصادي: 22
اليد العاملة (الصين): 19
اليمن: 18، 48، 97، 121، 124-125، 180، 186، 188
اليهود: 113، 120
يوسف، باسم: 82-83
يوسف، طارق: 173